مجلـــة الجامعـــة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة غريان

- مراجـــــــعة أدبيـــات البحث.
- إكتمـــال الديـــن وإتـمام النعـــمو.
- التفسير الموضوعي وحقيقـــة خلـــق الإنســـان.
- مكانـة المرأة الطرابلسية في المجتمع الروماني خلال القرن الاول الميلادي
- المنـهج العقلي عنـد الإمام أبـي الحسن الأشعري
- المضـــادات الحيـــويـــة

مجلـــة الجامعـــة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة غريان

أسرة التحرير

المشرف العام:

د. محمد إبراهيم غومه

رئيس التحرير

أ. د. رجب محمد الدلنقو

هيئة التحرير

د. عصام السائح خرواط

د. ياسين عبدالله الحبشي

د. عادل أحمد دريزه

د. جمال البهلول بردم

د. عبد الرؤوف عقيلة

د. شمس الدين فرج

المراجعة اللغوية:

د. عبد السلام عمار الناجح
لغة انجليزية

د. يوسف ميلاد الشتيوي
لغة عربية

التصميم والإخراج:

م/ حنان عبدالمولي علي إبراهيم

مجلــة الجامعــة

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة غريان

جميع المراسلات الخاصة بهذه المجلة ترسل مباشرة إلي رئيس التحرير

علي العنوان التالي: مجلة الجامعة

جامعة غريان

الإدارة العامة

غريان / ليبيا

هاتف : 00218913248894

Email: majlt aljamea@yahoo.com

جميع الحقوق محفوظةلجامعة غريان

الابداع القانوني 2016/ 245 دار الكتب الوطنية

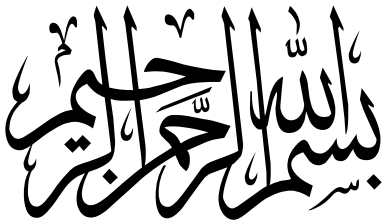

المحتـــويـــات

أهداف وقواعد النشر		**1**
دعوة إلي أعضاء هيئة التدريس الجامعي		3
بحوث ودراسات باللغة العربية :		
إكمال الدين وإتمام النعمة قراءة معاصرة .	د.محمد على عموش	12
التفسير الموضوعي وحقيقة خلق الانسان .	د.ناجي أمحمد الصادق كشلاف	29
المنهج العقلي عند الإمام أبي الحسن الأشعري .	د.يوسف موسى علي عبدالله	46
ما في التركيب.	د.خلفة عبدالله حسن أ.آمنه محمد الطويري	66
المغايرة بين حروف المعاني واثرها في تغير المعنى (القراءات القرآنية أنموذجا .	د.محمد عبد السلام الفقي	82
الاسلوب الإنشائي في اللغة العربية (دراسة نحوية دلالية .	د.إبراهيم سعد مكاري	91
تأثير مادة النشا في إطالة فترة تخزين بعض الفواكة والخضروات في درجة حرارة الغرفة .	يوسف عزو /شهوب الأحمر مصطفي كركوري /كريمة ضو رنا أبو عرقوب	116
المؤسسات التقافية في طرابلس الغربفي القرن السابع والثامن الهجري/ الثالث عشر و الرابع عشر الميلادي .	د/أحمد مسعود عبد الله	125
مكانة المرأة الطرابلسية في المجتمع الروماني خلال القرن الاول الميلادي .	د.نرجس محمد سويسي	151

بحوث ودراسات باللغة الإنجليزية :		
حـــــروف الجـــر	محرز بيوض إبراهيم أحمد الشتيوي جمال بيوض	163
مراجعة أدبيات البحث هي مرحلة أساسية لأي عمل بحثي	علي أحمد المجاهد	175
تطبيق طريقة التحكم التنبؤي المعمم للتحكم في مستوى السوائل لنظام خزانين مقترنين	مصطفى عمر بشير	196
المضادات الحيوية	د.أسماء عاشور عبدالله عاشور هند المبروك حسام العربي	217

أهداف وقواعد النشر

أولاً أهداف النشر :

1. **تشجيع حركة البحث العلمي بوجه عام .**
2. **السعي من خلال البحث العلمي في الميادين المختلفة إلى إضافة الجديد .**
3. **متابعة المؤتمرات والمنتديات العلمية والمرتبطة بالدراسات العلمية ونشر ملخصاتها وأهم توصياتها.**
4. **نشر ملخصات الرسائل العلمية التي تمت مناقشتها في مجالات العلوم المختلفة وذلك وفقاً للظروف والإمكانات المتاحة**

ثانياً : قواعد النشر بالمجلة .

1. **تنشر المجلة الأبحاث باللغتين العربية والانجليزية على أن يكون بحث اللغة الانجليزية مصحوباً بملخص باللغة العربية .**
2. **يشترط في البحث ألا يكون قدتم نشره أو قبل للنشر في مكان آخر وألا يكون مستلاً من أطروحة علمية لصاحب البحث أو الدراسة .**
3. **يجب أن يكون البحث مكتوباً بلغة واضحة وبأسلوب علمي ومنهجي وأن يتم مراجعة البحث لغوياً من قبل متخصص في علم اللغة وأن لا تزيد عدد صفحاته عن 25 صفحة بما في ذلك الرسوم والجداول وقائمة المراجع ولا يقل عن 10 صفحات وفقا للترتيب الموضوع بالمجلة.**
4. **البحث يجب أن يكون مطبوعاً على ورق أبيض (A 4) بمسافات مفردة وبهامش علوي (6 سم) وسفلي (6.5) وهامش أيمن وأيسر (4.5).**
5. **أن يكون خط الكتابة Arab Simple ونمط 14، ونمط العنوان الرئيسي 18، والعنوان الفرعي 16.**
6. **ترك مسافة بداية الفقرات ((Tab)) مرة واحدة.**
7. **تكون المسافة بين السطر والسطر ((1.5)) علي Word.**
8. **يجب أن يكون عنوان البحث فقط أو موضوعه على ورقة مستقلة وعلى ورقة أخرى يكتب اسم أو أسماء صاحب أو أصحاب البحث وعناوينهم واختصاصاتهم .**
9. **الهوامش يجب أن ترد بأرقام مسلسلة في آخر البحث End Note وذلك وفقاً لترتيب ورودها.**
10. **يجب التقيد بأصول البحث العلمي وقواعده وشكلياته من حيث أسلوب العرض والمصطلحات وتوثيق المصادر والمراجع في بيانات كاملة لنشرها.**
11. **تنشر المجلة المراجعات العلمية والنقدية للبحوث والدراسات وكذلك مراجعات وعروض الكتب ذات القيمة الفكرية والعلمية والثقافية كما تنشر المجلة وثائق المؤتمرات والندوات العلمية ونتائجها.**
12. **الأبحاث المقدمة للمجلة لا يحق لأصحابها نشرها في أي مجلة أخري .**
13. **البحوث المقدمة للمجلة يتم عرضها على اثنين من المحكمين من ذوي الاختصاص والخبرة وتختارهم هيئة التحرير سرياً .**

14.عناوين الأبحاث بخط 18 وعناوين المؤلفين والعناوين الرئيسة والفرعية وعناوين الأشكال و الجداول يجب أن تكون بخط داكن و حجم 16 .

15.الأشكال والرسومات التوضيحية : يجب أن تعد باستخدام برنامج أو أي برنامج آخرWord **يتوافق معه وترقم تسلسلياً وتوضع في أماكانها المناسبة بالبحث ويتم الرجوع إليها في النص بأرقامها على أن تكون الأشكال واضحة ومعبرة عن المطلوب ويترك فراغ (سطر) بين الأشكال أو الجداول والنص السابق واللاحق لها .**

16.تحتفظ المجلة بحقها في البحوث العلمية المقدمة إليها بغض النظر عن صلاحيتها للنشر من عدمه .

17.تلتزم المجلة بإشعار الباحث بقبول بحثه للنشر أو عدم قبوله فور إتمام إجراءات التقويم .

18.كل الآراء التي تنشر في المجلة لا تعبر إلا عن رأي أصحابها ولا تمثل وجهة نظر مجلة الجامعة

19. تحتفظ المجلة بحقها في نشر البحوث وفقاً لظروفها الخاصة .

20.لا علاقة لقيمة البحث وإمكانيات الباحث في ترتيب البحوث بالمجلة وإنما يتم ذلك وفقاً لتقسيمات معينة تتعلق بالتخصصات وتاريخ ورود البحوث .

* * * *

دعـــوة إلي أعضاء هيئة التدريس الجامعـــي

تـــــدعـــــــو،،، مجلة الجامعة الإخوة أعضاء هيئة التدريس بجامعـــــــــــــــة الجبل الغربي والجامعـــات الليبيـــــة كافة للمساهمة في تفعيل هده المجلة الناشئة مـــــن خلال كتاباتهم العلمية الرصينـــــة والمبتكرة لأجـــل تطـــــــوير العمليـــــــة التعليميـــــــــــة داخـــــل الجامعـــات الليبيـــة وبنـــاء وإعـــــداد الشباب الصاعـــــد في هذه القلاع العلميـــــة ليكونوا أعضـــاء فاعلين في مجتمعهم لترسيخ أسس وقيم البحث العلمـــــي وأصولـــــه بين قراء هـــده الـــدورية العلميـــة.

إن البحـــــــوث والـــــــــدراسات كافـــــــة في مختلف الاختصاصات الـــــــتي ستصل إلي المجلة ستكون موضع تقدير واحترام وستنشر تباعا ووفقا لضوابط وقواعد النشر بالمجلـــــــــــــة .

أســـــــرة التحـــــريـــــــر

إكمال الدين وإتمام النعمة قراءة معاصرة

✍د . محمد على عموش

كلية التربية يفرن

مستخلص البحث:

هذا البحث يتعلق بنص كريم من كتاب الله تعالى وهو قوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِاضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَمُتَجَانِفٍلِّإِثْمٍفَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) المائدة3، كلمات قليلة تضم معاني كبيرة ،لاحت لي من خلال تدبري له ؛ حيت الدين ؛ وما هو الدين ؟ الإسلام ؛ وما هو الإسلام ؟ وكيف أكتمل هذا الدين ؟ وهل كان ناقصاً قبل هذا اليوم ؟ وما هي النعمة التي خصها الله تعالى بالتمام دون غيرها من نعمه التي لا تحصى ولا تُعد ؟ الى غير ذلك من المعاني ؛ وذلك بتتبع كل لفظة من ألفاظ هذا النص لغةً ، ثم موضعه بالكتاب الكريم ، وصولاً إلى المعنى العام للنص من خلال قراءة علماء السلف للنص ،وصولاً إلى قراءة معاصرة للنص الكريم وعلاقته بغيره من النصوص الكريمة ، بالكتاب الكريم ، بعيداً عن الترادف والنسخ، ومن داخل الكتاب الكريم نفسه، للوصول إلى أفضل النتائج ، والله من وراء القصد .

Abstract:

This research is related to the Holy Quranic verse, in the say of Allah, Almighty (Today I have perfected for you your religion and completed My favor upon you and have approved for you Islam as religion). Surat Al-Maaida, A part of Ayat no. 3, The words of this verse are few and have great meanings. These meanings appeared clear in my meditation of this verse: religion and what is religion ?, Islam and what is Islam? How was this religion completed? Was it incomplete before this day? What is the grace that Allah summed up completely without countless other blessings? To other meanings. This was by tracing each word of the words of this verse in the language, then its position in the Holy Book, and up to the general meaning of the text; through reading the text and its relationship to other texts of the Holy Quran, away from synonymy and copying, and from within the Holy Book itself, to reach the best results, And the God of the intent behind.

مقدمة :

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده

وبعد

فدين الله تعالى صالح لكل زمان ومكان ، فهو دين شامل ؛ لا خير إلاَّ دل عليه ،ولا شر إلاَّ حذر منه (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) الأنعام38 ،وهو دين كامل ، وإن تعددت رسالات

الله تعالى لعباده (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِين فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) الأنعام48 .

ومن خلال تلاوة آيات الله تعالى بكتابه الكريم شدَّ انتباهي هذا النص الكريم قال تعالى(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) المائدة 3 ، نص بكلمات قليلة يندرج تحتها معان كبيرة وكبيرة .

فيا ترى ما هو الدين الذي أكمله الله تعالى ؟ ولماذا نسبه لنا (دِينَكُمْ)؟ ،وهل كان الدين ناقصاً قبل هذا اليوم ؟وما المقصود باليوم هنا ؟ ، وكيف أكتمل هذا الدين ؟ وما هي النعمة التي نسبها الله تعالى لنفسه (نِعْمَتِي)وأتمها علينا ؟ ولماذا خصها تعالى دون النعم الأخرى ؛ والتي لا تعد ولا تحصى (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) النحل18 ؟ استفسارات تبحث عن إجابات ، أحاول في هذا البحث المتواضع إيجاد إجابات تتلاءم وتتوافق مع ما أنزل الله تعالى في كتابه الكريم ، ومن داخل الكتاب نفسه وذلك بترتيل الآيات المتعلقة بذات الموضوع ،للبحث عن العلاقة التي تربط آيات الله تعالى في كتابه الكريم بعضها ببعض ، للوصول إلى الغاية المنشودة بإذنه تعالى مستخدماً المنهج الاستقرائي التحليلي ، والله من وراء القصد .

إكمال الدين وإتمام النعمة

قال تعالى (الْيَوْم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) المائدة 3 نلاحظ أولاً أن هذا المقطع لم يرد مستقلاً في آية مفردة ، ولا ورد في أول الآية ، ولا في آخرها ، وورد في وسط الآية ضمن بناء نصّي لا يكتمل مضمونه، ولا دلالاته إلاَّ إذا أُخذ تاماً وكاملاً.

إن محاولة فهم مراد الله تعالى من هذا النص ، أو غيره من آيات الكتاب الكريم ؛ ليختلف باختلاف الأداة المستخدمة للفهم ، ومن هنا نشأ تعدد الإفهام ؛ فمستعمل للغة ومستعمل للبلاغة ، ومستعمل للمأثور ، ومستعمل للمعقول ، وهكذا ، أدوات تعدد استخدامها فتعدد الفهم ، وإن كنت اعتقد ذلك ، إلاَّ أن فهم كتاب الله تعالى يعتمد أولا وقبل كل شيء على الكتاب نفسه ، ولا يمكن فهمه إلاَّ بأدوات من داخله ، وليس من خارجه ؛ فالقرآن يفسر بعضه بعضاً، ولكن أرى أن أتتبع المكون اللفظي لهذا النص كل على حده ، وتجريد اللفظة إلى أصول جذورها ، والنظر إلى مرامي معانيها مع استقراء تلك الجذور، ومتفرعاتها في داخل الكتاب الكريم قبل التعرض إلى المعنى الإجمالي لهذا النص ، لنحاول الاقتراب من فهم دلالات تلك الألفاظ مستقلة في سياقات مختلفة موزعة في النص ، ثم في سياق النص للوصول إلى المقصد .

(اليوم)؛الياء والواو والميم كلمة واحدة هي اليوم : الواحد من الأيام ،ثم يستعيرونه للأمر العظيم ، ويقولون : فلان في اليوم أذا نزل ، نعم أخو الهيجاء في اليوم اليتمي(1).

إن لفظة اليوم في حال أضيفت فهي لما أضيفت اليه ، وفي حال أن أطلقت وأتى قبلها (هذا أو ذلك) ،(ذَلِكَ الْيَوْمُ) –الإنسان ،التغابن ، المعارج - ، فإن (الـ) تكون عهديه ؛ ويراد بها يوم القيامة (ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ)المعارج44،وكذلك هو الحال عند إطلاقها ، وعطفها على يوم القيامة ، منها قوله تعالى (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ)النحل27، فإن معناها ينصرف إلى يوم الدين، كذلك إذا قارنها جزاء أو جاءت في سياقه فإنه يراد بها يوم الحساب ، ومنه قوله تعالى (اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً)الإسراء14، يبقى أن تطلق في سياق عام لا يوحي بمدلولها .

فعند أهل اللغة ؛اليوم: يعبر عن وقت مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها واليوم في الفلك ، مدة دوران الأرض حول محورها ؛ وهو 24 ساعة (أربع وعشرون ساعة) ، ومنه

قوله تعالى (أن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ) القلم24 ، وقد يعبر به عن مدة من الزمان؛ أي مدة كانت ، ومنه قوله تعالى (يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا) غافر29 ،وقد يعبر به عن الوقت الحاضر ؛ بمعنى الآن(2) ، ومنه قوله تعالى(فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفّاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى) طه64.

أما في الآية محل البحث ، فقد ذكرت اليوم ثلاث مرات في سياق الآيات (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ...،الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ... ، الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ...)المائدة 3 ،5،فمن خلال السياق يلحظ أنها نزلت في مناسبة واحدة ؛ حيث ذكرت المحرمات ، والطيبات ؛ ليناسب إكمال الرسالة الخاتمة .

وبطرح المعاني اللغوية السابقة على هذا النص ، يمكن القول بان المراد باليوم هنا هو الإشارة إلى فترة زمنية كانت وقتها حاضراً ؛ أي هو ذاك العصر ؛ وقت تنزل تلك الآيات ، وهو عصر تلقي الوحي - عصر الرسول الكريم عليه السلام - ،ليدل على عالميته .

الدين ؛الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها ، وهو جنس من الانقياد والذُّل ؛ فالدين الطاعة ، يقال دان له ؛ تدين ديناً ؛ إذا اصحب وانقاد وطاع وقومٌ دِين ؛ أي مطيعون منقادون (3) .

ومن خلال ترتيل الآيات واستقرائها فإن الدين معرفاً لم يرد إلاَّ مضافاً في قوله تعالى(وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) البينة5 ، وأما نكرة مضافاً فقد وقع كثيراً مقترناً بـ الهاء –الدال على الغائب – والكاف – الدال على المخاطب – مضافان لميم الجمع أحياناً مطلقاً، وأحياناً ناقصتين بوصف ، ومنه قوله تعالى (دِينَهُمُ الْحَقَّ)النور25، أيضا قوله تعالى(وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ)النور55 ، أما دينهم مطلقاً فقد وردت في مواضع منها قوله تعالى (وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ)آلعمران24 ،أيضاً قوله تعالى (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) الروم32.

فعند الإطلاق ينصرف الذهن للإسلام ، وهو متحقق في موضعه، وأما بإضافة (هم) فالمعنى يؤخذ من السياق ، فالدين هنا مدلوله لغوي ؛وهو الديانة، أو ما يتعبد به ، ويأتي على عدة معاني منها : الدين ؛ الحساب ،ومنه قوله تعالى (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) الفاتحة4، والدين ؛ العادة والشأن ، تقول العرب :ما زال ذلك ديني و ديدني ؛ أي عادتي (4) ، أما دينكم فالغالب أن معناها يتوجه للمدلول الاصطلاحي للدين .

أكملت؛ (كمل) الكاف والميم واللام أصلٌ صحيح يدل على تمام الشيء. يقال: كَمَل الشيء وكَمُل فهو كاملٌ؛ أي تام .واكملته أنا ،قال تعالى(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُمْ) (5) وكمل الشيء كمولاً:تمت أجزاؤه أو صفاته،وأكمل الشيء: أتمه (6) ..

أما عن اللفظة متعدية بالهمز والتاء فلا يوجد في التنزيل الحكيم إلاَّ في هذا النص المبحوث من الآية ، وأما عن المصدر موصوفاً – تذكيراً وتأنيثا- فقد ورد أربع مرات– البقرة 185 ،196، 233.النحل 25 - .

أما عن أكملت فمستبعد كونها بمعنى أتممت ؛إذ الكتاب الكريم بعيداً عن الترادف والحشو، لكن لعلهما من المصطلحات التي إذا اجتمعت اختلفت ، وإذا افترقت اجتمعت، فيصح إطلاق وصف التمام على الكامل من الأشياء إن لم يجتمعا في النص ، فيكون ؛ حولين تامين ، وأوزارهم تامة.

أتممت ؛ وردت هذه اللفظة وفروعها في الكتاب الكريم في عدة آيات منها قوله تعالى (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُم شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِين ظَلَمُواْ مِنْهُم فَلا تَخْشَوْهُم وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُم تَهْتَدُونَ) البقرة150 ، وقوله تعالى (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ

تَخْشَوْهُم وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيت لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) المائدة3 ، وقوله أيضاً (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِين لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) الأعراف142، أيضاً قوله تعالى (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) القصص27 ،
والملاحظ ان هذه اللفظة – أتممت - وردت متعدية بالهمز في الآيات السابقة، دلالة على مزيد معنى .
وأما لغةً ؛ (أتم) الهمزة والتاء والميم يدل على انضمام الشيء بعضه إلى بعض ،وقد يكون الإتمام القيام بالأمر؛ ومنه قوله تعالى (وَأَتِمُّواْ الْحَجّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ) البقرة 106 أي : قوموا بفرضها (7).
وتَمام الشيء وتِمامَتُه وتَتِمَّتُه ما تَمَّ به ، وأتمَّ الشيء وتَمَّ به يَتِمُّ جعله تامّاً (8).
والملاحظ ؛ أنه ما من أهل هذا الفن من فسر التمام بالكمال كما مر معنا في (أكملت)، ولعل الوقوف على الفرق بين المفردتين يوضح لنا الرؤية أكثر.
أكمل الأمر: أي أنهاه على مراحل متقطعة بينها فواصل زمنية ، فمن عليه قضاء صيام أيام أفطرها في رمضان فأمامه 11 شهراً لقضائها ، لذلك قال تعالى (وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ) البقرة 185 .
أما أتم الأمر: يجب أن لا ينقطع العمل حتى ينتهي ، لذلك قال تعالى(وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ) البقرة 106 ، فلا يجوز للحاج أو المعتمر أن يتحلل من الإحرام ، حتى ينتهي من شعائره .
وعليه فمع الدين قال أكملت ؛لأن الدين جاء على مراحل حتى أكتمل ، ومع النعمة قال أتممت ؛لأن نعم الله تعالى مستمرة ولن تنقطع .
نعمتي ؛ (نعم) النون والعين والميم فروعه كثيرة؛ وعندنا أنها راجعة إلى أصل واحد يدل على ترفُّهٍ وطِيب عيش وصلاح، ومنه النِّعمة: ما يُنعم الله تعالى على عبدِه من مالٍ وعيش، يقال :لله تعالى عليه نِعمة ،والنَّعمة التنعُّمُ وطيبُ العيش ،قال تعالى (وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ) الدخان27،والنُّعامَي؛الرِّيح اللَّيِّنة،والنَّعَم الإبل (9).
أما في التنزيل الحكيم فقد وردت لفظة (نعمة)واشتقاقاتها في آيات عدة ، منها قوله تعالى(سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) البقرة211 ،وكذلك قوله (وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُم وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) المائدة7،وقوله عز وجل (ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) الأنفال53، أيضاً (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ) النحل53، أيضا (فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) الزمر49،وقوله أيضاً(فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) الحجرات8،ومنها كذلك (لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) الزخرف13، وكذلك (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً) المزمل11، وقوله تعالى (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)الضحى11 .
والملاحظ ؛ من استقراء هذه الآيات وغيرها أن هناك اطراداً بين هذه اللفظة – نعمة – ونسبتها لله تعالى بقوله :نعمة الله ، نعمة ربي ، نعمة ربكم ، نعمة منه ،نعمة من عندنا ،

أنعمها – أي : هو سبحانه وتعالى – إلاَّ في موضعين حيت أطلقت نكرة في سورة الشعراء (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) الشعراء22 ، وفي سورة الليل (وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى)الليل19.

رضيت ؛ (رضي) الراء والضاد والحرف المعتّل أصلُ واحد يدل على خلاف السُّخط ، تقول رضِي يرضَى رضىً وهو راضٍ، ومفعوله مرضِيٌّ عنه. ويقال إن أصله الواو ؛ لأنه يقال منه رِضوَان ،قال أبو عبيد : رضاني فلانٌ فرَضَوْتُه . وَرَضْوَى : جبلٌ ، وإذا نُسب إليه رَضَوِيّ (10) .

أما في التنزيل الحكيم فقد وردت هذه اللفظة-رضي – واشتقاقاتها في العديد من الآيات ؛ منها الآية الثالثة من سورة المائدة - محل البحث - ،وقوله تعالى (قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) المائدة119 ، وقوله (فَإِن رَّجَعَكَ اللهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ) التوبة83 ، وقوله أيضا (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً) مريم6 ، ومنه أيضاً (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) الفتح18، وقوله (ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً) الفجر28، وقوله عز وجل (جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) البينة8 .

الإسلام ؛ (سلم)السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية؛ ويكون فيه ما يشذُّ ، والشاذُّ عنه قليل ، ومن الباب أيضاً الإسلام ، وهو الانقياد ؛ لأنه يَسْلم من الإباء والامتناع ، والسَّلام؛ المسالمة(11) .

أما في التنزيل الحكيم فقد وردت لفظة (الإسلام) في أربع آيات فقط ، وهي قوله تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمَ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ) آلعمران19، وقوله تعالى (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) آلعمران85 ، وقوله تعالى أيضاً (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَيُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الصف7،ومنها أيضا النص محل البحث. أما مشتقاتها فقد وردت في العديد من الآيات (28مرة)، منها قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) البقرة208، وقوله (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) محمد35 ،أيضا قوله تعالى (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُو مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة112، كذلك قوله تعالى (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُم وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُم الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) الزمر54 ، ومنها أيضا (وَاللهِ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) يونس25 ومنها قوله تعالى (فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُم قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى) طه47 ، وقوله تعالى أيضاً (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) الحشر23.

أقوال السلف من المفسرين :

جاء في تفسير البيان للطبري "اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : يعني جل ثناؤه بقوله (الْيَوْمَ أَكْمَلْت لَكُمْ دِينَكُمْ) اليوم أكملت لكم أيها المؤمنون فرائضي عليكم وحدودي

وأمري إياكم ونهيي وحلالي وحرامي وتنزيلي من ذلك ما أنزلت منه في كتابي وتبياني ما بينت لكم منه بوحيي على لسان رسولي والأدلة التي نصبتها لكم على جميع ما بكم الحاجة إليه من أمر دينكم ، فأتممت لكم جميعه ذلك فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم ،قالوا: وكان ذلك يوم عرفة عام حج النبي عليه السلام حجة الوداع ...وقال آخرون : معنى ذلك (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) فأفردكم بالبلد الحرام تحجونه أنتم أيها المؤمنون دون المشركين لا يخالطكم في حجكم مشرك ..."(12) .

وأضاف ،إما قوله تعالى(وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) ،"قال ابو جعفر :يعني بذلك جل ثناؤه ،وأتممت نعمتي أيها المؤمنون بإظهاركم على عدوي وعدوكم من المشركين ونفيي إياهم عن بلادكم وقطعي لجمعهم من رجوعكم وعودكم إلى ما كنتم عليه من الشرك ، إما قوله في (وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) قال أبو جعفر :يعني جل ثناؤه أي الاستسلام لأمري والانقياد لطاعتي على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعالمه (ديناً) يعني بذلك :طاعة منكم لي " (13).

أما القرطبي في تفسيره، يقول" ذلك أن النبي-صل الله عليه وسلم- حين كان بمكة لم تكن إلاَّ فريضة الصلاة وحدها، فلما قدم المدينة أنزل الله الحلال والحرام إلى الحج، فلما حجّ وكمل الدين نزلت هذه الآية(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُمْ)وأضاف بأنها نزلت في يوم جمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجّة الوداع سنة عشر ورسول الله واقف بعَرَفَة على ناقته العَضْبَاء ، فكان عضدُ الناقة يَنْقَدّ من ثقلها فبركت "(14) .

وعندما تعرض لقوله تعالى(وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) قال "أي بإكمال الشرائع والأحكام وإظهار دين الإسلام كما وَعَدتكم، إذ قلت (وَلأُتِمّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ) وهي دخول مكة آمنين مطمئنين وغير ذلك مما أنتظمته هذه الملة الحنيفيّة إلى دخول الجنة في رحمة الله تعالى "(15) .

أما قوله تعالى (وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)فيقول " أي أعلمتكم برضاي به لكم ديناً فإنه تعالى لم يزل راضياً بالإسلام لنا ديناً ،فلا يكون لاختصاص الرّضا بذلك اليوم فائدة إن حملناه على ظاهره ،وقيل :المعنى ورضيت عنكم إذا أنقدتم لي بالدين الذي شرعته لكم. ويحتمل أن يريد(وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) أي رِضيت إسلامكم الذي أنتم عليه اليوم ديناً باقياً بكماله إلى آخر الآية لا أنسخ منه شيئاً "(16) .

أما الزمخشري فيقول في تفسيره الكشاف "اليوم : لم يرد به يوماً بعينه وإنما أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به؛ وبدايته من الأزمنة الماضية والآتية ،ويضيف (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) كفيتكم أمر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم: كمل لنا الملك، وكمل لنا ما نريد أذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا إلى أغراضهم ومباغهم،(وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين، وهدم منار الجاهلية ومناسكهم ،وإن لم يحجّ معكم مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان، أو أتممت نعمتي عليكم بإكمال الدين والشرائع ؛ كأنه قال :اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بذلك ؛لأنه لا نعمة أتم من نعمة الإسلام , (وَرَضِيت لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) يعني اخترته لكم من بين الأديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده" (17).

أما الثعالبي فيقول في تفسيره :"(الْيَوْمَ أَكْمَلْت لَكُمْ دِينَكُمْ) اليوم إشارة إلى اليوم بعينه ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى الزمن والوقت ؛ أي هذا الأوان يئس الكفار من دينكم ، (وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) يحتمل الرضا في هذا الموضع أن يكون بمعنى الإرادة، ويحتمل أن يكون صفة عبارة عن إظهار الله إياه ؛لأن الرضا من الصفات المترددة بين صفات الذات وصفات الأفعال "(18).

وفي هذا المقام يقول ابن القيم "وتأمل حسن اقتران(التمام) بالنعمة ، وحسن اقتران (الكمال) بالدين ، وإضافة الدين إليهم (دينكم) ؛ إذ هما القائمون به ، المقيمون له ، وأضاف النعمة إليه (نعمتي) ؛ إذ هو وليها ومسديها والمنعم بها عليهم ، فهي نعمته حقاً ، وهم قابلوها. وأتى في (الكمال) بـ (اللام) المؤذنة بالاختصاص ، وأنه شيء خصوا به دون الأمم ، وفي (إتمام) النعمة بـ (على)المؤذنة بالاستعلاء والاشتمال والإحاطة ، فجاء(أتممت) في مقابلة (أكملت) ، و(عليكم) في مقابلة (لكم) ، و(نعمتي) في مقابلة (دينكم) ،وأكد ذلك ، وزاده تقريراً وكمالاً وإتماماً للنعمة بقوله (وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)" (19) .

والذي يلاحظ:

أن أغلب ما جاء في تفسير السلف – الذي اطلعت عليه – لهذا النص الكريم لا يخرج عن ذات المعنى الذي ذكره الطبري في تفسيره ،مع بعض من الإسهاب عند البعض ، أو الاختصار عند البعض الآخر(20) .

قراءتي لهذا النص :

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُم الإِسْلاَم دِيناً)المائدة3

مدخل:

الكتاب الكريم صالح لكل زمان ومكان؛ بثبات النص وحركة المحتوى ، وبالتالي يجب أن نقرأ الكتاب وكأنه نزل الآن ، وليس كحادثة تاريخية مجردة عن الوظيفة في عصرنا هذا ، فالفطرة العربية التي ترتبط بالكتاب الكريم مع اللسان العربي المبين تؤتي ثماراً ، وتغنينا عن ما قيل، ولا نقف عند حد أي تفسير للفظ محدد في الكتاب الكريم ،فالتنزيل الحكيم هو الحق اليقين الذي ينبغي الإيمان به، وأن ما ذكر التاريخ فهو حقائق تاريخية قابلة للشك ، وليست من عناصر الإيمان؛ أي أنها قضية علمية ، وليست قضية دينية ، وهذا ما ينبغي أن يكون .فلنحصر اهتمامنا بالكتاب الكريم باعتباره آخر مشروع ثقافي عرضه الله تعالى على البشرية ؛ علنا نكشف أو نسلط بعض الأضواء على العلاقة الحقيقية فيه بين الجانبين من العلم الأولي أو الدين ، والعلم المعرفي أو العقل والإنتاج المعرفي والعلمي ، فهو كتاب مبين لكل شيء ؛ لم يترك شيئا إلاَّ وبينه ، (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِير بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَاب مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم يُحْشَرُونَ) الأنعام 38لذلك كان الاكتفاء بالكتاب رحمة (أَوَلَم يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِم إِنّ فِي ذَلِك لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْم يُؤْمِنُونَ) العنكبوت51 .

ربنا عز وجل خلق الإنسان وكرّمه على جميع مخلوقاته بنفخة الروح ، ووهبه عقلاً وهذا العقل واحداً لكل إنسان – عدل الله تعالى – فلا يتميز هذا الإنسان إلاَّ بمقدار تفعيله لهذا العقل في الحياة الدنيا، ومن ثم فإن هذا المخلوق من خلال مسيرة الحياة قد ينحرف عن مراد الله تعالى ؛ فبعث الله تعالى الرسل والأنبياء لإقامة الدين.

القراءة :

(الْيَوْم أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيت لَكُم الإِسْلاَم دِيناً) المائدة3 السؤال الذي يتبادر إلى الذهن ، ما هو هذا الدين الذي نسبه الله تعالى لنا (دينكم)؟ وهل حُدد له يوماً معيناً ليكتمل ؟ وكيف كان إكمال هذا الدين ؟

الإجابة تأتي من عند الله تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَم)آلعمران19، فالإسلام في التنزيل الحكيم نجده وارداً على ألسنة جميع رسل الله تعالى وأنبياءه دون استثناء ومنه: نوح عليه السلام : (فَإِن تَوَلَّيْتُم فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْر إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُون مِن الْمُسْلِمِينَ) يونس.7

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) البقرة 128.

إبراهيم ويعقوب عليهما السلام :(وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيم بَنِيه وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّين فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) البقرة132 .

يوسف عليه السلام : (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) يوسف101 .

سليمان عليه السلام : (فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُو وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) 42 .

موسى عليه السلام :(وَقَال مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْه تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ) يونس8

عيسى والحواريون :(وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَد بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ) 111 .

وقوله تعالى (قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِم لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَد مِّنْهُم وَنَحْن لَهُ مُسْلِمُونَ) البقرة136 .

وقوله تعالى (قُل آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَنُفَرِّق بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُم وَنَحْنُ لَه مُسْلِمُونَ) آلعمران84 .

فهذه الآيات أسلمتنا نحن وكل الأمم (ونحن له مسلمون) .

فإذا كان الأمر كذلك - وهو حقاً كذلك – فإن مصطلح (الإسلام) يعني الدين، وليس الاستسلام ؛ لأن الله تعالى أعطانا حرية الاختيار ، وليس الانقياد (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ) الكهف29 ، فالإسلام ليس ديناً جديداً على الإنسانية ،جاء به محمداً –عليه السلام - ،وإنما هو ديناً واحداً ، وإن تعددت الرسالات ، بدءاً بنوح ، وانتهاءً بمحمد – عليهم السلام – (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُول إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّه لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) الأنبياء25 ، ولن يقبل الله تعالى ديناً غيره (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) آلعمران85 .

فالدين هو الإسلام ، والإسلام هو الدين ؛ والدين هو تنظيم سلوك الإنسان في الحياة الدنيا ، ونتائجه في الآخرة ، وبذلك شمل الدين ؛ الأخلاق والمبادئ والقيم ؛ وهذه خضعت للتراكم عبر مسيرة الحياة الدنيا ، وشمل التشريعات ؛ وهذه خضعت للتنوع والتغيير، حسب العصر الذي يعيشه الناس على الأرض ، وشمل أيضاً الشعائر؛ وهذه اختلفت وتنوعت ؛ حسب عصر كل رسالة نزلت من عند الله تعالى للناس والإنسان يستطيع أن يقيم الدين بتفعيل العنصر المشغل لديه والفعال ، قال تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) الروم30 ، هذا النص (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً) ؛ يدعو إلى الفطرة الإنسانية؛ وهو العقل الإنساني ؛ أي إمكانية قيام الدين من خلال الفطرة التي فطرها الله تعالى للناس جميعاً ، والنص بكامله يؤكد أن الدين جزء من هذه الفطرة الإنسانية ، ويُعلمنا ربنا بأنه (فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) أي جعلها في منظومة خلقه ، وهو القائل(لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) وذلك في نظم الخلق ، وليس في نظرية فكرية بشرية (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) ، وشمل كذلك نتائج تفاعل هذا

الإنسان مع هذه المعطيات ؛ فإن كان ممن انصاع لأمر الله تعالى و أخلص دينه لله تعالى ؛ فالجنة مأواه (جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَاباً)النبأ36، وإذا أجرم وتكبر؛ فإن جهنم مصيره (جَزَاء وِفَاقاً) النبأ26.

وفي التنزيل الحكيم نرى أن لفظ المسلمين يرد في العديد من الآيات الكريمة ومنها :

_ دعاء إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام –(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)البقرة128 .

_ وصية إبراهيم ويعقوب – عليهما السلام – (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) البقرة132 .

_ قول الحواريون (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَد بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ) المائدة111 .

_ وعد ربنا – عز وجل – للذين آمنوا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) آل عمران 102 .

_ قول السحرة لفرعون (وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)الأعراف 126 .

_ قول فرعون بعد أن أدركه الغرق (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُم فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَت بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) يونس 90 .

_ قول الجن (وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً) الجن 14 .

_ قوله تعالى (فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَه لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِد أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّد فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَل اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ) الأنعام 126 .

_ قوله تعالى (أَفَنَجْعَل الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ) القلم 35 ،فالمجرم هو الذي قطع صلته بالله تعالى كلياً وهو نقيض المسلم .

وإذا كان الأمر هكذا ؛ فمن هو المسلم ؟

الإجابة تأتي من عند الله تعالى (وَمَنْ أَحْسَن قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)فصلت 33 ، وقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَن بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِند رَبِّهِم وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُم يَحْزَنُونَ) البقرة 62 ، وقوله أيضاً (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَن بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلاَ هُم يَحْزَنُونَ) المائدة69 ، فشرط الإسلام هو الإيمان بالله واليوم الآخر؛ مقترناً بالعمل الصالح ،فكل من توفرت فيه هذه الشروط ؛فقد دخل تحت مسمى المسلم ؛ أياً كانت ملته ، فالإسلام يسبق الإيمان (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) المائدة93 .

(اليوم) ؛ أي اليوم الذي نزل فيه هذا النص الكريم بالذات ، وهو يوم عرفه من سنة عشر هجرية – باتفاق كل المفسرين - ،والدليل هو سياق الآيات التي ورد فيها لفظ اليوم في هذه السورة – سورة الأنعام – حيث تكرر ثلاث مرات في سياق نفس الموضوع ؛ مرة قبل هذا النص – محل البحث – وفي نفس الآية (الْيَوْم يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُم وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْت لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيت لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُور رَّحِيمٌ) المائدة3 ، ومرة بعده (الْيَوْم أُحِلّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَات مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)المائدة5 ،ففيه إشارة إلى يوم محدد ؛ وهو يوم نزول هذه الآيات (21)،حيت أتم الرسول الكريم مناسك الحج بالوقوف بعرفه ، وهناك خاطب الرسول الكريم جمع الحجيج بقوله في أكثر من مرة – حوالي سبع مرات – أثناء خطبة الوداع "أيها الناس "(22)، ولم يقل أيها الحجاج،أو أيها المؤمنون ؛ دلالة على أن الخطاب كان موجهاً لكل الناس عبر مسيرة الحياة ، وليس مقتصراً على من حضر يوم الحادثة.

هذا اليوم هو نقطة فاصلة في حياة البشرية ؛ حيت أن ما يكون بعده ،ليس كما كان قبله ؛ ففيه قد أكتمل هذا الدين ، ولم يعُد المجتمع الإنساني في حاجة إلى رسالة جديدة .

رُبَّ سائل يسأل؛ هل كان الدين ناقصاً قبل هذا اليوم ؟

لقد تعرض المفسرون لهذا ، وذهبوا في ذلك عدة مذاهب، لعل أفضل ما قيل " أن هذا الدين (الإسلام) ما كان ناقصاً البته ، بل كان أبداً كاملاً ، بحسب عصر الرسالة ، بمعنى أن الرسالة النازلة من عند الله في كل وقت كافية في ذلك الوقت ، فالدين في عصر نوح كما هو في عصر إبراهيم وسليمان ويوسف وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل – عليهم السلام - ،أي أنه كاملاً بحسب ما يقتضه ذلك العصر؛ لأن الحياة الإنسانية دائماً تسير نحو الأمام وتتطور نحو الأفضل ،فالله تعالى كان عالماً في أول وقت المبعث بأن ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا صلاح فيه، فلا جرم ،كأن ينسخ بعد الثبوت ، وكأن يزيد بعد العدم إلى أن وصلت الإنسانية إلى مرحلة زمنية أراد الله تعالى أن يكون فيها العيش بدون رسالة جديدة ، فالدين أبداً كان كاملاً ، إلاَّ أن الأول كمال إلى زمان مخصوص ، والثاني كمال إلى يوم القيامة ،فلأجل هذا المعنى قال (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُمْ) "(23).

هذه المرحلة الزمنية هي مرحلة رسالة محمد – عليه السلام - ، حيت أن كل الرسل قبله كانت معجزاتهم مشخصة ووقتيه وآنية تنتهي بنهاية الرسول المعني بالرسالة إلاَّ معجزة محمد – عليه السلام – حيت المعجزة الخالدة والباقية ؛ لأنها معجزة ليست مشخصة ولا أنية ووقتية ؛ وإنما هي معجزة تتمشى مع عالمية وأبدية رسالته وكون الرسالة المحمدية هي الصيغة النهائية للسنة الإلهية الأبدية فقد عبر عنها في كتابه بأسلوب نظري مجرد على اعتبار أن الرسول الكريم هو خاتم المرسلين ، وعصره بمثلبة بداية مرحلة ما بعد الرسالات ؛ حيث ثم إعلان أهلية الإنسانية لذلك بإكمال الدين وإتمام النعمة ، وعلى ضوء سنّة الله في الكون ؛وهو التغير والتبدل، ولا ثابت إلاَّ هو (فَهَل يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِين فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) فاطر 43 .

إنها الكتاب الكريم الذي تكفل الله بحفظه وبيانه للناس جميعاً (إِنَّا نَحْنُ نَزلنا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر9 ،(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) القيامة 16 – 20 (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِن بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُم تَهْتَدُونَ) الأعراف158 .

فكل عصر يأتي بعد عصر هذه الرسالة يجد في هذه المعجزة ما يلبي حاجاته ويحل مشاكله ؛ وذلك بقراءة النص الكريم قراءة جديدة بحسب السقف المعرفي لهذا العصر؛تعتمد المنهجية التي وضعها الله تعالى لفهم كتابه الكريم بداخله ، وليس من خارجه .

لكن كيف اكتمل هذا الدين ؟

1 – اكتمل هذا الدين بغلق باب المحرمات نهائياً ؛ بحصرها وتحديدها وتفصيلها ، ولم يعُد لأياً كان أن يحرم خلافها ، أو ينتقص منها ؛ فالتحريم أبدي وشمولي ، وحصراً لله تعالى ،

وهو من المُحكم ، قال تعالى (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْن نَرْزُقُكُم وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُم فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ) الأنعام151- 153، وقال أيضاً (حُرِّمَتْ عَلَيْكُم أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُم وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُم وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَد سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً) النساء23 ،وقال (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُم وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) المائدة3،وقال أيضاً (الَّذِين يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُم قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ) البقرة275وقال أيضاً (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَم يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) الأعراف33 ، وقال تعالى (الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُه ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) هود1 ،وقال أيضا (وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَم بِالْمُعْتَدِينَ) الأنعام119 ،أما الحلال فهو ما عدا المحرمات المذكورة بالكتاب الكريم ، ويمكن للإنسان أن ينظم هذا الحلال من خلال التشريعات الإنسانية ؛ وفق ما يقتضه الزمان والمكان والوضع الاجتماعي .

2 – اكتمل هذا الدين بختم الرسالات (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) الأحزاب40 ، خاتم النبيين (الخاتم)هو ما تم الختم والمصادقة عليه ،(محمد) على وزن مفعل ؛ فتكون الرسالة المحمدية (الخاتم أو البصمة) التي يمارسها كل متنبئ بالبيان الإلهي من خلال ممارسة محمولة على صفة النبوة ؛ وهو تفعيل ما تم الختم والمصادقة عليه ، لبدء العمل به.

3 – اكتمل هذا الدين بتوقف التشريع الإلهي (الرسالات) ، وبدء مرحلة التشريع الإنساني ؛ حيث أصبح للإنسان القدرة على إدارة شؤون حياته ؛ من خلال التشريعات والقوانين واللوائح التي تنظم حركة الإنسان في الحياة وفق إطار المنهج الرباني الذي أرسل به الرسول الكريم وبلغه للناس كافة - أي الثوابت في التشريع الإلهي – وعدم خرقها ومخالفتها .

4 – اكتمل هذا الدين عبر مسيرة الحياة الإنسانية بالتدرج بدءاً بنوح وكل من أتي من بعده من الرسل ؛ كلٌ لقومه حتى أراد الله تعالى أن يكون محمداً الرسول الخاتم وصاحب الرسالة الباقية إلى يوم الدين ؛ رسولاً للعالمين (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيت فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِه وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) الأعراف158 .
(وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) نسب الله تعالى النعمة لنفسه (نعمتي) في حين نسب الدين لنا (دينكم) ،فإذا عرفنا الدين الذي نسبه لنا، فلنبحث عن النعمة التي نسبها الله تعالى لنفسه .
ربنا – عز وجل – قال (نِعْمَتِي) لدلالة على أنها نعمة محددة ؛ ولو أراد بذلك كل نعمه لقال (نِعَمي) ؛فالمعلوم أن نعم الله كثيرة لا تحصى ، (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُور رَّحِيمٌ) النحل18؛ ولعله هنا يشير إلى نعمة الإسلام ؛ فبعد إكمال الدين أردف بقوله (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) فحرف العطف يشير إلى العطف على اليوم؛ أي كأنه قال (اليوم أكملت لكم دينكم ، واليوم أتممت عليكم نعمتي) بإشارة إلى نفس اليوم المحدد بحسب سياق الآيات الكريمة ، وهو اليوم الذي يئس فيه الكفار ؛ (الْيَوْم يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُم فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌرَّحِيمٌ) المائدة3 ،وهو اليوم الذي أُحل فيه الطيبات ؛ (الْيَوْم أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُم وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُر بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)المائدة5 ، وهو اليوم الذي أكمل فيه الدين وأتم فيه النعمة ؛ (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) ؛لأن (اليوم) هنا جاء معرفاً في الآيتين الكريمتين ،وفي نفس الموضوع ولم يأت نكرة ؛ والمعلوم أن الاسم إذا جاء معرفاً وتكرر؛ يدل على نفس الاسم ، وإن جاء نكرة ؛ فإنه يدل على اسمين مختلفين ، وقد عبر بـ (أتممت) بدلاً من (أكملت) للدلالة على أن نعمة الإسلام مستمرة ، ولم تكتمل إلاَّ بعد الحساب؛فكل نعم الله تعالى على الإنسان تنتهي بموت الإنسان ، إلاَّ نعمة الإسلام ؛ لأن جزاؤها ليس في الدنيا فقط ، وإنما في الدنيا والآخرة أيضاً ؛ وهو الجزاء الأكبر، والأهم للإنسان المسلم .
-(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَن بِاللهِ وَالْيَوْم الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِند رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون)البقرة62 .
-(فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً إِلَّا مَن تَاب وَآمَن وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِك يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً)مريم59،58 .
-(إِنَّ الْمُسْلِمِين وَالْمُسْلِمَات وَالْمُؤْمِنِين وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِين وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) الأحزاب35
-(وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَار كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُم فِيهَا خَالِدُونَ) البقرة25 .
-(رَّسُولا يَتْلُو عَلَيْكُم آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَار خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَد أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً) الطلاق11
-(يَوْم يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْم التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّات تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْز الْعَظِيمُ) التغابن9.

-(جَزَاؤُهُمْ عِند رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) البينة8
-(وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) الأعراف42
-(لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُم قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ)

_ (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُم طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) الزمر73 .
-(إِنَّ الَّذِين قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) فصلت30 .
فالإنسان المسلم يتفاعل في حياته مع معطيات دينه، ومن خلال هذا التفاعل يتحدد مصيره في الآخرة؛ وحتى المسلم الذي تعثر في حياته أثناء تفاعله مع معطيات هذا الدين (الإسلام) إن دخل النار، لا يخلد فيها .
وفي التنزيل الحكيم رسمت هذه اللفظة بشكلين مختلفين مرة بالتاء المفتوحة (نعمت) وأخرى بالتاء المربوطة (نعمة)وفي كلا الحالتين تنسب لله تعالى ، دلالة على أن كل النعم هي من عند الله تعالى ، وهي في الدنيا تشمل كل الناس ، مؤمنهم وكافرهم أما في الآخرة ؛ فتخص المسلمين فقط ، فقد رسمت (نعمت) 25 مرة ،ورسمت (نعمة)26 مرة ، واعتقد انه اذا كانت عامة ؛ فتحت لتشمل الكل ، وإذا ضُمت ؛ فهي خاصة ، والله تعالى أعلم .
(وَرَضِيت لَكُمُ الإِسْلاَم دِينا) ، فيه تأكيد على أن الإسلام ديناً لنا ، وأن الله تعالى هو من اختاره لنا ، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَل فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ) يونس108 ، (إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ)الزمر41 .
رُب قائلاً يقول: أولا يكون الله تعالى راضياً الإسلام ديناً لعباده إلاَّ يوم نزلت هذه الآية ؟ ، من طرح هذا السؤال ينظر إلى أن الإسلام هو ما جاء به محمد – عليه السلام - ، وأن المسلمين هم أتباعه فقط ؛أي الملة المحمدية ، وغاب عنه أن الإسلام ديناً لله تعالى بعث به الأنبياء والرسل لتبليغه للناس بدءاً بنوح – عليه السلام – وانتهاءً بمحمد –عليه السلام - ، فالإسلام منذ بدء الرسالات موجود ، وليس يوم نزلت هذه الآية ؛ فالإسلام هو السلام ، هو الرسالة الربانية الكونية منذ خلق الإنسان ، وهو سلم ارتقاء إلى مقامات الوعي النوراني للوصول إلى الله تعالى ، وليس الاستسلام والانقياد ؛ بل هو الطاعة والاستجابة لمراد الله تعالى عن طيب نفس ، وليس إكراها ، والله تعالى أشعرنا بذلك (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ) الكهف29 ، وهو ديناً واحداً (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ) آل عمران 19 ، فمن رضي بهذا الدين ، فإن الله تعالى راضٍ عنه ، (قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُم لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) المائدة 119 ،ومن اتخذ ديناً غيره فلن يقبل منه ، وهو من الخاسرين (وَمَن يَبْتَغ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُو فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) آل عمران 85 .
أهم النتائج :

1 –إذا نظرنا إلى اللفظ بمفردة ؛ يأخذ عدة معاني ، أما إن كان في سياق الآيات ؛ فيؤخذ المعنى من السياق العام ، بعيداً عن الترادف .
2 – أن الإسلام ديناً واحداً لكل الناس ؛ فمن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً؛ فقد دخل تحت مسمى المسلم .
3 – أن الدين ما كان ناقصاً البتّة ، بل كان أبداً كاملاً منذ بدء الخلق ونزول التكليف عبر مسيرة الحياة ،وإن كان إلى زمن مخصوص ، فأصبح إلى يوم القيامة .
4 – الحرام أبدي وشمولي وحصراً لله تعالى دون غيره، وبتحديده وتفصيله ، وغلق بابه في الكتاب الكريم ، اكتمل الدين .
5 – اكتمل الدين أيضاً بختم الرسالات ،وبدء مرحلة التشريع الإنساني.
6 – نعمة الإسلام من أكبر نعم الله تعالى على عباده لا تكتمل إلاّ بعد الحساب .
7 – الله تعالى اختار لعباده هذا الدين ؛ وهو الإسلام ، وأعلن أنه لن يقبل غيره من عباده ، فمن اختاره ؛ فقد رضي الله عنه .

الهوامش :

– مقاييس اللغة ،ابن فارس ،6/.1160
2 –لسان العرب ،ابن منظور باب (يوم) 649/12 .
3 – مقاييس اللغة ،مرجع سابق ،2/.220
4- لسان العرب ، مرجع سابق ،13/ .164
5 – مقاييس اللغة ، مرجع سابق ،5/.139
6 – لسان العرب ،مرجع سابق ،باب (كمل) 11/.598
7 – مقاييس اللغة ، مرجع سابق ،1/.47
8 – لسان العرب ، مرجع سابق ،23/1.
9 – مقاييس اللغة ، مرجع سابق ،5/.446
10 – مقاييس اللغة ،مرجع سابق ،2/.402
11 – مقاييس اللغة ، مرجع سابق ،2/.90
12 –تفسير الطبري ،79/8- .81
13 – تفسير الطبري ، مرجع سابق ،84/8-.85
14 – تفسير القرطبي ،59/6 ،.60
15 – تفسير القرطبي ،مرجع سابق ،6/.60
16 – تفسير القرطبي ،مرجع سابق ،6/.62
17 – تفسير الزمخشري ، مجلد واحد ،298 .
18 – تفسير الثعالبي ،342/2 وما بعدها .
19 – إسلام ويب ، نظائر قرآنية ،تاريخ النشر 2012/6/10م .
20 - ينظر؛ تفسير هذا النص في:
تفسير الشوكاني ، تفسير ابن عادل ، تفسر أطفيش
تفسير سيد قطب ، تفسير الطاهر بن عاشور ، تفسير الرازي.
21 – الاسم إذا جاء في سياق الحديث معرفاً بـ (اللام) فإنه يدل على شيء واحد منه :قابلت الرجل ،وأكرمت الرجل .؛فالرجل هو نفسه ، أما أذا جاء نكرة ؛ فإنه يدل على شيئين مختلفين ومنه :قابلت رجلاً ،وأكرمت رجلاً هنا يدل على رجلين مختلفين . .
22- حياة محمد، محمد حسين هيكل،ص489 .

23 - ينظر ؛ إسلام ويب ،نظائر قرآنية ،تاريخ النشر 2012/6/10م .

المصادر والمراجع

1 – الكتاب الكريم ، المصحف الرقمي .
2 – الجامع لإحكام القرآن الكريم ،لأبي عبن الله محمد ابن احمد الأنصاري القرطبي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، ط/3 ، دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ،2000م .
3 – الكشاف ،ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ،ط /2 ، مجلد واحد ،دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ،2005م .
4 – تفسير الثعالبي ،التفاسير وعلوم القرآن ، المكتبة الوقفية.
5 – جامع البيان عن تأويل القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، التفاسير وعلوم القرآن ، المكتبة الوقفية.
6 – حياة محمد ،محمد حسين هيكل ،ط/13 ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، مصر ،1968م .
7 – لسان العرب ،محمد بن مكرم بن منظور،دار الفكر ، بيروت ، لبنان ،1958م .
8 – مقاييس اللغة ، ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ب .ت .
9 – شبكة المعلومات الدولية ،الموقع :إسلام ويب .

✍.د. ناجي امحمد الصادق كشلاف
كلية الآداب الأصابعة

مستخلص البحث

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه أما بعد،

فإن دراسة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم في غاية الأهمية، سيما تعلقه بكتاب الله تعالى، ومن المواضيع المهمة التي يكون التفسير الموضوعي له أهمية بالغة فيها، خلق الإنسان ومراحل تطوره، وخلق الملائكة والجان، ودراسة المواد التي خُلقوا منها، دراسة موضوعية تحليلية، معتمدة على الآيات القرآنية التي تناولت الموضوع.

فبدأ البحث ببيان معاني التفسير الموضوعي مفصلة، مع دراسة نشأته والمراحل التي مر بها في المبحث الأول، ثم انتقلت لدراسة مادة خلق الإنسان من خلال جمع الآيات القرآنية، والنظر في المعنى العلمي لها، وكان ذلك في المبحث الثاني، وختمت الدراسة ببيان مفصل حول أصل الخلق بين الإنسان والجان والملائكة، من خلال تظافر الآيات القرآنية التي تناولت الموضع في المبحث الثالث، ثم ختمت بخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث في هذا الموضوع.

Research Summary

Praise be to God, and may blessings and peace be upon the Messenger of God, his family and companions.

The study of the objective interpretation of the Holy Qur'an is extremely important, especially its attachment to the Book of God Almighty, and an important topic in which the objective interpretation is of great importance in it, the creation of man and the stages of his development, the creation of angels and elves, the study of the material from which they were created, an analytical objective study, based on the verses Quranic that covered the topic.

The research started with a detailed statement of the meanings of the objective interpretation, with a study of its origin and the stages it passed in the first topic, then it moved to study the subject of human creation through the collection of Quranic verses, and to consider the scientific meaning of it, and that was in the second topic, and the study concluded with a detailed statement on the origin of creation Between the human and the elves and the angels, through the convergence of the Quranic verses that dealt with the subject in the third topic, then concluded with a conclusion in which she outlined the most important results she reached through research on this topic.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه أما بعد،

فقد جعل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ الـعظمى، والحجة على الخلق، والنور المبين للدعاة إلى يوم القيامة، يستمدون من نبعه الهداية الدالة إلى أعظم حضارة عرفتها البشرية عبر تاريخها الطويل، والبراهين الساطعة التيُ تبدد الشبهات، ويجد كل متدبر لآيات الله في القرآن الكريم كمال الوفاء، لحاجات البشر في مختلف العصور وبخاصة في الآيات التي تتحدث عن الكون والحياة والإنسان .

إن الكلام عن إعجاز القرآن الكريم ونواحيه ليس بالأمر اليسير الهين الذي ينتهي في بحث أو كتاب، فالقرآن الكريم هو الكتاب الجامع لفروع الدين وأصوله نصاً أو استنباطاً، عقيدة وشريعة ونظام حياة، وقد اهتم علماء المسلمين بتفسير كتاب الله تعالى، واستنباط أحكامه وهداياته، ففتح الله لهم من أسرار هذا الكتاب الكريم علوماً جمّة في جميع جوانب الكون ووجوه النشاط في الحياة، فهو كتاب علم وهداية ومنهاج تربية وحضارة .

مما لا شك فيه أن علوم التفسير من أشرف العلوم وأكرمها ؛ لتعلقها ببيان معاني القرآن الكريم، وتجليه حقائقه، وبيان حججه، وتوضيح براهينه في العقيدة والشريعة والمنهج والسلوك، وفيما يجدُ من قضايا تحتاج الأمة إلى بيان موقف القرآن منها، حيث يغوص الباحث في أعماق القرآن ويستخرج موقف القرآن من هذه القضية التي يعالجها، ومن هذه القضايا: قضية الخلق أو التكوين، لاسيمّا خلق الإنسان، وهو جانب بحثي هذه .

تكمن أهمية البحث في اهتمامه بالهدايات القرآنية والكشف عنها من خلال السياق للآيات القرآنية، من خلال جمع الآيات القرآنية المتضافرة في الموضوع الواحد؛ لأن منهج التفسير الموضوعي يعتمد في تفسير النص القرآني على الموضوع المراد معالجته في ضوء الكتاب والسنة، وتحديد معالمه، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، أما المباحث فكانت كالتالي:

- المبحث الأول: التفسير الموضوعي بين المفهوم والنشأة
- المبحث الثاني: مادة خلق الإنسان.
- المبحث الثالث: أصل الخلق بين الإنسان والجن والملائكة .

المبحث الأول:التفسير الموضوعي بين المفهوم والنشأة

لقد اهتدى علماء السلف من هذه الأمة في تفسير كتاب الله تعالى بهَدْي مدارس الصحابة رضوان الله عليهم، التي عرفها تاريخ القرآن الكريم كمدرسة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في مكة المكرمة والتي تخرّج فيها أئمة التابعين في التفسير، وعلى منهاج أئمة التفسير من الصحابة سار التابعون فكانت أساليب التفسير المعروفة هي:(التفسير التحليلي، التفسير المقارن، التفسير الإجمالي، التفسير الموضوعي).

إن مصطلح التفسير الموضوعي لم يظهر إلا في القرن الرابع عشر الهجري، بينما عناصره كانت موجودة منذ عصر التنزيل في حياة الرسول ﷺ، فإن تتبع الآيات التي تناولت قضية ما والجمع بين دلالاتها وتفسير بعضها لبعض، مما أطلق عليه العلماء فيما بعد تفسير القرآن بالقرآن، والذي كان معروفاً في الصدر الأول، وقد لجأ رسول ﷺ إليه عندما سُئِل عن تفسير بعض الآيات الكريمة[1]، فما هو التفسير الموضوعي ؟ ومتى نشأ ؟ وكيف تطور ؟

إن مصطلح التفسير الموضوعي يتألف من جُزأين رُكبا تركيباً وصفياً، فلابد من تعريف الجُزأين أولاً ثم تعريف المصطلح المرّكب منهما .

تعريف التفسير في اللغة: مأخوذ من الفَسْر، والفسْر: البيان، وفَسَّر الشيء يُفسّرْ بالضم، فسراً وفسره: أي أبانه، ومنه قوله تعالى:﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرا﴾2 ، والتفسير: كشف المراد من اللفظ المشكل3.

وجاء في معجم مقاييس اللغة:إن فسر: الفاء في السين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه4، وأما الراغب الأصفهاني، فقد جعل التفسير أعم من التأويل بقوله:والتفسير قد يُقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها فيما يختص بالتأويل، ولهذا يُقال تفسير الرؤيا وتأويلها5.

ويوضح أبو البقاء الكفوي، المعنى اللغوي بما يُقربه من معناه الاصطلاحي وذلك حيث يقول: التفسير هو الاستجابة والكشف والعبارة عن الشيء بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل، قال أهل البيان: التفسير هو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيُؤتي بما يُزيله ويَفسّره6 .

أما في الاصطلاح: فقد تنوعت عبارات المفسرين وكثرت أقوالهم في بيان حدِّه، فعرفه الزركشي: بأنه: علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه ﷺ ـ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك، من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ[7]

أما أبو حيّان فعرّفه بأنه علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاته وأحكامه الإفرادية والتركيبة ومعانيها التي تحُمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك[8].

وعرّفه البعض بأنه: علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيّها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، مجملها ومفسرها وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها[9]

وهذه التعاريف تتفق جميعها على أن التفسير: علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيانه .

تعريف الموضوعي لغة: مشتق من الوضع، يقول الراغب الأصفهاني: إن الموضوعي نسبة إلى الموضوع، والموضوع مشتق من الوضع، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِه﴾[10]

أما عن علاقة الموضوعي بالتفسير فذلك إن المفسر يرتبط بمعنى معين وموضوع محدد من موضوعات القرآن، لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ منه[11] .

أما في الاصطلاح: فهو محل الغرض المختص به، وقيل: هو الأمر الموجود في الذهن وموضوع كل علم ما يُبحث فيه عن عوارضه الذاتية[12] .

كما عُرّف بأنه قضية، أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم[13]

أما التفسير الموضوعي: فله عدة تعريفات وهذا راجع إلى تدرج وتكامل هذا العلم حيث مر بمراحل متعددة منذ البداية، وحتى أصبح علماً مشهوراً له نظريته، ومنهجيته، فكل مرحلة من مراحل تدرجه كانت تأخذ شكلاً ونمطاً خاصاً بها، وبالتالي يأتي التعريف متلائماً معها[14] فمنها :

1 ـ ذكر الدكتور عبد الحي الفرماوي[15] تحت عنوان " تعريف " اسم التفسير الموضوعي ـ بحسب النوع الثاني ـ اصطلاح مستحدث، أطلقه العلماء المعاصرون على جمع الآيات القرآنية، ذات الهدف الواحد التي اشتركت في موضوع ما وترتيبها حسب النزول ما أمكن ذلك مع الوقوف على أسباب النزول، ثم تناولها بالشرح والبيان، والتعليق والاستنباط ووزنها بميزان العلم الصحيح الذي يبين الباحث معه الموضوع على حقيقته، ويجعله يدرك هدفه بسهولة ويُسْر، ويحيط به إحاطة تامة، تمكنه من فهم أبعاده[16] .

وقد بين عبد السلام حمدان أن هذا التعريف يغلب عليه الشرح والتوضيح للون من ألوان التفسير الموضوعي وذلك أكثر من كونه تعريفاً كما عنون صاحبه .[17]

2 ـ عرّفه الدكتور مصطفى مسلم: بأنه علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر[18]، ويتضح من هذا التعريف ما يلي:

أ: أنه أدخل الوحدة الموضوعية للسورة في التفسير الموضوعي، وهي ألصق بباب المناسبات منها بباب التفسير الموضوعي .

ب: أنه لم يشترط أنه يستوعب جميع القرآن الكريم في القضية الواحدة .19

3 ـ عُرّف بأنه بحث موضوع من موضوعات القرآن الكريم على مستوى القرآن جميعه[20].

ويتضح من هذا التعريف ما يلي:

أ: أنه لم يُدخل ما يتعلق بالوحدة الموضوعية للسورة ضمن التفسير الموضوعي .

ب: إنه خص البحث بأنه في موضوع من موضوعات القرآن الكريم، ومظاهر ذلك أن يخصه بالموضوعات الظاهرة أو مقاصد القرآن فلا يدخل في التفسير الموضوعي تحت موضوع خارج عن موضوعات القرآن الظاهرة أو مقاصده المعروفة[21] .

4 ـ عُرّف بأنه: جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً، وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية [22]، وفي هذا التعريف عدة أمور منها:

أ: أنه لم يُشترط في الموضوعي أن يكون من مقاصد القرآن بينما اشتُرط في تفسيرها أن يكون بحسب المقاصد القرآنية .

ب: أنه جعل دلالة القرآن على الموضوع إما أن تكون لفظاً أو حكماً وهذا إشارة إلى أن هذا الموضوع قد يكون مستنبطاً من القرآن وإن لم يرد لفظه .

ج: أنه لم يُدخل الوحدة الموضوعية في التفسير القرآني الموضوعي[23].

نشأة التفسير الموضوعي:

مر التفسير الموضوعي بمراحل متعددة، وكان يأخذ أنماطاً وأحوالاً متباينة حسب المراحل التي تدرج فيها، وكانت أحوال المسلمين عبر هذا المرحلة ومدى حاجتهم إلى هذا اللون من التفسير تلعب دوراً هاماً في بروز هذا التفسير، بحيث انتهى في آخر مراحلـــه علمـــاً له أصـــوله وقواعـــده، ونظريته التي ينطلق منها ويعتمد عليها، فأول مراحل هذا اللون من التفسير بدأت منذ عهد النبوة حيث كان النبي ﷺ - يفسر الآيات فيما يتعلق بالموضوع الواحد، ما يؤكد ذلك ما رواه البخاري عن ابن مسعود - رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾4[2] شـق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه ؟ فقال ﷺ: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح:﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾5[2] إنما هو الشرك6[2]

إذن المراد بالظلم في آية سورة الأنعام هو الشرك كما وضحت ذلك آية سورة لقمان، بهذا ندرك أن النبي ﷺ قد جمع بين آيتين في موضوع واحد، وغير ذلك كثير كان يعمـد إليه النبي ﷺ فقد كان يفسر آية فيها إبهام وإجمال بأية أخـــرى فيها بيان وتفصيل، دليـــل ذلك ما رواه البخـــاري بأنـه ﷺ فسّـــر مفاتح الغيب في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ [27]﴾فقال: مفاتيح الغيب خمسة: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ[28]﴾.

وهذا المنهج النبوي يمثُل اللبنات الأولى للتفسير الموضوعي9[2]، ثم أخذ الصحابة هذا المنهج عن رسول الله ﷺ فجمعوا بين الآيات التي يُوهم ظاهرها التعارض بين نصوص القرآن، ومن تلك الروايات ما رواه البخاري عن سعيد بن جبير أنه قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ فقد قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ0[3]﴾ وقال تعالى ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾1[3] ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَ اللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾2[3]فقـد كتمـــوا في هذه الآية ..... فأجابه ابن عبـــاس بقوله: أما قوله ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ..... ﴾ في النفخة الأولى، وقوله تعالى ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ في النفخة الثانية، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، عند ذلك يقول المشركون: تعالوا نقول﴿وَ اللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فيختم الله على أفواههم وتنطق أيديهم، عند ذلك يعرفون أن الله لا يُكتم حديثاً، وهذا قوله ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾3[3] كما اعتبر الباحثون أن ما قام به فقهاء الإسلام من جمع آيات الأحكام المتعلقة بكل باب من أبواب الفقه وشرحها والتوفيق بينها واستنباط الأحكام المختلفة منها من المراحل الأولى لنشأة التفسيـــر الموضوعي، وذلك كجمعهـــم للآيات المتعلقة بالصـــلاة في كتاب الصلاة، والآيات المتعلقة بالزكاة في كتاب الزكاة، وهكذا في سائر أبواب الفقه من العبادات والمعامـــلات والفرائض، مثال ذلك: كتاب أحكام القرآن الذي ألفه أبو بكر الجصاص، وكتاب أحكام القرآن الذي ألفه ابن العربي المالكي، وكل ذلك لون من ألوان التفسير الموضوعي في مراحله الأولى.

كما قام بعض العلماء بجمع الآيات القرآنية التي تندرج ضمن مبحث من مباحث علوم القرآن، وإفراد مؤلّف خاص بها، فقد ألف قتادة بن دعامة ت 117 هـ كتاباً في الناسخ والمنسوخ، كما ألف عبيدة بن القاسم بن سلام ت 224 هـ فيه أيضاً ويحيى بن سلام ت 200 ه في مجاز القرآن، و ابن قتيبة ت 276 هـ في تأويل مشكل القرآن، كما ألف ابن القيم ت 751 هـ كتاباً في أقسام القرآن .

وهكذا تتابع التأليف والجمع للآيات المرتبطة برباط واحد وتخدم قضايا وموضوعات متعلقة بالقرآن الكريم مما يمثل رحلة أكثر تقدماً اتجاه التفسير الموضوعي، وإن لم تكن قد بلغت غاياتها ولم تكن قد استوت على سوقها في تمثيل نظرية التفسير الموضوعي، واستمرت الجهود جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر، وكلما توالت العصور كانت الحاجة إلى بروز هذا اللون من التفسير أكثر، فقد كثرت البحوث والدراسات القرآنية حول قضايا معاصرة فرضتها حاجة الناس في هذا العصر، من أمثلة ذلك: " اليهود في القرآن " لمحمد عزت دروزه، ومنها " المرأة في القرآن " لعباس محمود العقاد[3]

المبحث الثاني: مادة خلق الإنسان

يمثل الإنسان في هذا الكون أعظم قيمة، فقد اصطفاه الله تعالى وجعله خليفة له في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[3]5ولذلك علّمه الأشياء كلها ولم تعرفها الملائكة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ... [3]6﴾، ثم اصطفى من بني الإنسان الرسل والأنبياء، وميز الله تعالى الإنسان وفضّله على سائر خلقه بالعقل والاختيار، فلم يجعل لغير الإنسان من خلقه اختياراً، ولذا حمل الإنسان الأمانة، فتكريم الله للإنسان بالعقل يقتضي أن يستثمره فيما ينفعه وينفع غيره، حتى يعمّر الأرض قال تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ[37]﴾

ويعد خلق الإنسان من آيات الله العظيمة لا سيّما إذا علمنا أن كل طور من أطوار خلقه هو آية في ذاته، وإخبار الله تعالى عن تلك الأطوار والمراحل لهو من الإعجاز العلمي، فالله الذي أتقن كل شيء خلقه قد أودع في الأجسام البشرية من عجائب الأسرار ما يدل على حكمة بالغة، لا يسع العقل إلا أن يقف أمامها خاضعاً خاشعاً لجلال الله الحكيم وعظيم قدرته وهذا هو منتهى التقويم الذي يتمثل فيه كل الاعتدال والاستواء:﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم[38]﴾.

من الواضح أنه قبل عملية خلق الإنسان قد أتى عليه وقت لم يكن فيه شيئاً يُذكر، كما أخبرنا الحق تبارك وتعالى عن ذلك فقال:﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً[39]﴾

وقوله تعالى مخاطباً عبده زكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا [40]﴾ ونظيره قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا[41]﴾.

دليل على أن المعدوم ليس بشيء[42] فالله عز وجل أتقن كل شيء صنعه، وأحسن كل شيء خلقه: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾[4]3من حيث كمال الخلق، ومع ذلك فقد خصّ الله الإنسان بُحسن التركيب، قال تعالى ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[44]وبحسن التعديل: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾[4]5 وهذا فضل عناية بهذا المخلوق المكرّم، وإشارة إلى أن هذا الإنسان له شأن عند الله تعالى، ووزن في نظام الكون[4]6 .

مادة الخلق:

يُعد الماء هو العنصر الأول الذي خلق الله منه كل شيء حي، باستثناء الملائكة فإنها مخلوقة من النور، والجن من النار، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[4]7ويدخل في قوله تعالى: ﴿كُلَّ شَيْءٍ ﴾ الإنسان، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً ﴾[4]8، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾[4]9.

جاء في المحرر الوجيز[5]0أن قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ....﴾ بيّن أنه ليس على عموم، فإن الملائكة والجن قد خرجوا عن ذلك، ولكن الوجه أن يُحمل على أعم ما يمكن، فالحيوان أجمع والنبات على أن الحياة فيه مستعارة داخل في هذا، وقالت فرقة المراد بـ (الماء) المني في جميع الحيوان .

وأورد القرطبـي في تفسيره[5]1 ثلاث تأويلات لذلك: أحدها: أنه خلق كل شيء من الماء، وثانيها: حفظ حياة كل شيء بالماء، وثالثها: وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي، لكن الأول هو الأرجح .

ومما يؤيده حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه حينما قال: قلت يا رسول الله: إذا رأيتك طابت نفسي، وقرّت عيني، فأنبئني عن كل شيء، قال: (كل شيء خلق من الماء) [5]2 .

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ [5]3﴾وفي موضع آخر قال تعالى:﴿فَلْيَنظُرْ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ [54]

وهو ماء له خصوصية، وهو المني الذي قال الله فيه: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى[5]5﴾، قـال الشعراوي: بمعنى أن كل شيء مذكور موجود، والتحقيق العلمي في ذلك: أن لكل شيء حياة تناسبه، وكل شيء فيه ماء بدليل قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ .... [5]6﴾.

وبيّن الشعراوي رحمه الله تعالى ـ أن هذه الآية استُدل بها على أن الحي المراد به الحياة الإنسانية التي نحياها، فالماء داخل في تكوين كل شيء، فالحيوان والنبات يعيشان على الماء، فإن فُقد الماء مات وانتهى، وكذلك الأدنى من الحيوان والنبات فيه مائية أيضاً[57].

أما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً ﴾ إشارة إلى أنه استدلال بدقيق آثار قدرة الله تعالى في تكوين الماء وجعلها سبباً لحياة مختلفة الأشكال والأوضاع، ومن أعظمها الماء الذي خلق الله منه أشرف الأنواع على الأرض وهي نطفة الإنسان فإنه يكون في أول الأمر ماء، ثم يتخلق منه البشر العظيم فالتنوين في قوله ﴿بَشَراً﴾ للتعظيم58.

ثم إن من الدلالات العلمية [1]التي يمكن استخلاصها من قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ ما يلي:

1 ـ إن الله تعالى خلق كل صور الحياة الأرضية الباكرة في الماء، لأن الأوساط المائية في بدء خلق الأرض كانت أنسب البيئات لاستقبال الحياة .

2 ـ إن الماء أعظم مُذيب يعرفُه الإنسان، ولذلك يُشكل الوسط المذيب للعديد من العناصر والمركبات التي يقوم بنقلها من تربة وصخور الأرض إلى مختلف أجزاء النبات ومن الطعام إلى مختلف أجزاء جسم كلٍ من الإنسان والحيوان وذلك لما له من درجة عالية من اللزوجة .

3 ـ إن الماء يشكل العنصر الأساسي في بناء أجساد جميع الكائنات الحية، فقد ثبت بالتحليل أن نسبة الماء في جسم الإنسان تتراوح بين حوالي 71 % في الإنسان البالغ 93 % في الجنينذي الأشهر المحدودة، بينما يكون الماء أكثر من 80 % من تركيب دم الإنسان وأكثر من 90 % من أجساد العديد من النباتات والحيوانات .

4: بالإضافة إلى منافعه العديدة، وفي مقدمتها أنه منظّم لدرجة حرارة الجسم لما لَهُ من سعة حرارية كبيرة، ومنظم لضغط الدم، ولدرجات الحموضة، فإن في نقصه تعطش الخلايا، ويضطرب عملها، وتتيبس الأنسجة، وتتلاصق المفاصل، ويتجلط الدم، ويوشك الكائن الحي على الهلاك .

5 ـ يغطي الماء حوالي 71 % من مساحة سطح الأرض المقدرة بنحو (510) ملايين كيلو متر مربع، بينما تشغل مساحة اليابسة حوالي 29 % من تلك المساحة، إذن هيأ الله تعالى الماء للقيام بدوره الرئيسي في أجساد كل أنواع الحياة النباتية والحيوانيـة

والإنسيــة ممــا يعتبر معجزة كبرى من معجزات الخالق تعالى الذي أنزل في محكم كتابه منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة قوله الحق: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

وجاء ذلك مباشرة بعد تقرير خلق السموات والأرض بعملية فتق الرتق، وهي من أعظم معجزات الخالق سبحانه وتعالى في إبداعه للكون .

ثــم يأتي العنصــر الثاني وهو التراب، وقد خلق منه أبو البشر آدم عليه السلام، قال تعالــى: ﴿إِنَّ مَثَـلَ عِيسَـى عِنْـدَ اللَّهِ كَمَثَـلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِـنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[5]9

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: ((لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن أخذ من الأرض قبضة من التراب ثم ألقى عليها الماء، فصارت مثل الحمأ المسنون، ثم أرسل عليها الريح فجفَّفها، حتى صارت صلصالاً كالفخار، ثم قدّر لها الأعضاء والمنافذ والأوصــال والرطوبات فصورها فأبدع في تصويرها، وأظهرها في أحسن الأشكال، وفصّلها أحسن تفصيل مع اتصال أجزائها، وهيأ كل جزء منها لما يُراد منه وقدّره لما خلق له عن أبلغ الوجوه، ففصّلها في توصيلها، وأبدع في تصويرها وتشكيلها فلما صارت جسداً مُصَوَّراً كأنه ينطق إلا أنه لا روح فيه ولا حياة، أرسل إليه روحه فنفخ فيه نفخة، وانقلب ذلك الطين لحماً ودماً وعظاماً وعروقاً وسمعاً وبصراً وشماً و لمساً وحركة وكلاماً، ثم أسجد له ملائكته فبادروا بالسجود تعظيماً وطاعة لأمر الواحد المعبود))0[6].

والآيات في ذلك كثيرة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾1[6]

قــال السعدي: إن في هذه الآية شروع في تِعداد آياته الدالة على انفراده بالأُلوهية وكمال عظمته، ونفوذ مشيئته، وقوة اقتداره وجميل صنعه وسعة رحمته وإحسانه فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ وذلـك بخلق أصل النسل آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾أي (الذي خلقكم من أصل واحد ومادة واحدة)وبثكم في أقطار الأرض وأرجائها ففي ذلك آيات على أن الذي أنشأكم من هذا الأصل هو الرب المعبود الملك المحمود الذي سيُعيدكم بالبعث بعد الموت2[6]، قال القرطبي: أي خلق إياكم منه ـ أي من التراب والفرع كالأصل3[6] .

وقــال تعــالى: ﴿يــا أَيُّهَا النّــاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْــبٍ مــنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ...﴾4[6].

هنا تحقيق للعلماء حول خلق الله الناس من تراب وهو أنه خلق أباهم آدم منه، ثم خلق منه زوجه ثم خلقهم منها عن طريق التناسل، فلما كان أصلهم الأول من تراب أطلق عليهم أنهم خلقوا منه ؛ لأن الفرع تبع الأصل5[6].

المبحث الثالث: أصل الخلق بين الإنسان والجن والملائكة

يقــول الله تعالــى: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۞ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾، خلق الله تعالى آدم عليه السلام من صلصال، وهو الطين اليابس الذي لم يُطبخ، فإنه مــن يُبسه له صلصلة، إذا حُرّك ونُقر كالفخار، أي أنّهُ من يُبسه وإن لم يكن مطبوخاً، كالذي قد طبخ بالنار، فهو يُصلصل كما يُصلصل الفخار، والفخار هو الذي طُبخ من الطين بالنار، ورد عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾6[6]قال: هو من الطين الذي إذا أمطرت السماء فيبست الأرض كأنه خزف رُقاق وورد عنه أيضاً قوله خلق الله آدم من طين لازب واللازب: اللزج من بعد حمإٍ مسنون منْتنٌ فخلق منه آدم بيده7[6] .

وقال ﷺ: ((خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما ذكر لكم))[6]8

أي خلق من طين، من تراب، من صلصال كالفخار، لأن التراب صار طيناً ثم صار فخاراً، فخلق منه آدم عليه السلام، ولهذا قال جل وعلا:﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾[6]9

وخلق الله الناس من تراب، يعني خلَق أباهم آدم منه:﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾[7]0 ولما خلق أباهم من تراب وكانوا تبعاً له في الخلق صدق عليهم أنهم خلقوا من تراب[7]1.

أما الجن فقد أخبر الله تبارك وتعالى أنهم خُلقوا من النار وذلك في قوله تعالى:﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[7]2 وقوله ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾[7]3.

والمارج هو ما اختلط بعضه ببعض من بين أحمر وأصفر وأخضر من قولهم: مرج أمر القوم: إذا اختلط، وأمر مريج : أي مختلط[7]4

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ ﴾ أي أبو الجن، وقيل الواحد من الجن، والمارج هو اللهب الذي لا دخان فيه، وقوله ﴿مِنْ نَارٍ﴾ بيانٌ لمارج: أي من لهب صافٍ كائن من النار[7]5

وورد في التحرير والتنوير لابن عاشور[7]6أن لفظ الجان يُقصد به الجن، والمراد به إبليس وما خرج عنه من الشياطين .

وقد حكى الله تعالى عنه:{ خلقتني من نار وخلقته من طين }، والمارج هو المختلط، وهو اسم فاعل بمعنى اسم المفعول مثل دافق، وعيشة راضية .

إن الجن عالم غير عالم الإنسان وعالم الملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإدراك ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر، ويخالفون الإنسان في أمور أهمها: أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان فهذا خُلق من نار، وذاك من تراب، وسُمُّوا جناً ؛ لاجتنانهم، أي: استتارهم عن العيون[7]7، وجاء في محكم التنزيل: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾[7]8 وجاء في مختار الصحاح أن الجن سميت بذلك لأنها تُتقي ولا تُرى، ومن ذلك الجنين: الولد ما دام في بطن أمه، والجمع أجنة [7]9.

ويقال: أجنُه الليل، وجنّ عليه الليل، إذا أظلم حتى يستره بظلمته، واستجن فلان إذا استتر بشيء[8]0.

والجن كبني آدم يأكلون ويشربون ويتناسلون، منهم المؤمنون ومنهم الكافرون وهم مكلفون ويُحاسبون ويُجازون قال تعالى ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً ۞ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً ﴾[8]1، مؤمنهم يدخل الجنة، وكافرهم في النار[8]2 .

قال ابن كثير[8]3: والحق أن مؤمنهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة، كما هو مذهب جماعة من السلف، والاستدلال بقوله تعالى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ[84]﴾

فقد امتن الله على الثقلين حيث قال: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [8]5﴾، بأن جعل جزاء محسنهم الجنة وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس فقالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد، فلم يكن الله تعالى ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم فقد أثنى عليهم النبي ﷺعندما قرأ سورة الرحمن على الناس فسكتوا فقال: الجن كانوا أحسن منكم رداً، ما قرأت عليهم:﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾، إلا قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد.

وقال الشيخ بن عثيمين في شرحه لحديث:((خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار ....)) ، إن فـي ذلك دليل على أن الجن هم ذرية الشيطان الأكبر، الذي أبى أن يسجد لآدم، وقال: أنا خير منه خلقتني من نار، وخلقته من طين، فالجن كلهم مخلوقون من النار، ولهـذا كثير منهـم الطيش والعبث والعدوان على كل من يستطيعون العدوان عليه6[8].

أمـا الملائكـة فخُلقت من النور، مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ:((خُلقـت الملائكـة من النور، وخُلق الجان من مـارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم)).

وقد خلقت الملائكة قبل آدم عليه السلام ـ والدليل على ذلك أن الله جل وعلا ـ أمرهم بالسجود لآدم عليه السلام ـ فسجدوا: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَـا مَـنْ يُفْسِـدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ 7[8]﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . 8[8]﴾، ولكن بكم ؟ ..... لا يعلم ذلك إلا الله وحده .

والملائكة عباد الله وخلقه كالإنس والجن، مأمورون مكلَّفون، والموت عليهم جائز، ولكن الله جعل لهم أجلاً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، وهم لا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى[89].

منهم حملة العرش: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ 0[9]﴾، ومنهم الصافون:﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴾1[9]، ومنهـم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار:﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ...﴾2[9] ومنهم كتبة الأعمال:﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾3[9]

ولكل ملك وظيفة، فجبريل موكَّل بالوحي، وإسرافيل موكَّل بنفخ الصور، وميكائيل موكل بالقطر والنبات، ومالك خازن النار، ورضوان خازن الجنة 4[9] .

وهم منقطعون دائماً لعبادة الله تعالى وطاعة أمره ـ وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه فقال جل وعلا ﴿:إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾5[9]، لا ينالهم سأم ولا عجز ولا فتور في العبادة6[9]

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: ((أطّت السماء وحُق لها أن تنط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ساجداً لله))7[9]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم)) 8[9] فذلك قوله تعالى ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ۞ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۞ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾.

وعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف، إلا وفيه ملك قائم أو ملك راكع، أو ملك ساجد، فإذا كان يوم القيامة، قالوا جميعاً: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنّا لم نشرك بك شيئاً))9[9]

وجاء في شرح رياض الصالحين لابن عثيمين حديث:((خُلقت الملائكة من النور...)) أن الملائكة خلقوا من النور، ولذلك كانوا كلهم خيراً، لا يعصون الله ولا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وقد عصمهم الله تعالى من المعصية00[1]، وحفظهم من الذنوب﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾01[1]

ومن صفاتهم الخَلقية02[1]: أنهم أولوا أجنحة كما أخبر بذلك القرآن الكريم، فقال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾03[1].

أيضاً وهبهم الله تعالى القدرة على التمثل بصور البشر فقال عز وجل عن جبريل عليه السلام في قصة مريم ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾04[1]، وقالفي قصـــة ضيـــف إبراهيـــم عليه السلام من الملائكة الذين جاءوه على صورة بشر ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْـــفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾، وقد كان جبريل عليه السلام يتمثل في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه05[1] .

فعـــن أبي عثمان النهدي أنه قال: أُنبئتُ أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة، فجعل يحدث ثم قام فقال النبي ﷺ لأم سلمة من هذا ؟ أو كما قال، قال: قالت: هذا دحية، قالت أم سلمة، أيم الله ما حسبته إلا إياه، حتى سمعت خطبة نبـي الله ﷺ يخبر خبر جبريل عليه السلام.

الخـــاتمـــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً و بعد ..

فلقد تبين من خلال البحث في الموضوع نتائج مهمة، أجملها في الآتي:

1 - إن تجدد حاجة البشرية وبروز أفكار جديدة على الساحة الإنسانية وانفتاح ميادين للنظريات العلمية لا يمكن تغطيتها ولا رؤية الحلول لها إلا باللجوء إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم .

2 - التفسير الموضوعي موجود منذ عصر التنزيل، وإن لم يكن معروفاً بهذا الاسم وهو جمع الآيات التي تناولت قضية ما والجمع بين دلالاتها وتفسير بعضها لبعض ما أطلق عليه العلماء فيما بعد تفسير القرآن بالقرآن .

3 - ذكر الله تعالى خَلْق الأرض أولاً ؛ لأنها كالأساس، والأصل أن يبدأ بالأساس ثم بعده بالسقف كما قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ... ﴾.

4 - مرور خلق الإنسان بمراحل وأطوار عدة هو من أعظم الآيات الدالة على حكمة الله وقدرته مما يجعل العقل يقف أمامها خاضعاً خاشعاً لجلال الله وعظمته .

5 - إن في القرآن الكريم والسنة النبوية مصطلحات تصف مراحل الجنين، وهي منطبقة مع قواعد تحديد المصطلحات في ضوء المعارف المعاصرة .

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم، برواية الإمام حفص عن عاصم.

1 – الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، لزغلول النجار، مقال رقم 239، لسنة 2003 من ذي القعدة 1423 ه.

2 - أضواء البيان: الشنقيطي، تح عطية سالم، د ت .

3 – آيات الله في الإنسان: محمد راتب النابلسي، مؤسسة الفرسان - عمان، ط1، 1434 هـ - 2013 م.

4 - الإيمان بالملائكة وبيان صفاتهم: على بن نايف الشحود، ط1، 1430 هـ 2009 م.

5 – البحر والمحيط، تح عادل أحمد وعلي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1422 هـ.

6- البداية في التفسير الموضوعي، مطبعة الحضارة العربية، ط2، 1977 م.

7 - البداية والنهاية، تح عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر - الجيزة، ط1، 1417 هـ، 1997 م.
8 - البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو فضل، دار المعرفة - بيروت ، د ت .
9 – التبيان في أقسام القرآن: لابن القيم، دار الفكر، ط، 2009 م.
10 – تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية، محمد عمر بازمول، كلية الدعوة - أم القرى، د.ت.ط.
11 – التعريفات: الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، تح إبراهيم الابياري، ط 1504/9.

12 – التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة - القاهرة ، د ت.
13 - الحبائك في أخبار الملائك: جلال الدين السيوطي، تح محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1 1985 م .
14 - سنن ابن ماجة، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت ، د ت.
15 – شرح الأربعين النووية، للإمام النووي، سليمان محمد اللهيميد، د ت، .
16 – شرح رياض الصالحين: ابن عثيمين، موقع جامع الحديث النبوي.
17 - صحيح البخاري، للإمام البخاري (محمد عبد الله محمد بن إسماعيل) تح مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير - بيروت،ط3 1407 هـ - 1987 م .
18 - عالم الجن والشياطين: عمر بن سليمان العتيبي، مكتبة الفلاح - الكويت،ط4، 1404 هـ، 1984.
19 - العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال.
20- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ط 1379 هـ .
21- القرآن وإعجازه العلمي: محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، مصر، د ت .
22- قصة الصراع بين آدم وإبليس: محمد حسين، د ت .
23 - الكليات، تح عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1 1419 هـ - 1998 م.
24- لسان العرب: ابن منظور، تح عبد الله الكبير وآخرين، دار المعارف - بيروت، د ت .
25- مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط8، 1434هـ .
26- محاضرات في تفسير الموضوعي: عباس عوض الله، دار الفكر - دمشق ط .2007
27- مختار الصحاح، الرازي، تح محمود خاطر، مكتبة لبنان - بيروت، ط 1995 م، ص 113 .
28- المدخل إلى التفسير الموضوعي: عبد الستار فتح الله، كلية أصول الدين - القاهرة 2006.
29- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس، تح عبد السلام محمد، دار الفكر، ت ط 1399 هـ - 1979 م.
30 - مسند الإمام أحمد، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، 1999 م.
31 - مفردات غريب القرآن، تح محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت، د ت .
32 - وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، عبد السلام حمدان، الجامعة الإسلامية، غزة، د ت.

[3]3 محاضرات في التفسير الموضوعي، عباس عوض الله، دار الفكر ـ دمشق ط 2007، ص 13 ـ 14 .

1. [1] سورة الفرقان الآية: 33
2. [1] انظر: لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله الكبير وآخرين، دار المعارف ـ بيروت، 5412/5، مادة (فسر).
3. [1] لأبي الحسن أحمد بن فارس، تح عبد السلام محمد، دار الفكر، ت ط 1399 هـ ـ 1979 م، 504/4 .
4. [1] انظر: مفردات غريب القرآن، تح محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ـ بيروت، ص 380 .
5. [1] انظر: الكليات، تح عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط1 1419 هـ ـ 1998 م، ص 260 .
6. [1] انظر: البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو فضل، دار المعرفة ـ بيروت، 13/1 .
7. [11] انظر: البحر والمحيط، تح عادل أحمد وعلي محمد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط 1422 هـ، 121/1 .
8. [1] انظر: التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ 13/1 ـ 14 .
9. [1] سورة النساء الآية:44 .
10. [1] انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي: عبد الستار فتح الله، كلية أصول الدين ـ القاهرة 2006، ص 19.
11. [1] انظر: التعريفات: الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، تح إبراهيم الابياري، ط 1504/9، ص 305 .
12. [1] انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط8، 1434، ص 16 .
13. [1] انظر: وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، عبد السلام حمدان، الجامعة الإسلامية، غزة، د.ت.ط، ص 11 .
14. [1] عبد الحي الفرماوي: أستاذ جامعي من علماء الأزهر الشريف، له مشاركات في علوم القرآن، وله رسالة دكتوراه " بعنوان " رسم المصحف ولفظه " .
15. [1] انظر: البداية في التفسير الموضوعي، مطبعة الحضارة العربية، ط2، 1977 م، ص 52 .
16. [1] وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، ص 11 .
17. [1] مباحث في التفسير الموضوعي، ص 16 .
18. [1] انظر: تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية، محمد عمر بازمول، كلية الدعوة ـ أم القرى، د.ت.ط، ص 17 .
19. [1] انظر: التفسير الموضوعي: حسن الكومي، ص 23 .
20. [1] انظر: تحرير التفسير الموضوعي: محمد عمر بازمول، ص 14 ـ 15 .
21. [1] انظر: دراسات في التفسير الموضوعي: زاهر عواض الألمعي، ص 17 .
22. [1] انظر: تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية، ص 16 ـ 17 .
23. [1] سورة الأنعام: الآية 82.
24. [1] سورة لقمان: الآية 13 .

25. [1] أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب: الإيمان، باب: ظلم دون ظلم (رقم الحديث (32)،21/1، انظر: صحيح البخاري، للإمام البخاري (محمد عبد الله محمد بن إسماعيل) تح مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير - بيروت،ط3 1407 هـ - 1987 م .
26. [1] سورة الأنعام: الآية 59 .
27. [1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة الرعد، رقم الحديث (4420)، 1733/4 .
28. [1] انظر: وقفات مع التفسير الموضوعي: عبد السلام حمدان، ص 12 .
29. [1] سورة المؤمنون: 101 .
30. [1] سورة الصافات: الآية 50 .
31. [1] سورة الأنعام: الآية 23 .
32. [1] أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة السجدة، رقم الحديث (4537)، 1814/4 .
33. [1] وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي: عبد السلام حمدان، ص 14 - 17 .
34. [1] سورة البقرة الآية: 30 .
35. [1] سورة البقرة الآية: 31 .
36. [1] سورة الإسراء الآية:70 .
37. [1] القرآن وإعجازه العلمي: محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، مصر، ص 106 .
38. [1] سورة الإنسان الآية: 1.
39. [1] سورة الأنبياء:الآية: 30 .
40. [1] سورة الفرقان: الآية: 54 .
41. [1] أضواء البيان: الشنقيطي، تح عطية سالم، 434/4 .
42. [1] سورة الملك الآية: 2.
43. [1] سورة الانفطار الآية: 8 .
44. [1] سورة الانفطار الآية: 7
45. [1] آيات الله في الإنسان: محمد راتب النابلسي، مؤسسة الفرسان - عمان، ط1، 1434 هـ - 2013 م، ص 15 .
46. [1] سورة الأنبياء الآية: 30
47. [1] الموسوعة القرآنية: عبد الحي الفرماوي، ص 780 .
48. [1] سورة النور الآية: 45 .
49. [1] لابن عطية الأندلسي، 446/4 .
50. [1] الجامع لأحكام القرآن،248/11.
51. [1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده: مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حيث رقم (7932) 314/13، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، 1999 م.
52. [1] انظر: البحر المحيط، 274/6 .
53. [1] سورة الطارق الآية: 5 - 7 .
54. [1] انظر: تفسير الشعراوي، 54/7 .
55. [1] سورة الأنفال الآية: 24 .
56. [1] تفسير الشعراوي، 58/5.

57.[1] انظر: التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، 55/19 .
58.[1] الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزي دلالتها العلمية: لزغلول النجار، مقال رقم 239، لسنة 2003 من ذي القعدة 1423 هـ، ص 12 - 16 .
59.[1] سورة آل عمران الآية: 59 .
60.[1] انظر: التبيان في أقسام القرآن: لابن القيم، دار الفكر، ط، 2009 م، ص 202 .
61.[1] سورة الروم الآية: 20 .
62.[1] تيسير الكريم: الرحمن في تفسير كلام المنان، 639 .
63.[1] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 17/14 .
64.[1] سورة الحج الآية: 5 .
65.[1] انظر: أضواء البيان: الشنقيطي، 25/23
66.[1] سورة الرحمن الآية: 14 - 15 .
67.[1] جامع البيان: الطبري، 24/22 - 26 .
68.[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة حيث رقم (7687)، 226/8 .
69.[1] شرح رياض الصالحين: ابن عثيمين، موقع جامع الحديث النبوي، ص 2225 .
70.[1] سورة آل عمران الآية: 59 .
71.[1] أضواء البيان: الشنقيطي، 24/4 .
72.[1] سورة الحجر الآية: 25 .
73.[1] سورة الرحمن الآية: 15 .
74.[1] الصحاح: الجوهري، 364/2، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص 262 .
75.[1] أضواء البيان: الشنقيطي، ص 18 - 20 .
76.[1] 245/17 .
77.[1] عالم الجن والشياطين: عمر بن سليمان العتيبي، مكتبة الفلاح ـ الكويت،ط4، 1404 هـ، 1984 م، ص 11.
78.[1] سورة الاعراف الآية: 27 .
79.[1] الرازي، تح محمود خاطر، مكتبة لبنان ـ بيروت، ط 1995 م، ص 113 .
80.[1] كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، 21/6 .
81.[1] سورة الجن الآية: 14 - 15 .
82.[1] قصة الصراع بين آدم وإبليس: محمد حسين، دت . ط، ص 16 .
83.[1] البداية والنهاية، تح عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر ـ الجيزة، ط1، 1417 هـ، 1997 م، 133/1، 134 .
84.[1] سورة الرحمن الآية: 46 .
85.[1] سورة الرحمن الآية: 16 .
86.[1] شرح رياض الصالحين، ص 2225 .
87.[1] سورة البقرة الآية: 30 .
88.[1] الحق المبين في معرفة الملائكة المقربين: محمد علي محمد، مطبعة السلام، مصر، ط1، 2007 م، ص 37.
89.[1] الحبائك في أخبار الملائك: جلال الدين السيوطي، تح محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1 1985 م، ص 9 .

90. [1] سورة الحاقة الآية: 7 .
91. [1] سورة الصافات الآية: 165 .
92. [1] سورة غافر الآية: 49 .
93. [1] سورة الانفطار الآية: 10 - 12 .
94. [1] شرح الأربعين النووية، للإمام النووي، سليمان محمد اللهيميد د ت ، ص 9 .
95. [1] سورة الاعراف الآية: 206 .
96. [1] الإيمان بالملائكة وبيان صفاتهم: على بن نايف الشحود، ط1، 1430 هـ 2009 م، ص 8 .
97. [1] أخرجه ابن ماجة في سننه، باب الحزن والبكاء، حديث رقم (4190)، 1402/2، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت .
98. [1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث المشايخ عن أبي كعب، حديث رقم (21516)، 405/35 .
99. [1] فتح الباري، شرح صحيح البخاري، حديث رقم (2967)، 492/9، دار المعرفة - بيروت، ط 1379 هـ .
100. [1] ص 2225 .
101. [1] سورة التحريم الآية: 6.
102. [1] الإيمان بالملائكة وبيان صفاتهم، على بن نايف الشحود، ص 6 .
103. [1] سورة فاطر الآية: 1 .
104. [1] سورة مريم الآية: 17 .
105. [1] الإيمان بالملائكة وبيان صفاتهم: علي بن الشحود، ص6.

المنهج العقلي عند الإمام أبي الحسن الأشعري

✍.د/ يوسف موسى علي عبدالله ابوعليقة
كلية الآداب
والعلوم الشقيقة - جامعة غريان

مستلخـص البحث :

يعد الإمام أبي حسن الأشعري أحد رواد الفكر الإسلامي السني الأصيل، كما يعد منهجه العقدي استئنافاً للنظر العقلي الموصول الذي دعا إليه الإسلام وحث عليه،كما أنه امتداد شرعي لمذهب أهل السنة والجماعة الذي كان ولا زال مذهباً رسمياً لكبار الأئمة المسلمين من أمثال: مالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل، وغيرهم كثير، والجدير بالذكر أن هذا المذهب قد أسهم بشكل كبير في تحصين المعتقد الإسلامي، والحفاظ على جوهر التوحيد القائم على الإثبات المفصل والتنزيه المطلق، وذلك باعتماد أدوات النظر العقلي السديد، دون تنكر للنقل بوصفه أساس الواجبات العقدية كلها، من هنا يعد ظهور مذهب الأشاعرة على يد الإمام أبي حسن الأشعري نقطة تحول في تاريخ أهل السنة والجماعة التي دعمت منهجها العقدي بالأساليب الكلامية العقلية المبنية على المنطق

والقياس؛ فقد أثبت الإمام الأشعري بهذا أن تغيير المقدمات المنطقية مع استخدام نفس الأدوات التحليلية المعرفية يمكن أن يؤدي إلى نتائج مختلفة.

Summary:

Imam Abi Hassan Al-Ash'ari is one of the pioneers of authentic Sunni Islamic thought, and his doctrinal approach is also an appeal to the connected mental consideration called for and urged by Islam, and it is also a legitimate extension of the doctrine of the Sunnis and the community, which was and still is an official doctrine of the major Muslim imams such as: Malik bin Anas Al-Shafii and Ahmed bin Hanbal, and many others, It is worth noting that this doctrine contributed greatly to fortifying the Islamic belief, and preserving the essence of monotheism based on detailed proof and absolute impartiality, by adopting the tools of sound mental consideration, without denying the transfer as the basis of all contractual duties, Hence the emergence of the Ash'ari school of thought at the hands of Imam Abi Hasan Al-Ash'ari is a turning point in the history of the Sunnis and the group that supported its doctrinal approach with the rhetorical and mental methods based on logic and measurement; Imam Al-Ash'ari has proven by this that changing logical premises while using the same cognitive analytical tools can lead to different results.

المبحث الأول
حياتـه وبيئته الفكريـة

اسمه:

هو أبو الحسن على بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم، بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة، عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري اليماني البصري _ صاحب رسول الله صلى الله عيه وسلم_ [1]، وهذا يدل على أن نسبه: يرجع إلى أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل، وقد لقب بالمتكلم لما أشتهر به غير أنه لم يكن كذلك في التصنيف، وهو ما أكده أبو محمد الحسن بن محمد العسكري، بقوله :" كان صاحب نظر في المجالس وإذا إقدام علي الخصوم ، ولم يكن من أهل التصنيف..." [2]. وقد لقب الأشعري بعد مماته بناصر الدين، جاء في كتاب ابن عساكر " ... ونودي علي جنازة ناصر الدين" [3].

مولده:

اختلفت المصادر والتراجم التي كتبت عن الأشعري في تحديد سنة ميلاده و وفاته، إلا أنها تجمع علي أن مولده كان بالبصرة ، وأنه نشأ فيها وظل بها فترة طويلة من حياته؛ ثم غادرها وسكن بغداد؛ ولهذا يقولون عنه:" بصري سكن بغداد" [4] . إلى أن توفي ووري جثمانه ودفن بها سنة ثلاثمائة وأربع وعشرين هجرية على الأرجح،أما صاحب وفيات الأعيان يشير إلى إن: مولده سنة سبعين وقيل ستين ومائتين بالبصرة (270 أو 260 هـ) [5]، وهو ما يؤكده التاج السبكي بقوله: ولد سنة ستين ومائتين 260هـ [6].

وفاتـــه:

أما وفاتـــه فيجمل لنا أقوالهم الحافظ ابن عساكر؛ مؤكد على إن: وفاته سنة أربع وعشرين وثلاثمائة للهجرة، وقيل سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، وقيل سنة ثلاثين. والأصح أنه مات ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة سنة 324هـ؛ وقد وري جثمانه ودفن في مشرعة الزوايا في تربة إلى جانبها مسجد وبالقرب منها حمام وهو عن يسار المار من السوق إلى دجلة. وكذلك ذكر أبو بكر بن فورك [7].

بيئته الفكرية:

لم يترجم الباحثين لحياة إسماعيل بن إسحاق والد الإمام أبى الحسن الأشعري، وكل ما تذكره المصادر أنه كان سنياً جماعياً ، وقد أوصى إسماعيل بن إسحاق قبل وفاته إلي زكريا يحيي الساجي ،أن يتولى تعليم ولده أبي الحسن، فأخذ عن الساجي الحديث في مقتبل عمره ،وهو ما يشير إليه محمد السيد الجليند ،على أن نبوغ الأشعري كان على يد الفقهاء والمحدثين قبل زواج علي الجبائي بأمه؛مؤكداً ذلك بقوله:" يمكن أن نتوقع نبوغ الأشعري علي يد الفقهاء والمحدثين قبل زواج الجبائي بأمه " [8].

الجدير بالذكر أن جُل المصادر لم تشير إلى فترة نشأته الأولى، وبداية أخذه للعلم وشيوخه ؛ إلا ما تحكيه أنه نشأ على الاعتزال، رابطة زواج أمه من علي الجباي بولائه للاعتزال . أما الفترة التي تسبق زواج أمه بالجبائي ،لم تذكر عنه المصادر أي شيء.

في هذا الصدد، يشير محمد أبو زهرة إلى أن الإمام الأشعري: "درس في نشأته علوم الإسلام الأولى حفظ القرآن وطائفة من الأحاديث، ومقداراً من الأحكام الفقهية يتعرف منها أوامر دينه وكان من الممكن أن يسلك مسلك الفقهاء والمحدثين وكان علم هؤلاء علم رواية وتفريع الأحكام وتخرجها على أصولها من الكتاب أو السنة أو القياس الفقهي، وكان في نفسه نزوع إلي الدراسات العقلية في ظل المبادئ الإسلامية ولم يجد هذا إلا عند المعتزلة" [9].

هذا عن بداية أخذه العلم؛ أما بعد هذه الفترة فالأشعري تتلمذ علي يد جهابذة كبار كانوا أئمة في زمانهم، عرفوا بالعلم والفضل ومن بين الشيوخ الذين أخذ عنهم الأشعري شيخ المعتزلة أبي علي الجبائي [10]، الذي لازمه ملازمة طويلة قيل أنها استمرت أربعين عاماً ووهو ما يؤكده الإمام السبكي:" يقال أقام في الاعتزال أربعين سنة" [11].

وقد أخذ عن الجبائي علم الجدل والنظر، وله معه مناظرات في الثلاثة الأخوة وغيرها؛ وعندما قدم إلى بغداد التحق بابي إسحاق المروزي.[12] الفقيه الشافعي فأخذ الفقه

عنه، والجدير بالذكر أن الإمام الأشعري كان يأخذ مذهب الشافعي عن أبي إسحاق المروزي، وأن إسحاق المروزي يأخذ عنه علم الكلام؛ لذلك كان يجلس في حلقته [13].

نستنتج من هذا أن التواصل بين الأشعري والشافعي كان سبباً رئيسياً في تحول الأشعري إلى مذهب أهل السنّة، لأن الشافعي جمع بين الأصول والفروع، وتوسط بين أهل الرأي وأهل الحديث، فكان مذهبه أقصد المذاهب وأوسطها، بالتالي أثّرت عبقرية الشافعي في الأشعري، وهو ما يؤكده عبد الرحمن بدوي نقلاً عن السبكي قوله: ذكر غير واحد من الإثبات أن الشيخ أبا الحسن الأشعري كان يأخذ مذهب الشافعي عن أبى إسحاق المروزي [14].

كما يتبين من هذا أن الأشعري أخذ في البصرة علم الكلام علي طريقة الاعتزال وعلم الحديث كما أخذ الفقه الشافعي فيها، أما في بغداد فقد درس الفقه الشافعي مما يدل علي أنه كان معتزلياً شافعياً في البصرة.

زهـــــــده:

تعد شخصية أبي الحسن الأشعري من الشخصيات التي تمثل تلك العقيدة الصافية التي امتازت بالزهد والعفة؛حيث يروى أنه كان كثير التعبد حتى قيل:" أنه ظل قريباً من عشرين سنة يصلى الصبح بوضوء العتمة ولا يحكى عن اجتهاده شيئاً إلى أحد" [15]، وفي هذا دلالة على إخلاصه لله.

كما يروى الإمام أحمد بن علي الفقيه عن مناقب الأشعري، فيقول:" خدمت أبا الحسن بالبصرة سنتين وعاشرته ببغداد إلي أن توفى رحمهُ الله فلم أجد أروع منه، ولا أغض طرفاً ولم أر شيخاً أكثر حياء منه في أمور الدنيا، ولا أنشط منه في أمور الآخرة" [16].

وأما ابن النديم فيروى أن الأشعري:" كان فيه دعابة ومزح كبير"[17]، وقال عنه ابن خلكان: "وكان يأكل من غَلة ضيعةٍ وقفها جده بلال بن أبي بردة بن أبى موسى علي عقبة وكانت في كل يوم سبعة عشر درهما هكذا قاله الخطيب" [18].

انتمائه لأهل السنة :

ذكر القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك قولاً يبين فيه الحقيقة التي لا تترك مجالاً للشك في انتماء الإمام أبي الحسن الأشعري لمذاهب أهل السنة والجماعة ،وظل شيخ لهم يعلمهم مجال الاشتغال العقدي، فقد تعلموا علي يديه أساليب الدفاع عن العقائد الدينية حتى أصبح مصطلح الأشعرية مرادفاً لمصطلح أهل السنة؛ موضحا ذلك بقوله: "... فلما كثرت تواليفه – الإمام الأشعري- وانتفع بقوله، وظهر لأهل الحديث والفقه نبه عن السنن والدين، تعلق بكتبه أهل السنة، وأخذوا عنه، ودرسوا عليه، وتفقهوا في طريقه، وكثر طلبته وأتباعه لتعلم تلك الطرق في الذب عن السنة، وبسط الحجج والأدلة في نصرة الملة فسموا باسمه وتلاهم أتباعهم وطلبتهم، فعرفوا بذلك وإنما كانوا يعرفون قبل ذلك بالمثبتة، سمة عرفتهم بها المعتزلة، إذ أثبتوا من السنة والشرع ما نفوه... فكذلك أبو الحسن، فأهل السنة من المشرق والمغرب بحججه يحتجون، وعلى منهاجه يذهبون، وقد أثنى عليه غير واحد منهم، وأثنوا على مذهبه وطريقه" [19].

نستخلص من ذلك إن الإمام أبو الحسن الأشعري بمنهجه الوسطي الذي استعمله في الدفاع عن عقائد أهل السنة والجماعة ،استطاع أن يتدرج بمفكري هذه العقائد وفقهائها،من مستوى النظرة الضيقة للنصوص العقدية أو القراءة الحرفية لتلك النصوص والتي تنتهي حتماً إلى إقرار عقيدة التشبيه والتجسيم المرفوضة إسلامياً؛ إلى مستوى سامٍ من التفكير العقلاني الذي يحقق التنزيه المطلق.

المبحث الثاني
تعريف العقل والنقل

أولاً: تعريف العقل لغةً:

بادي ذي بد لابد أن نفهم معنى العقل ونتعرف على معنى هذه الكلمة في اللغة العربية وما المقصود بها في المعاجم العربية، فالعقل في اللغة يطلق على الحِجر والنُّهى، وهو ضد الحمق، ويطلق ويراد منه: الفهم والتمييز: "الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق، والجمع عُقول، وهو مصدرُ (عَقَلَ) يَعقِلُ عقلاً فهو معقولٌ وعاقلٌ، ويقال فيه أيضاً: عَقَلَ الدواء بطنه، أي أمسكَهُ، وعَقَلَ البَعيرَ: إذا شدَّ الساق إلى بقية الذراع بحبل واحد لمنعه من الهرب"[20] ، وقال ابن الأنباري "رَجُلٌ عاقِلٌ وهو الجامع لأَمره"، "وقيل العاقِلُ الذي يَحْبِس نفسه ويَرُدُّها عن هَواها أُخِذَ من قولهم قد اعْتُقِل لِسانُه إذا حُبِسَ ومُنِع الكلامَ". وقال الراغب في (المفردات) مادة: ع ق ل : "العَقْلُ: يقال للقُوَّةِ المُتَهَيِّئَةِ لقَبولِ العِلم، ويقال للذي يَسْتَنبِطُه الإنسانُ بتلكَ القوَّةِ: عَقْلٌ " [21].

أما في القاموس المحيط، يقال: عقل الشيء فهمه معقول أي مفهوم، العقل نور روحانيٌ تدرك به النفس الأمور الضرورية، والفطرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد في الرحم، ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ [22].

جاء في تاج العروس لمرتضى الزبيدي المتوفى 1205هـ العقل:" العِلم وعليه اقتصرَ كثيرون، وفي العُباب: العَقْل: الحِجْرُ والنُّهْيَة ومثلُه في الصِّحاح وفي المُحكَم العَقْل: ضِدُّ الحُمق، أما في القاموس المحيط فكلمة العَقْلُ جاءت لتعني :"العِلْمُ بِصفاتِ الأَشْياءِ من حُسْنِها وقُبْحِها وكمَالِها ونُقْصانِها أو العِلْمُ بِخَيْرِ الخَيْرَيْنِ وشَرِّ الشَّرَّيْنِ أو مُطْلَقٌ لأُمورٍ أو لقُوَّةٍ بها يكونُ التمييزُ بين القُبْحِ والحُسْنِ ولِمَعانٍ مُجْتَمِعةٍ في الذِّهْنِ يكونُ بِمُقَدِّماتٍ يَسْتَتِبُّ بها الأَغْراضُ والمصالِحُ ولهَيْئَةٍ مَحْمودةٍ للإِنْسانِ في حَرَكاتِه وكَلامِه" [23].

ثانياً: في الاصطلاح:

تعدد تعريفات العقل بتعدد الباحثين والعلماء، فمنهم ابن منظور الذي عّرفه بأنه: " جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان" وقيل: " العقل نوراً في القلب يعرف الحق والباطل"، وقيل : "هو جوهراً مجرد من المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصريف" [24] ، وقيل العقل: "ما يعقل به حقائق الأشياء ومحله الرأس وقيل محله القلب" [25].

واختلفوا علماء الكلام أيضا في تعريفاتهم للعقل فهذا مثلاً الحارث المحاسبي، يُعرف العقل بأنه: "غريزة لا يعرف إلا بفعله في القلب والجوارح، لا يقدر أحدٌ أن يصفه في نفسه ولا في غيره بغير أفعاله"[26] ، وهو قول الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -

ومعظم السلف، إلا أن المحاسبي أضاف لقول الإمام: إن العقل غريزة؛ كلمة (نور)، فقال لما سئل عن العقل: "هو نور الغريزة، مع التجارب يزيد، ويقوى بالعلم وبالحِلْم" [27] .

أما إمام الحرمين الجُوَيني؛ فيعرف العقل بقوله:" العقل غريزة يتأتَّى بها درك العلوم وليست منها، إنه صفة إذا ثبت بها التوصُّل إلى العلوم النظرية ومقدِّماتها من الضروريات التي هي مستند النظريات، وهي منه بناءً على أن العقل ليس بعلم، هذا ما نقله عنه السبكي في كتابِه طبقات الشافعية الكبرى" [28].

أما القاضي عبد الجبار فيعرف العقل بأنه:" العلم بوجوب الواجبات العقلية واستحالة المستحيلات وجواز الجائزات ومجزي العادات أي الضروريات التي يحكم بها بجريان العادات من أن الجبل لا ينقلب ذهباً" [29] .

أما أبو الحسن الأشعري يعرف العقل في كتابه مقالات الإسلاميين بقوله: "الأصل في العقل: العقد والإمساك، وبه سمي إدراك الإنسان إدراكاً يعقد عليه عقلاً، وما أدركه عقلاً، والقوة التي يزعم أنها إحدى القوى التي يتصرف بها الإنسان، يميّز بها بين الخير والشر، والحق والباطل عقلاً، ويقابله الجنون والسفه، والحمق والجهل باعتبارات مختلفة [30] ، وأكد ذلك بقوله: العقل هو العلم كما أنه القوة والقدرة على اكتساب العلم"، أو " هو العلم ببعض الضروريات الذي سميناه بالعقل بالملكة" [31] .

فالعقل إذن من خلال ما ذكر من تعريفات ؛ جوهر الإنسان ومركزه في الدماغ، ونوره في القلب، وبدونه يفقد الإنسان ميزنه، فهو صفة ينتقل بها الإنسان من العلم بالضرورة إلى العلم بالنظريات، وانه متوقف على سلامة آلاته التي هي الحواس، فلولا العقل لما كان هناك تكليف لصاحبه، فهو الذي يساعد على فهم النص القرآني وما جاء به الشرع.

إذن العقل هو الذي من خلاله يتم دراسة النصوص والنقول وفهمها لاستنباط الأحكام الشرعية والاستدلال بكل دليل في مكانه، فما غاب عن العقل من فهم نصٍّ في قرآن أو صحيح سنة فيسلَّم به المؤمن، قال الله تعالى :﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ سورة الجن: 13 .

والجدير بالذكر أن مادة (عقل) وتصاريفها وردت فقط في تسع وأربعين آية من آيات القرآن الكريم، وجاء ذكر معناه في ست عشرة آية أخرى بمادة "اللب" ومثلها بمادة "الفؤاد"، وذلك عدا ما ورد بألفاظ أخرى تحتمل معانيها أن يكون المراد العقل، وتحتمل سواه.

تعريف النَّقْلُ:

فيقصد به في اللغـــة: تـحويلُ الشيء من موضع إلـى موضع، نَقَله يَنْقُله نَقْلاً فانتَقَل، والتَّنَقُّل: التَّـحوُّل [32].

واصطلاحاً: ما انتقل عبر الأجيال من موروث ثقافي وحضاري ويقصد به في الفكر الإسلامي خاصة القرآن والسنة ؛فيقال لأدلة الكتاب والسنة: الأدلة النقلية، ويقال لها

السمعية ويقال لها: الخبرية والأدلة المأثورة، وكلها بمعنى واحد، وهي الأدلة المسموعة المنقولة عن كتاب الله العزيز والسنة المطهرة أو الأدلة التي نقلها إلينا نقلة الحديث والرواة.

المبحث الثالث
موقفه من العقل والنقل

يعد أبى الحسن الأشعري من الشخصيات الإسلامية التي امتازت بنفاذ الذهن، وبُعدَ التفكير ووفرة العلم، بالغ الذكاء عظيم الفهم، قد تبحّر في مذهب المعتزلة في أوّل أمره، حتى إذا انكشفت له خباياه تبرّأ منه، ثمّ جعل من معرفته بمذهب المعتزلة طريقاً للردّ عليهم، بأدلة عقلية ومنطقية تستند إلى ما قرره الشرع الحكيم و لا تترك مجالاً للشك.

فأبى الحسن الأشعري هو واضع أصول مذهب الأشاعرة، الذي أصبح فيما بعد له السيادة على أتباع المذاهب الفقهية في العالم الإسلامي؛ وقد تيسر له الانتشار بفضل المنهج الوسطي الذي سلكه الإمام أبو الحسن الأشعري، فاعتنقه علماء أجلاء،أُعترف لهم بالعلم من أمثال: الإمام أبو بكر بن الطيب الباقلاني المالكي، وأبو بكر محمد بن الحسن بن فورك والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن مهران الاسفراييني وأبو إسحاق الشرازي وأبو حامد الغزالي والشهرستاني والإمام فخر الدين الرازي وغيرهم الكثير.

وقد كانت له تصانيفٌ كثيرةٌ في الردّ على الملاحدة والمجسّمة والمعتزلة وغيرهم [33]؛ نذكر منها على سبيل المثال: (العمد) و(مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين)،و(الردّ على المجسِّمة)، و(استحسان الخوض في علم الكلام)، و(الإبانة عن أصول الديانة)، و(مقالات الملحدين)، و(اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع).هذه وغير من مؤلفات جاءت لنصرة عقائد أهل السنة والجماعة بأدلة عقلية ومنطقية تستند إلى ما قرره الشرع الحكيم، متصدياً للمعتزلة ، وكاشفاً لانحرافاتهم بالأقيسة المنطقية والدليل العقلي.

وهو ما يؤكد في مقدمة كتابه (الإبانة) بقوله: "أما بعد فإن الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر.. مالت بهم أهواؤهم إلي تقليد رؤسائهم، ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن علي آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين"[34]، حيث استخدم الأشعري المنهج العقلي؛ محاولاً كشف انحراف المعتزلة والحنابلة وغيرهم من المخالفين، وزيغهم عن العقيدة السليمة؛ فجاء رده عليهم بمثل حجتهم أي بالدليل العقلي وجعله خاضعاً للنصوص الثابتة؛ وهذا ما أشار إليه ابن عساكر بقوله: "وجعل رسالته وهدفه الرد عليهم بحكم ما فرض الله سبحانه وتعالى علينا من الرد على مخالفي الحق"[35] ، فألف كتابه الإبانة مبيناً فيها عقيدته بأنها على عقيدة أهل الحق والسنة؛ متبعاً مذهب أهل السلف الذين يمثلهم الإمام أحمد بن حنبل، وأنه قائل بأقواله، مخالف لما خالفها .

وقد أكد عبد الرحمن بن خلدون ذلك بقوله: "وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام المتكلمين فتوسط بين الطرق ونفى التشبيه، وأثبت الصفات المعنوية، وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف، وشهدت له الأدلة المخصصة لعمومه فأثبت

الصفات الأربع المعنوية والسمع والبصر والكلام القائم بالنفس بطرق النقل والعقل ورد على المبتدعة في ذلك كله" [36] .

والجدير بالذكر أن جل كتب الشيخ أبي الحسن الأشعري التي صنفها في آخر حياته -كالإبانة، ورسالته إلى أهل الثغر، ومقالات الإسلاميين، وغيرها- تشير إلى انتقاله في آخر حياته إلى مذهب السلف في الصفات، حيث يؤكد دلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "ولما رجع الأشعري عن مذهب المعتزلة سلك طريق ابن كلاب، ومال إلى أهل السنة والحديث، وانتسب إلى الإمام أحمد، كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها: كالإبانة، والموجز، والمقالات، وغيرها، وكان القدماء من أصحاب أحمد كأبي بكر بن عبد العزيز وأبي الحسين التميمي وأمثالهما يذكرونه في كتبهم على طريق الموافق للسنة في الجملة، ويذكرون رده على المعتزلة وأبدى تناقضهم" [37].

فالمتأمل لما كتبه أبي الحسن الأشعري في: (الإبانة)، و(مقالات الإسلاميين)، و(رسالته إلى أهل الثغر)، يتبين له أن الإمام أبي الحسن الأشعري قد وافق على أجماع أهل السنة والجماعة قاطبة على إجراء صفات الله تعالى على ظاهرها وحقيقتها، لا على المجاز؛ فيقول:"حكم كلام الله تعالى أن يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة " [38].

نستنتج مما سبق إن أبا الحسن الأشعري أقرب إلى السنة والسلف؛ خاصة في باب الصفات،وهو ما يؤكده شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "أن الأشعري وأئمة أصحابه من المثبتين للصفات الخبرية ونحو ذلك أقرب إلى السنة والسلف والأئمة -كأحمد بن حنبل وغيره " [39].

وهذا لاشك خير دليل في الرد على المخالفين للإمام الأشعري، بأنه شيخ أهل السنة بلا منازع، ومنهجه يعتمد على الكتاب والسنة الصحيحة سواء كانت متواترة أو آحاداً وأقوال الصحابة وإجماع السلف أصولاً لبناء العقيدة؛ بل وأصبح منهجه مرجعاً أساساً لحفظ عقائد المسلمين، والرد على المخالفين.

وهذا ما أكده الإمام القاضي عياض في ترجمته للإمام أبي الحسن الأشعري بقوله : "إقامة الحجج الواضحة من الكتاب والسنة والدلائل الواضحة ودفع شبهه المبتدعة" [40] ، حيث ألف رسالة استحسان الخوض في علم الكلام ،التي بين فيها أن الاقتصار علي النقل وإقصاء العقل في تأييد ما ورد به من حقائق خاطئ ، وبهذا قد خالف المعتزلة في زمانه لأنهم قلدوا رؤسائهم، وهذا خطأ كبير في شأن فهم العقائد الإيمانية، ثم بين لنا خطئهم المنهجي، بقوله : "عن طائفة من الناس جعلوا الجهل رأسمالهم وثقل عليهم النظر والبحث عن الدين ومالوا إلي التخفيف والتقليد وطعنوا علي من فتش عن أصول الدين ونسبوه إلي الضلال وزعموا أن الكلام في الحركة والسكون وصفات الباري بدعة وضلاله [41] .

مشيداً إلى موقف الإمام أحمد بن حنبل قائلاً: "وبما نقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته، قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون؛

لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان به الله الحق، ورفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به المبتدعين وزيغ الزائغين"[42] .

ثم تصدى لهم بعد ذلك بالأدلة النقلية الدالة علي صحة النظر والاستدلال مؤكداً على أن القرآن الكريم والسنة لا تمانع من استخدام العقل في فهم أمور العقيدة وشرحها وتأييدها؛ بل هي ضرورة حتمية ،للرد على المبتدعة القائلين بظواهر النصوص، ومؤكداً على أن:" حكم مسائل العقليات والمحسوسات أن يرد كل شيء من ذلك إلي بابه، ولا تخلط العقليات بالسمعيات ولا السمعيات بالعقليات" [43] ، مستدلاً بقوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ ، فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾(الأنعام 77-76).

كما أستدل الإمام الأشعري علي صحة النظر ووجوبه، من رده سبحانه تعالى علي المشركين الذين أقروا بالخلق الأول فألزمهم أن يقروا بالخلق الثاني، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾، قال من يحيي العظام وهي رميم، ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾(يس 78-79).

ويقول الأشعري: وهذا هو الدليل على صحة الحجاج والنظر لأن الله تعالى حكم في الشيء بحكم مثله وجعل سبيل النظر ومجراه مجرى نظيره" [44] .

المبحث الرابــع
مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري ومنهجه

إن السمة الرئيسة التي اتصف بها مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري ومنهجه هي سمة العقلانية، والارتكاز على العقل الإنساني، بنهجه المنطقي المستند إلى البرهان، والنظر والحكمة؛ لكن لسلامة المنهج تقتضى منا قبل الحديث عن أية شخصية أو أي فكر أن نتحدث عن البيئة التي أنتجت لنا تلك الشخصية أو ذلك الفكر.

فالإنسان ابن بيئة يتأثر بها ويؤثر فيها، فهي تتولى تكوينه وتوجيهه فكرياً وعقيدياً، وأول من يتأثر بهم الإنسان هم أبواه وأسرته؛ فيعتنق معتقدهم، ويتبنى فكرهم أو رأيهم؛ ثم يخرج الإنسان عن محيطة الأسُري الصغير يحمل عقيدة وفكر إلي محيط أكبر وأوسع يحمل عدة تراكمات عقدية وفكرية، تخلق عنده نوع من الصراع الفكري والتصادم بين عقيدة وفكر تعلمه في نشأته وفكر اصطدم به في محيطه.

فلا شك انه يتحمس لعقيدته وفكره الذي تعلّمه في نشأته ويدافع عنه؛ ثم يحاول أن يوازن ويعدل من حماسة لفكره والتعايش مع فكر وعقيدة مجتمعه الكبير،والمتتبع لسيرة وحياة الأشعري يجد أنه تراجع عن بعض أفكاره التي تعلمها في علومه النقلية.

فالإمام الأشعري أخذ علوم الإسلام الأولى من أئمة وفقهاء شافعيين في الفقه والحديث والعلوم النقلية؛ واعتنق مذاهبهم؛ ثم تتلمذ على يّد أبى علي الجبائي زوج أمه،

الذي كان إماماً في الاعتزال والعلوم العقلية، فتبحر في كلام الاعتزال وبلغ غايته في العلوم العقلية التي كانت تأج بها الساحة العلمية المسيطرة آنذاك.

ولاشك أن منهج الأشعري أو فكره جاء كنتيجة للصراع الذي عرفته الأمة الإسلامية، بين المعتزلة والحنابلة، بل والصراعات التي نشبت داخل مذهب المعتزلة نفسها، وأراد أن يبعد نفسه ومن يتبعه عن ذلك الجو الذي يمكن إن يؤدي إلى فساد الدين، لذا من الواجب الإشارة لذلك الصراع والأحداث التي طرأت في عصر الأشعري وأثرت في فكره ومنهجه.

المعتزلة وصراعهم مع الحنابلة:

تشير المصادر إلى إن المعتزلة فرقة فكرية تعتمد على العقل في تأويلها لبعض النصوص القرآنية، وقد بدأ نشاطها في مطلع القرن الثاني الهجري؛ ويعد واصل بن عطا من ابرز شخصياتها؛ لأنه تفرد بآرائه التي خالف بها أساتذته الفقهاء وأسس مدرسة الاعتزال التي كانت غايتها في بداية أمرها الدفاع عن العقيدة الإسلامية، ضد الغزو الفكري الذي تسرب إليها من ديانات ومعتقدات الشعوب التي فتحها المسلمون.

بل وتؤكد اغلب المصادر والمراجع إن المعتزلة في بدايتهم لم يكونوا مبتعدين عن أهل السنة، غير أن طبيعة نشأتهم التي كانت تمثل الصراع بين الفكر الإسلامي والفكر الدخيل الذي يعتمد علي العقل كأساس للمعرفة، ولا يؤمن بالوحي؛ ففرض عليهم الموقف أن ينازلوا خصمهم بنفس سلاحه وهو العقل.

ولكن إسراف المعتزلة في الأخذ بالعقل وتأويلهم لجميع النصوص القرآنية التي تتعارض والأصول الخمسة: (التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) التي بنوا عليها عقيدتهم، جعلهم يلجؤون إلي إقصاء جميع الأحاديث التي تخالف آرائهم ولم يقبلوا منها سوى المتواتر الذي تعرض كذلك للتأويل، فشاعت عنهم فكرة خلق القرآن وتكفير من لم يقول بالأصول التي لا يعد معتزلياً من لم يقل بها.

والجدير بالذكر أن المعتزلة بدأت بعقيدة واحدة، ثم تطورت حتى شكلت منظومة من العقائد والأفكار، أهمها فكرة خلق القرآن وتكفير من لم يقول بالأصول الخمسة، وحملوا السلطة السياسية في عهد الخليفة المأمون (813- 833) الذي وقع في هوى ذلك التيار المعتزلي الجديد، إذ كان شغوفاً بمجالس العلم، واقتنع بمقولة المعتزلة أن القرآن مخلوق ؛و حمل الناس على الاعتقاد بخلق القرآن، وجعلها عقيدة رسمية للدولة ،واستعظم أن يعارضه الفقهاء المحافظون [45].

فتعرض كل مخالف لقول المعتزلة لشتى أنواع التعذيب والتنكيل، حتى لم يبق مفتي إلا ويقول بخلق القرآن، عدا ابن حنبل، ومحمد بن نوح، فوضعاً في السجن، وبدأت بذلك محنة الفقهاء السنيين، وإجبارهم علي القول بأن القرآن مخلوق" [46].

ومات المأمون وقد أوصى ولي عهده المعتصم بالله بالاستمرار بالقضية فأمر المعتصم بضرب ابن حنبل سنة218، وظل ابن حنبل بالسجن إلي إن أفرج عنه في رمضان

سنة 220هـ، وشاع ضرب ابن حنبل وصار محنة كبرى يتغنى بها الفقهاء الذين حملوا فيما بعد لقب الحنابلة، وقالوا إنه استمر اثر الضرب في جسده يتوجع منه إلي إن مات سنة241 ه" [47] .

وبعد وفاة المعتصم والواثق تولى الخلافة المتوكل وأعلن رفع المحنة عن الحنابلة، أطلق من كان في السّجون من أهل البلدان، ومن أخذ في خلافة الواثق، وقد قال اليعقوبي موضحاً ذلك: "نهى المتوكِّل النّاس عن الكلام في القرآن وأطلق من كان في السّجون من أهل البلدان، ومن أخذ في خلافة الواثق، فخلاّهم جميعاً وكساهم، وكتب إلى الآفاق كتباً ينهي عن المناظرة و الجدل" [48].

من هنا فقدت المعتزلة نفوذها السياسي ،كما فقدت سيطرتها علي عامة الناس ؛ولكن في المقابل لم تظهر شخصية قوية من الحنابلة بعد الإمام أحمد بن حنبل تستطيع أن تجادل المعتزلة؛ فكانت الأمة الإسلامية بحاجة إلى من يجادل العقليين ويرشدهم وإلي الصواب بنفس أساليبهم ومناهجهم ،ويجمع الناس علي عقيدة أهل السنة والجماعة ، وقد عجز عن مقاومة هذا التيار العنيف ورده المحدثون المتصلبون والحنابلة المتحمسون والفقهاء البارعون؛ فبرز أبو الحسن الأشعري مدافعاً عن عقيدة أهل السنة بعد فترة قضاها في الاعتزال.

فقد أكدت المصادر إن الأشعري كان أول أمره معتزلياً، دافع عن آرائهم، وناصر التأويل العقلي وناظر في الفكر الإعتزالي، وقد بقى في الاعتزال أربعين سنة، ثم انقلب على المعتزلة، وشنّ عليهم حملةً شعواء، مؤكّداً ضرورة التمسك بهدي كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ؛ وما رُوي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث.

هذا التحول أو الانفصال له أكثر من دلالة معرفية في سياق تطور الفكر الإعتزالي وعلاقته بالجانب السياسي لدولة الخلافة العباسية، يقول الأهواني في تحقيقه لكتاب "مقالات الإسلاميين" للأشعري: إن أخطر مسألة في حياة الأشعري انفصاله عن شيخه الجبائي، وانعزاله وتحوله عن المعتزلة.

<u>الأطوار العلمية للإمام الأشعري:</u>

إن أول ما يستدعى الإشارة إليه في حياة الإمام الأشعري العلمية هو تقلبه في منهجه وأفكاره، فالناظر إلى تراث الإمام الأشعري يرى أن الأشعري؛ كان معتزلياً ثم تخلى عن الاعتزال ثم صار كلابياً؛ وقال برأي عبد الله بن سعيد بن كُلاّب، وتأثر به " [49] .

بينما يرى البعض الأخر أنه بدأ معتزلياً، ثم تحول إلى الدفاع عن عقيدة الإمام احمد بن حنبل، فلما لم تقبله حنابلة بغداد؛ وهذا ما يؤكدهُ عبد الرحمن بدوي بقوله :" أن الأشعري تحول من الاعتزال إلى الدفاع عن عقيدة الإمام احمد بن حنبل" [50]، ورضي أن يلقى الله بعقيدة السلف كما بينها الإمام أحمد بن حنبل.

والجدير بالذكر أن جل المصادر تؤكد على أن الإمام الأشعري ،انتهى في آخر حياته واستقر على مذهب أهل السنة والجماعة ،بعد ما تبين له خطأ ما كان عليه؛ فرجع إلى مذهب السلف المتمثل في منهج الإمام أحمد بن حنبل، وهو ما صرح به في كتاب

"الإبانة"حيث قال:"ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول أبو عبد الله - يقصد الإمام أحمد - قائلون ولمن خالف قوله مخالفون..."[51].

وكان من قصته في الرجوع إلى الحق :ما أسنده الحافظ ابن عساكر (ت 571هـ) عن ابن عزرة -رحمه الله- أنه قال: "الأشعري شيخنا وإمامنا، ومَن عليه معوَّلُنا، قام على مذاهب المعتزلة أربعين سنة، وكان لهم إمامًا، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يومًا. فبعد ذلك خرج إلى الجامع، فصعد المنبر، وقال: معاشر الناس، إني إنما تغيَّبت عنكم في هذه المدة؛ لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي حقٌّ على باطل، ولا باطل على حقٍّ، فاستهديت الله تبارك وتعالى، فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت اعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به" [52].

منهج الإمام الأشعري:

لقد اتبع الإمام منهجاً كلامياً في استدلاه على العقائد بالنقل والعقل، الشيء الذي آثار نقمة الفريقين، العقلي الذي يمثله المعتزلة والنقلي الذي يمثله الحنابلة، حيث حاول إثبات ما ورد في الكتاب والسنة من أوصاف الله والاعتقاد برسله واليوم الآخر والملائكة والحساب والعقاب والثواب، مستدلاً بالأدلة العقلية والبراهين المنطقية على صدق ما جاء في الكتاب والسنة بعد أن أوجب التصديق بها كما هي نقلاً، فهو لا يتخذ من العقل حَكَما على النصوص ليؤولها أو يمضي ظاهرها، بل يتخذ العقل خادماً لظواهر النصوص .

من هنا لجأ إلى تأويل النصوص بما ظن أنه يتفق مع أحكام العقل، وإثبات الصفات السبع عن طريق العقل: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، أما الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق فتأولها على ما ظن أنها تتفق مع أحكام العقل وهذه هي المرحلة التي ما زال الأشاعرة عليها، حتى اشتهروا بالصفاتية، كما اشتهرت المعتزلة بنفاة الصفات وتأويل النصوص القرآنية عندما يجدونها مخالفة لآرائهم بزعمهم ، ولا يكادون يعتمدون على السنة.

فجاء إمام الأشاعرة بمنهج وسط، وزعم أنّه قد أقنع به كلا الطرفين، فاعترف بهذه الصفات كما ورد في الكتاب والسنّة بلا تأويل وتصرف، ولما كان إثباتها على الله سبحانه بظواهرها يلازم التشبيه والتجسيم - وهما يخالفان العقل، ولا يرضى بهما أهل التنزيه من العدلية - أضاف كلمة خاصة أخرجته عن مغبّة التشبيه ومزلقة التجسيم، وهي (أنّ لله سبحانه هذه الصفات لكن بلا تشبيه وتكييف) فحين أثبت العلو والاستواء لله ربطهما بما يدل على أنه يقول بنفي صفات الفعل لله تعالى كما يشاء. حيث ينقل الإمام الأشعري عن ابن كلاب قوله:"وكان يزعم أن الباري لم يزل ولا مكان ولا زمان قبل الخلق، وأنه على ما لم يزل، وأنه مستو على عرشه كما قال، وأنه فوق كل شيء تعالى" [53] .

منهجه في الصفات :

لاشك أن الإمام الأشعري وبمنهج وسط، اعترف بالصفات الخبرية لله تعالى، كالوجه واليد والرجل والاستواء على العرش، كما ورد في الكتاب والسنّة بلا تأويل وتصرف، فهذه المسائل قدم فيها النقل على العقل. ومما يدل على ذلك إثباته للصفات

الخبرية، فقد قال: "فكيف يكون الحق في خلاف ذلك والكتاب ناطق به وشاهد له" [54]، حيث يشير الإمام إلى أن ابن كلاب يثبت الأسماء والصفات لله تعالى: فيقول: لم يزل الله تعالى عالما، قادرا، ..... إلخ [55].

كما يثبت الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعين بقوله: " أُطلق اليد والعين والوجه خبراً، لأن الله أُطلق ذلك، ولا أطلق غيره، فأقول: هي صفاتٍ لله عز وجل كما قال في العلم والقدرة والحياة أنها صفات" [56]، أما قوله بأزلية الصفات كلها دون أن يفرق بين صفات الذات وصفات الفعل،فيجعل صفات الرضى والسخط والمحبة والكرم والجود أزلية كالسمع والبصر والحياة، حتى لا يفهم منها ما يدل على الصفات الاختيارية له تعالى .

بناءً عليه يقول الأشعري: "وقال ابن كلاب: الوصف لله بأنه كريم ليس من صفات الفعل" [57]، ولا شك أن الله كريم أزلاً، لكن أيضا يتكرم على عباده بما يشاء وكما يشاء ومتى شاء فهو أيضا صفة فعل.

كـــلام اللـــــــه:

يعتبر مذهب ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري وأتباعهم في كلام الله من المذاهب الجديدة التي لم يسبقوا إليها، ولذلك أصبحت هذه المسألة هي أخص مذهب الأشعري التي يكون الرجل بها مختصاً بكونه أشعرياً، أما سائر المسائل فليس لابن كلاب أو الأشعري بها اختصاص "بل ما قالا قاله غيرهما، إما من أهل السنة والحديث، وإما من غيرهم، بخلاف ما قاله ابن كلاب في مسألة الكلام، وأتبعه عليه الأشعري، فإنه لم يسبق ابن كلاب إلى ذلك أحد، ولا وافقه عليه أحد من رؤوس الطوائف" [58]، وهي مسألة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمسألة الصفات الاختيارية، وقيامها بالله تعالى، بل مسألة الكلام إحدى أصولها الكبار.

أما في مسألة الكلام، فقد تأثر الاشعري بابن كلاب وجعل كلام الله مثل صفة العلم والقدرة عنده، فيقول الأشعري: " وقال ابن كلاب: إن الله لم يزل متكلماً، والكلام من صفات النفس كالعلم والقدرة" [59] ، مؤكداً على: "إن كلامه قائم به كما أن العلم قائم به، والقدرة قائمة به" [60].

بل وافق ابنَ كلاب وجمهور الأشاعرة من بعده في هذا الرأي وسلكوا مسلكه، واتفقوا معه، في نفي الحرف والصوت عن كلام الله تعالى، وأما القرآن الكريم عندهم، كلامه تعالى الذي أنزله على رسوله ﷺ، والذي نتلوه: يرون أنه حرف وصوت، حادث ومخلوق، لأنه ليس كلام الله الحقيقي، بل هو عبارة عن كلام الله تعالى القديم .

ويتضح من ذلك أن الأشعري يُقرُ بأن كلام الله هو صفته القائمة به، وأن الحروف والأصوات هي حادثة مخلوقة، وهو ما اقره ابن كلاب وأجازه، رغم انه اختلف معه في اتصاف كلامه تعالى بالأمر والنهي والخبر في الأزل، فقد ذهب ابن كلاب إلى أن كلام الله تعالى واحد، "لا يتصف بالأمر والنهي والخبر في الأزل، لحدوث هذه الأمور، وقدم الكلام النفسي" [61].

بينما ذهب الأشعري ومن تبعه من أئمة الأشعرية خلافاً لابن كلاب إلى أن كلام الله تعالى يتصف بالأمر والنهي والخبر في الأزل؛ عن هذا الخلاف بين ابن كلاب والأشعري

يشير الشهرستاني ذلك بقوله: "قالت الأشعرية: ذهب شيخنا الكلابي عبدالله بن سعيد إلى أن كلام الباري في الأزل لا يتصف بكونه أمراً ونهياً وخبراً واستخباراً، إلا عند وجود المخاطبين واستجماعهم شرائط التكليف، فإذا أبدع الله العباد وأفهمهم كلامه على قضية أمر وموجب زجر أو مقتضى خبر اتصف عند ذلك بهذه الأحكام، فهي عنده من صفات الأفعال بمثابة اتصاف الباري تعالى فيما لا يزال بكونه خالقا ورازقا، فهو في نفسه كلام لنفسه أمر ونهي وخبر وخطاب وتكليم لا لنفسه بل بالنسبة الى المخاطب وحال تعلقه، وإنما يقول كلامه في الأزل يتصف بكونه خبراً، لأنه لو لم نصفه بذلك خرج الكلام عن أقسامه، ولأن الخبر لا يستدعي مخاطباً، فإن الرب تعالى مخبر لم يزل عن ذاته وصفاته، وعما سيكون من أفعاله، وعما سيكلف عباده بالأوامر والنواهي، وعند أبي الحسن الأشعري: كلام الباري تعالى لم يزل متصفا بكونه أمراً ونهياً وخبراً، فالمعدوم على أصله مأمور بالأمر الأزلي على تقدير الوجود" [62].

القرآن كلام الله غير مخلوق:

تشير اغلب المصادر إلى إن ابن كلاب أول من أعلن بأن القرآن قديم، وقد كان السلف قبله لا يتجاوزون القول بأن القرآن كلام غير مخلوق، دون أن يتعرضوا للمسألة القدم، لا بالنسبة للألفاظ ولا المعاني، بل وقفوا عند " القرآن كلام الله غير مخلوق "، إلى أن أعلن ابن كلاب بأن القرآن قديم، ثم تبعه على ذلك الأشعري.

وهو ما يؤكده شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله:"فان أول من عرف عنه أنه قال بقدم القرآن في الإسلام أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب ، واتبعه على ذلك طوائف " [63]، حيث يوضح شيخ الإسلام ابن تيمية، تبعية الأشعري لابن كلاب بقوله أن " الكلابية والأشاعرة إنما قالوا هذا لموافقتهم المعتزلة على صحة دليل حدوث الأجسام، فلزمهم أن يقولوا ما لا يخلوا عن الحوادث، ثم قالوا: وما تقوم به الحوادث لا يخلوا منها، إلى أن قال: فلزم من هذا: أن الباري لا تقوم به الحوادث، لكونه لو قامت به الحوادث لم يخل منها، لأن القابل للشيء لا يخلوا عنه وعن ضده، ومالا يخلوا عن الحوادث فهو حادث لامتناع حوادث لا أول لها " [64]، مشيراً إلى أن: " كثير من المتأخرين من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة وافقوا ابن كلاب على هذا الأصل" [65]، وهذا مبني على نفيهم لقيام الصفات الاختيارية بالله، فقالوا بقدم الكلام ومنعوا أن يكون الله يتكلم إذا شاء متى شاء.

الخاتمـــــة

يُعدّ منهج الإمام الأشعري منهجاً علمياً يتسم بالواقعية والشمول،يهدينا إلى بيان أصول العقائد السليمة، ويقدم لنا حصيلة علمية تجعلنا أكثر قدرة على رفع الشبة عن العقيدة الصحيحة. فالإمام الأشعري الذي دافع عن السنة دفاعاً قوياً، وفضح المعتزلة وكشف شبهاتهم، أصبح مذهبه بلا شك مرجعاً أساساً يعتمد عليه في حفظ عقائد المسلمين في الرد على المخالفين؛ من معتزلة ،ومتفلسفين، ومسيحيين، ويهود، بنفس أساليبهم في الاستدلال على العقائد. معتمداً على منهج أو مسلك النقل أولاً والعقل ثانياً؛ فهو يثبت ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وما أجمع عليه الصحابة الكرام مستدلاً على قوله بالدلالة العقلية والبراهين المنطقية التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية عقلاً بعد أن أوجب التصديق بها نقلاً، متخذاً من العقل أساساً للحكم على النص بالبراهين

المنطقية، مع عدم تأويل النصوص أو إجرائها على ظاهرها؛ بل اتخذ العقل خادماً لظواهر النصوص ومؤيدها، وبهذا قد اتخذ طريقاً وسطاً بين المعتزلة والمحدثين فلم يذهب إلي تمجيد العقل والإيمان بأن له سلطة لا تحدّ كما ذهب المعتزلة؛ بل أنه لم يذهب إلى ما ذهب إليه كثير من أهل عصره،فإن الدفاع عن العقيدة الإسلامية والانتصار للدين يستلزمان إنكار العقل إلى حد ما وازدرائه، بل توسطت الإمام في مذهبه، مؤكداً على أن العقائد الإسلامية والإيمانية ثابتة شرعاً ابتداء.

من هنا يمكن القـــول:

1. أن منهج الإمام الأشعري تميز بالوسطية التي تقوم على أساس التوفيق بين المذاهب الكلامية الإسلامية، والتوفيق بين عناصر العقيدة الإسلامية: الإلهيات والنبوات والسمعيات.
2. إن الإمام أبو الحسن الأشعري بمنهجه الوسطي الذي استعمله في الدفاع عن عقائد أهل السنة والجماعة ،استطاع أن يتدرج بمفكري هذه العقائد وفقهائها،من مستوى النظرة الضيقة للنصوص العقدية أو القراءة الحرفية لتلك النصوص والتي تنتهي حتماً إلى إقرار عقيدة التشبيه والتجسيم المرفوضة إسلامياً؛ إلى مستوى سامٍ من التفكير العقلاني الذي يحقق التنزيه المطلق.
3. إن المنهج الذي سلكه الإمام الأشعري في الاستدلال علي العقائد الإسلامية مسلك النقل أولاً والعقل ثانياً؛ فهو يثبت ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، من أوصاف الله سبحانه وتعالى، ومنها ينتقل بعد ذلك إلى الدلالة العقلية والبراهين المنطقية، يستدل بها على صدق ما جاء في القرآن والسنة عقلاً بعد أن أوجب التصديق بها كما هي نقلاً .
4. أن الإمام الأشعري لم يتخذ من العقل أساساً للحكم على النص، بل إن العقل يمكن أن يوصلنا إلي البرهنة على أثباتها النصوص، كوجود الله مثلاً.

الهوامـــش:

1. ابن خلكان ، وفيات الأعيان، وأبناء الزمان، دار الثقافة بيروت، لبنان، ب.ت. ،284/3 . تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ،ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، 1384هـ-1965م، 222/3.
2. أبى الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق لجنة علماء إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ، بيروت لبنان ،ب.ت، ج303/2.. جـ11: ص:90.
3. الحافظ ابن عساكر الدمشقي ، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، مطبعة التوفيق بدمشق ،1347هـ ص55-56، ص: 147..
4. ابن عساكر، تبين كذب المفتري، المرجع السابق، ص: 35.
5. ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،مصدر سابق ،284/3 ، طبقات الشافعية،، المرجع السابق، 3/ 222.
6. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، مرجع سابق ، 222/3. ، شذرات الذهب، المرجع السابق ،303/2
7. ابن عساكر، تبين كذب المفتري، مرجع سابق ،ص55-56،

8. أبو الحسن الأشعري، رسالة أهل الثغر: تحقيق محمد السيد الجليند ، نشر كلية دار العلوم جامعة الأزهر ،د.ت،ص:7
9. محمد أبو زهرة ، عنوان المقال "أبو الحسن الأشعري " مجلة العربي: العدد، 46، ص25، ص26.
10. محمد بن عبد الوهاب بن سلام المتوفى سنة ثلاث وثلاثمائة، وكان شيخاً للمعتزلة في عصره في البصرة ، وكان صاحب تصنيف وقلم إلا أنه لم يكن قوياً في المناظرة ،انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ، نشر مؤسسة الرسالة: جـ 15، ص:86/ شدرات الذهب جـ11،مصدر سابق، ص:241 .
11. السبكي ، طبقات الشافعية، المرجع السابق ، 347/3.
12. الإمام الكبير أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي، المتوفى أربعين وثلاثمائة شيخ الشافعية وفقيه بغداد صاحب أبى العباس بن سريج وأكبر تلامذته، اشتغل ببغداد دهرا وصنف التصانيف وشرح مذهب الشافعي ولخصه ، وانتهت إليه رئاسة المذهب. ويروى البغدادي عن الأشعري انه كان يجلس أيام الجمعات في حلقة أبى إسحاق المروزي الفقيه من جامع البصرة .تبيين كذب المفترى : ص:35
13. عبد الكريم محمد السمعاني، الانساب، ، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن ، الهند، ، 1382هـ-1962م،1ج/266 ، ابو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية ،ط2، مكتبة المعارف بيروت ، 1977م ،ج187/11، احمد بن علي المقريزي المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، طبعة جديدة بالاوفسيت، مكتبة المثنى بغداد ، ج258/2
14. عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، ج1، دار العلم للملايين، بيروت: 1983م : ص :1429 .
15. ابن عساكر، تبيين كذب المفترى ، المرجع السابق ،ص:141 .
16. المرجع السابق، ص:141.
17. ابن النديم، الفهرست، مرجع سابق، ص: 203.
18. ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، مرجع سابق ،جـ1، ص:412
19. القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق د. محمد بنشريفة، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د,ت.ج5ص:25
20. ابن منظور، لسان العرب، ج 11، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، ج:11،ص 458.
21. الراغب في (المفردات) مادة: ع ق ل، ط. دار القلم(110/2).
22. الفيروز أبادي ،القاموس المحيط ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان.د ت.
23. الفيروز أبادي ، المرجع السابق .
24. ابن منظور، لسان العرب، مادة عقل.
25. الجرجاني، التعريفات، ص 197
26. المحاسبي، العقل وفهم القرآن، تحقيق حسين القوتلي، ط2، دار الفكر / بيروت، 1978م، ص 204.

27. السبكي، طبقات الشافعية مرجع سابق ،41/2.
28. المحاسبي، العقل وفهم القرآن، ص 187.
29. محمد علي بن علي بن محمد/التهانوي ، كشاف مصطلحات الفنون،ج3،بيروت، دار الكتاب تاعالمية،1971م،ص113
30. الأشعري. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح هلموت ريتر، دار النشر فرانز شتايز فيسبادون، ط3. .(1980)ص481
31. محمد علي بن علي بن محمد/التهانوي ، كشاف مصطلحات الفنون،ج3، بيروت، دار الكتاب العالمية،1971م، ص113
32. ابن منظور، لسان العرب: (630 - 711 هـ - 1232 - 1311 م .
33. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء، جزء 11. ، القاهرة: دار الحديث،2006م، ص 392، بتصرّف
34. الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة ل: نشر دار الكتابة العربية، ط 2، 1410 هـ/ 1990م، ص13
35. ابن عساكر، تبيين كذب المفترى مرجع سابق ، ص96 .
36. مقدمة ابن خلدون، ج 3 ص:975.
37. ابن القيم ،اجتماع الجيوش الإسلامية ل ، 2/ 284-285 .
38. الأشعري الإبانة عن أصول الديانة ، مصدر سابق ص: 139
39. ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل 9/ 160
40. القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق د. محمد بنشريفة، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د,ت.ج5، ص24
41. أبي الحسن الأشعري اللمع وفيه رسالة استحسان الخوض في علم الكلام، ص89 .
42. المرجع السابق: ص89 .
43. المرجع السابق: ص:95 .
44. الأشعري ،للمع في الرد علي أهل الزيع والبدع: ص9 .
45. ابن الجوزي: مناقب ابن حنبل، تحقيق محمد ومصطفى عبدالقادر عطا ـ بيروت ط1،ص 346،339
46. المرجع السابق، ص 346،339.
47. المرجع السابق، ص 346،339.
48. تاريخ اليعقوبي: ج 2، ص 484 - 485.
49. عبد الله صقر محمد الجنيدي. الأشعري ، أبي الحسن. رسالة إلا أهل الثغر،المدينة المنورة: مكتوم العلوم والحكم. 2002م،ص 63-64.
50. عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، (دار العلم للملايين، بيروت: 1983م ، ج1، ص493.
51. الأشعري ، الإبانة عن أصول الديانة : نشر دار الكتابة العربية، طبعة 2 1410 هـ/ 1990م.
52. ابن عساكر، تبيين كذب المفترى مرجع سابق ، ص: 39

53. الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ،مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، صححه:هلموت ريتر ،ط3(دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) 1400 هـ - 1980 م ، ص 169
54. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل ،تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم ط2 (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)1411 هـ - 1991 م ص6/ 194 , ونقله عن ابن فورك. وابن القيم، مرجع سابق، 2/ 282 .
55. الأشعري ، مصدر سابق ، ص 169 .
56. المصدر السابق، ص 217، 218.
57. الأشعري، المصدر السابق، ص179 .
58. ابن تيمية، درء التعارض 99/2 ، أحمد بن عبدالحليم، والتسعينية، تحقيق: محمد بن إبراهيم العجلان،(مكتبة المعارف، الرياض) 1999م، ص: 149-288.
59. المرجع السابق، ص:517 .
60. المرجع السابق، ص:517 .
61. السبكي , طبقات الشافعية، مرجع سابق،300/2 .
62. الشهرستاني، نهاية الإقدام ، ص303_304.
63. ابن تيمية ، منهاج السنة ،369/3 .
64. انظر : ابن تيمية ، مرجع سابق 38/1_39 ، 78/2، والحكمي مرجع سابق ،343/1 .
65. ابن تيمية ،مجموعة الرسائل والمسائل ،410/3 .

المصـــادر والمراجـــع:

1. إبراهيم محمد زين، تعمولات الحولة ، العلم الكلام والمعلي، آل التجديد، 2006م.
2. ابن الجوزي، مناقب ابن حنبل ،تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، د.ت .
3. ابن تيمية، منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض – السعودية، د.ت.
4. ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، ط2، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)1411 هـ - 1991م.
5. ابن خلدون، مقدمة، دار القلم، الطبعة الرابعة،1981م.
6. أبن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، دار الثقافة بيروت، لبنان، ب.ت.
7. ابن عساكر الدمشقي، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، مطبعة التوفيق بدمشق ،1347هـ .
8. ابن منظور، لسان العرب، 711 هـ - 1232 - 1311 م .
9. أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة،نشر دار الكتابة العربية، ط 2، 1410 هـ/ 1990م.
10. أبو الحسن الأشعري، رسالة أهل الثغر: تحقيق محمد السيد الجليند، منشورات كلية دار العلوم جامعة الأزهر ،1987م.
11. أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، عنى بتصحيحه : هلموت ريتر ، ط3، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) 1400 هـ - 1980 م.

12. ابو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية ،ط2، مكتبة المعارف بيروت ، 1977م .
13. أحمد بن عبدالحليم ، والتسعينية ، تحقيق /محمد بن إبراهيم العجلان ، ط1 ،مكتبة المعارف ، الرياض، 1999م.
14. احمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، طبعة جديدة بالاوفسيت مكتبة المثنى بغداد 1970م.
15. الجرجاني، المواقف، (قسم الإلهيات) بتحقيق :أحمد المهدي، القاهرة ، طبع دار الحمامى للطباعة ، د.ت.
16. الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج2 ، تحقيق لجنة علماء إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، د.ت .
17. السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1384هـ 1965م .
18. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، جزء 11. القاهرة: دار الحديث،2006م .
19. الشهر ستاني، الملل والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت: 1975م.
20. عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت: 1983م.
21. عبد الكريم محمد السمعاني، الأنساب، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، 1382هـ-1962م.
22. عبد الله صقر محمد الجنيدي، أبي الحسن الأشعري. رسالة إلا أهل الثغر، المدينة المنورة: مكتوم العلوم والحكم. 2002م.
23. الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان د.ت .
24. القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق د. محمد بن شريفة، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1998 م.
25. المحاسبي، العقل وفهم القرآن، تحقيق حسين القوتلي، ط2، دار الفكر / بيروت،1978م.
26. محمد أبو زهرة الواقع، عنوان المقال "أبو الحسن الأشعري"، مجلة العربي : العدد 46، القاهرة.
27. إبراهيم محمد زين، عنوان المقال "تأملات حول علم الكلام ومآلاته"، مجلة التجديد: العدد 20.

(مـــا) في التـــركيب

د.خليفة عبد الله حسن
أ.آمنة محمدالطويري
كلية الآداب غريان

مستخلص البحث:

فلكلّ أمّة واجهة حضارية تسجّل عليها تراثها، وواجهة أمّة العرب اللُّغة العربيّة التّي شرّفها الله برسالة سماويّة للنّاس أجمعين، وهذه اللُّغة تقع في مستويات من أهمها النّحو الذّي يستهدف المعنى من خلال التّركيب، ولمّا كانت ألفاظ العربيّة طيّعة تتلوّن باختلاف الوظيفة والسّياق، فإنّ (ما) تتلوّن بين الاسميّة، والحرفيّة، والزّائدة، والكافّة، ويهدف هذا البحث إلى تتبّع هذه التّلوّنات في التّركيب وجمعها من شتاتها للخروج بالقواسم المشتركة بين تلوّنات (ما)، والباحثان يعتمدان المنهج الوصفي لمناسبته لهذا النّوع من البحوث.

Abstract

Each nation has a civilized interface on which its heritage is recorded, and the interface of the Arab nation is the Arabic language that God honored with a heavenly message for the entire humanity. Arabic language has many levels, the most important one is the grammar that targets the meaning through composition, and because the Arabic word are flexible that vary according to the function and the context, (Ma) is colored betweenIsm, Harf, zaieda, and kaffa.
This research aims to track these colorings in composition and tocollect them from its diasporas to come outwith the common denominators between the types of (Ma). The researchers adopt the descriptive approach due to its suitability for this type of research.

المقدّمة:

والصّلاة والسّلام على أشرف من نطق بالضّاد وقال أنا عربيٌّ من العباد

وبعد:

فتعدّ اللّغة العربيّة مرآة العرب عليها تنعكس أمجاد الأمّة وحضارتها، وهي لغة طيّعة أينما ظهرت بين اللّغات بهرت بحسنها نثراً وشعراً، ومستوياتها متعدّدة ومبنيّة على أسس راقية في الصّوت، والصّرف، والنّحو،والدّلالة.

ولمّا كان النّحو من أبرز هذه المستويات، فإنّ هذا البحث يعالج لفظاً صغيراً في حجمه كبيراً في تعدّد استعمالاته، هذا اللّفظ هو (ما) فهو صغير في حجمه؛ إذ يشكّل مقطعاً طويلاً مفتوحاً (فونولوجيّاً) (ص ح 2) أي يتكوّن هذا المقطع من صامت (م) مضافاً إليه (الألف) التي تساوي حركتين، ومع صغرهذا اللفظ المكوّن من ثلاث وحدات صوتيّة إلاّ أنّه يأخذ تنوّعات سياقيّة متعدّدة، فهو الاسم، وهو الحرف، وقد يغادر ذلك للتّوكيد وإلىالزيادة، وتمتاز اللّغة العربيّة بثروة من المفردات لاحصر لها، ومن هذه المفردات(ما) في العربيّة

الّتي تأتي اسماً وحرفاً حسب السّياق الّذي ترد فيه ، وقد حصرت في عشرة مواضع ،جاء في لسان العرب:مَا حرف نَفي وتكون بِمَعنى الَّذي، وتكون بِمعنى الشَّرط، وَتكون عبارة عن جميع أَنواع النَّكرة، وتكون موضُوعة موضع مَنْ، وتكون بِمعنى الاسْتِفهام، وتُبْدل الهاء مِنَ ألفها فيقَال مَهْ؛وتكون للتعجب، وتكون زائدة كافَّةً وغيركَافَّةٍ، وَالْكَافَّةُ قَوْلُهم إِنّما زيدٌ مُنْطَلِقٌ، وغير الكافَّة إنما زَيْداً مُنطلق، تريد إنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ. وَفي التَّنزِيل العزِيزِ: فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ*[2]

وتتَّخذُ (ما) في التركيب أنماطاً مختلفة، وهذا متوقّف على استعمالها ضمن القسمين الحرفيّ أو الاسميّ،وقد وضع الباحثان إشكاليات لهذا البحث آملين الوصول إلى إيضاحات يستفيد منها القارئ الكريم.وعلى هذا الأساس تمّ تقسيم أجزاء البحث.

واختار الباحثان المنهج الوصفي لمناسبته في هذا البحث، ويأملان الخروج بمستوى ينفع القرّاء بما يجدونه فيه من تلوّنات للمكوّن نفسه (ص ح 2).

- ما الأقسام السيادية لـ (ما)؟
- ما أوجه الاختلاف في (ما)؟
- هل يمكن الوصول إلى حدود للتّفريق بين استخدامات (ما)؟

ما الحرفيّة ولها أنواع:

أولها : النافية ولها قسمان[2]:

-النّافية غير العاملة:

وهي الدّاخلة على الجملة الفعليّة بفعليها الماضي والمضارع، فيبقى الماضي على معنى المضي ، نحو: ما قام زيدٌ ،وقوله تعالى:﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[3]فقد نفى عن قوم هود الإيمان وأثبت بذلك تكذيبهم بآيات الله [4]،أمّا دخولها على المضارع في:ما يقوم زيدٌ، فتخلّص معناه إلى الحال إن لم يدخل عليها ما يفيد الاستقبال؛ حيث"حكم(ما) في نفي (يفعل) حكم (ليس) في نفيها للحال دون المستقبل، فإذا قيل:زيدٌ يصلّي الآن أو الساعة، قيل: ما يصلّي، كما يقال:ليس يصلّي،وكذلك إذا قيل:مازيدٌ مصلّياً، وليس زيدٌ مصلّياً، لم يذهب باسم الفاعل إلاّ مذهب الحال" [5]

النافية العاملة: وهي المختصّة بالدخول على الجملة الاسميّة لغرض، فترفع الاسم وتنصب الخبر، تشبيهاً لها بليس عند أهل الحجاز، فالمنصوب بـ (ما) عُدّ خبراً عند البصريّين، ومنصوباً على نزع الخافض عند الكوفيّين[6]؛ لأنّها غير مختصّة، والحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصّاً، كحروف الاستفهام والعطف الداخلة على الأسماء حيناً، وعلى الأفعال أخرى، فلمّا اشتركت في دخولها على الاسم والفعل وجب عدم عملها، وهذا على لغة بني تميم ، يقول سيبويه:"وبنو تميم يرفعونها إلا من درى كيف هي في المصحف"[7]فالقياس كما ذهب سيبويه أن تكون ما نافية غير عاملة كـ (أما وهل) فهي حرف والحرف قاصر وأقل رتبة في العمل عن الفعل[8]، ولهذا كان لعملها شروط اشترطها النحاة ، فإن فقدت شرطاً عادت إلى أصلها من النفي والجملة بعدها مبتدأ وخبر، وهذه الشروط هي[9]:

-ألاّ ينتقض نفيها بـ (إلاّ)، فإن انتقض خبرها بها وجب الرفع، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[10]أهملت (ما) لدخول إلاّ عليها فـ(محمد) مبتدأ و(رسول) خبر.

-ألاّ يتقدّم خبرها على اسمها: ففي مثل: ما مسيء من أعتب، تقدّم الخبر (مسيء) على المبتدأ منْ أعتب فأبطل عملها.

-ألاّ يتوسط بينها وبين اسمها (إن) الزائدة، فإن توسّطت أهملت (ما)، نحو قول الشاعر[11]:

بني غُدانةَ ما إنْ أنتمُ ذهبُ ولا صَريفٌ ولكنْ أنتمُ الخزفُ

فقد بطل عمل (ما) لوقوع إن الزائدة بعدها على رواية رفع (ذهب)، يقول المبرد:" وأهل الحجاز إذا أدخلوا عليها ما يوجبها أو قدّموا خبرها على اسمها ردّوها إلى أصلها فقالوا: مازيدٌ إلاّ منطلق، وما منطلقٌ زيدٌ؛ لأنها حرف لا يتصرّف تصرّف الأفعال فلم يقوَ على نقض النّفي كما لم يقوَ على تقديم الخبر" [12]

-ألاّ يتقدّم معمول الخبر على الاسم، فإن تقدّم بطل عملها، نحو قول الشاعر[13]:

وقالوا تعرِفُها المنازلَ من منى وما كل من وافى منىً أنا عارفُ

الأصل: ما أنا عارف كلَّ مَنْ وافى مِنىً، فقد تقدّم مفعول عارف (كلّ) على (من وافى منىً) واستثنى من هذا الحكم المعمول شبه الجملة فأجازوا العمل للتوسّع فيهما.[14]

وقد جاءت (ما) في القرآن الكريم حجازية ناصبة لخبرها في قوله تعالى:﴿ما هذا بشراً﴾ و﴿ما هنّ أمهاتهم ﴾، فقد أجمع القرّاء والعرب على قراءتهم (بشرًا) موافقة لما جاء في المصحف لكنهم اختلفوا في نصب (أمهاتهم) ورفعها .

الزائدة: تقع ما الزائدة بين عناصر الجملة المترابطة، ولها صور أهمّها [15]:

أ- الزائدة لمجرّد التوكيد، دخولها كخروجها، ولا يتأثّر المعنى إذا حذفت، وأكثر مواضع زيادتها بعد(إذا) و(إن) الشرطيّتين، نحو قول امرئ القيس [16]:

إذا ما كنتَ ذا قلبٍ قنوعٍفأنتَ ومالكُ الدنيا سواءُ

والتقدير: إذا كنت،أمّا بعد إن الشرطية، فنحو قوله تعالى:﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾[17]أي: إن تخافن.

وبعد أسماء الشرط (أين وحيث وكيف) [18]نحو: أينما تذهبْ أذهبْ، حيثما تجلسْ أجلسْ، كيفما تعاملِ الناس يعاملوك.

في تركيب(لاسيّما) إن وَلِيَها منصوبٌ أو مجرورٌ،كـ(أُحبّ) أصدقائي ولاسيّما المجتهدَ أو المجتهدِ أو المجتهدُ.

وقد تزاد بعد حروف الجرّ، ويبقى الاسم بعدها مجروراً، نحو قوله تعالى:﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[19]، فـ (ما) زائدة و(عن) متعلّقة بفعل مقدّر يفسّره قوله (ليصبحنّ)، وقيل: يجوز في الظرف ما لا يجوز في غيره [20]، وزيادتها بعد الكاف ورُبّ في نحو قول أبي نوّاس[21]:

ربّما أغدو معي كلبي طالباً للصّيدِ في صحّي

فقد كفّت (ما) رُبّ عن العمل، وجاء بعدها الفعل (أغدو) ،فرُبَّ وُضعت للأسماء فَلَمَّا أُدْخِل فيها (مَا) جُعلت لِلْفعل، أو قوله تعالى:﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[22]

-الكافّة:وهي اللّاحقة بـ (إنّ وأخواتها) فتكفّها عن العمل من نصب ورفع، فيرتفع الاسم بعدها على الابتداء إلا ليت على اختلاف في الآراء، فتقول: إنّما زيدٌ قائمٌ، وقوله تعالى:﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾[23]، فلا يصحّ نصب الاسم الواقع بعد إنّ بل يجب رفعه على الابتداء وما بعده خبر، وكذلك بعد الأفعال (قلّ وطال) في نحو قولك: قلّما ينجح المهملُ ، فلا نرى لها فاعلاً.

الكافة للظروف عن الإضافة، في نحو: بينما القوم في دعة؛ إذ دهمتهم داهية، وبينما العسرُ إذ دارت مياسيرُ.قال الزّجاجي:" إنّ (ما) تلحق بحروف الجرّ ودخولها يُحدث تغيّراً في الإعراب"[24]

-الموطّئة أو المهيّئة:هذا النوع من (ما) يمكن أن يدرج ضمن النوع السابق في الكافّة، غير أنّ الكفّ عن العمل في باب (إنّ وأخواتها) يبقى في دائرة الجملة الاسمية، أمّا هذا النوع، فتكون ما قد وطّأت ومهّدت لدخول هذه الأحرف على الجملة الفعلية، فهي تهيّئ ذلك

للدخول على ما لم تكن تدخل عليه أساساً[25]، نحو:إنّما يقوم زيدٌ، وقول الله تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[26]

-الزّائدة بعد النّكرة:وزيادتها لأغراض كالتّعظيم أوالتّحقيرأو التّنويع أو التّوكيد[27]، وذهب المالقي إلى أنها ملازمة للأسماء؛ تشبيهاً لها بنون التّوكيد وأل التعريف مع الّذي والّتي واللّات والعزى، فهي معارف وهي زائدة عن أصل الكلام لكنها تفيد معنى يزول بحذفها[28]، كما في قوله تعالى:﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾[29] فـ(ما) زائدة و(جند) مبتدأ و(مهزوم) خبره و(هنالك) صفة لجند، وذهب أبو حيّان إلى جواز أن تكون (ما) صفة لـ(جند) أُريد بها التعظيم على سبيل الهزء بهم.[30]

المصدرية:

ذكرالمالقي معنى المصدريّة " أنّها تُصيّر الفعل الذي بعدها في تأويل المصدر وموضعه، وصلتها تكون جملة فعلية في الغالب، نحو قولك: أعجبني ما صنعتَ أوماتصنع، وعملتُ ما عملتَ أو ماتعمل" [31]قال الرَضىَ:"وصلة(ما) المصدريّة لا تكون عند سيبويه إلاّ فعلية، وجوّز غيره أن تكون اسميّة أيضاً، وهو الحقّ، وإن كان قليلاً كما في نهج البلاغة: بقوا في الدنيا ما الدنيا باقية" [32]ومثله قول الشاعر:[33]

أعـلاقـــةَ أُم الولـــــيد بـــــعـــدَمـــا أفنانُ رأسِك كالثّـغامِ المخـــلـسِ

جاءت بعد (ما) المصدرية الجملة الاسمية (أفنان...وهذا قليل.

أمّا المبرد فلا يجيز أن تكون داخلة على الجملة الاسميّة، فقد جاء في المقتضب:" وذلك لأنّ (ما) اسم فلا توصل إلاّ بالفعل؛نحو: بلغني ما صنعت ، أي صنيعك، إذا أردت بها المصدر فصلتها الفعل لاغير"[34] كما جاء في قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[35]

ذكر المرادي أنّ لـ (ما) المصدريّة قسمين [36]: ظرفيّة، وغير ظرفيّة:

فالظرفيّة إذا كانت دلالة ما بعدها على الزمان، جاء في التسهيل:"وتختصّ بنيابتها عن ظرف الزمان، موصولة في الغالب بفعل ماضي اللفظ مثبت، أو مضارع منفيّ بلم"[37] نحو قوله تعالى:﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾[38] أي: مادامت إلاّ الأزمان التي شاء الله فيها عدم خلودهم، أو طول المدّة فمنهم من يُعذّب ثم يعفى عنه" [39]ونظيره الآية﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[40]

وغير الظرفيّة المؤوّلة مع صلتها بمصدر، والداخلة كذلك على الماضي والمضارع، نحو قوله تعالى:﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾[41]ما من(كما) مصدرية، أي: كهدايته إيّاكم، فهي وما بعدها في محلّ جرّ مصدر، قال المرادي : هي التي تقدر مع صلتها بمصدر، ولا يحسن تقدير الوقت قبلها، نحو:يعجبني ما صنعت، أي صنعك،وذهب سيبويه والجمهور إلى أنّها حرف ؛ لعدم عودة الضمير من صلتها عليها، أمّا الأخفش وابن السّرّاج وجماعة من الكوفيّين، فيرون أنّها اسم وتفتقر إلى ضمير، فتقدير الجملة السابقة : يعجبني الصّنع الذي صنعته" [42]

مـــا الاسميّة

-الموصولة : الأصل في (ما) الموصولة أن تستعمل لما لا يعقل، جاء في المقتضب:" ما وهي سؤال عن غير الآدميّين، وهنّ صفات الآدميّين، وتكون سؤالاً عن جنس الآدميّين إذا دخل في الأجناس أو تجعل الصفة في موضع الموصوف"[43] ، ففي قوله تعالى:﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[44] جاءت (ما) في الآية بمعنى مَنْ ولأنّ(ما) أعمّ عبّر بها، فكان التسبيح من الخلق جميعهم العاقل منهم وغير العاقل[45]، وهذا ما ذهب إليه الفرّاء من وقوع ما موقع مَنْ والمراد بها العاقل[46].

وذكر سيبويه (ما) اسماً موصولاً في باب الأسماء التي يجازي بها وتكون بمنزلة الذي، نحو قولك: ما تقول أقول، أي : الذي تقول أقول ، وصلته جملة (تقول)[47]، وقد جاءت ما اسماً موصولاً دالاً على ما لايعقل وهذا الأصل [48]في قوله تعالى﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[49]،وتقع (ما) موقع أيّ من الأسماء الموصولة الخاصّة ولكن قد يراعى فيها اللفظ فيفرَد ويذكر مع الجمع ، وقد يحذف عائد صلة ما إذا تبيّن من الكلام وإذا لم يُحدث حذفه أي لَبْسٍ، نحو:افعل ما تريد، والتقدير: ما تريده،جاء في التسهيل:" ويجوز حذف عائد غير الألف واللام إن كان متّصلاً منصوباً بفعل أو وصف أومجروراً..."[50]ومن أمثلة ذكره ماجاء في قوله تعالى:﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾[51]﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾[52] فالهاء ضمير عائد على ما وهذه قراءة أبي عبّاس وأبي جعفر، أمّا غيره من القرّاء ،فيحذفها [53].

-التعجبية :اختصّت بصيغة التعجب(ما أفعله)، و(ما) في التقدير شيء[54]، وقد أجمع النّحاة على اسميّتها؛لأن الضمير الواقع فاعلاً لـ(أفعل) يعود عليها، ومحلّها الرفع بالابتداء، والجملة بعدها خبرها[55]، قال تعالى:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[56]، قال الزمخشري:" فما أصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجباتالنار من غير مبالاة منهم، كما تقول لمن يتعرّض لما يوجب غضب السلطان : ما أصبرك على القيد والسجن، تريد أنّه لايتعرّض لذلك إلاّ من هو شديد الصبر على العذاب، فما أصبرهم: أيّ شيء صبّرهم"[57]

ونحو قوله تعالى:﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[58]جاء في الكشاف:" وما أكفره تعجب، من إفراطه في كفران نعمة الله، ولا ترى أسلوباً أغلظ منه، ولا أخشن مسّاً، ولا أدلّ على سخط ولا أبعد شوطاً في المذمّة، مع تقارب طرفيه، ولا أجمع للأئمة على قصر متنه" [59]وما: تعجبيّة نكرة تامّة بمعنى شيء في محلّ رفع مبتدأ، وجملة(ما أكفره) في محل رفع خبر المبتدأ(ما) التعجبية[60]، وذهب الأخفش إلى أن (ما) من قولك: ما أحسن أخاك ، معرفة ناقصة بمعنى (الذي)، والجملة بعدها من الفعل والفاعل والمفعول صلتها، فـ(ما) مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: الذي أحسن أخاك شيء، أو نكرة ناقصة وما بعدها صفة محلها الرفع، والخبر كذلك محذوف وجوباً، أي: شيء عظيم[61].

-الاستفهامية:

يُستفهم بها حقيقة عن غير العاقل من الحيوان وغيره، نحو قولك: ما معك؟ فتقول: فرس أو جمل أوثوب...وقد يستفهم بها عن العاقل[62]، قال بعض النحويين إنها قد تجيء بمعنى مَنْ، نحو قوله تعالى:﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾[61] والتقدير:فمن يكذّبك؟ لأنّ التكذيب لا يكون إلاّ من الآدميّين[63].

وقد يستفهم بها عن صفات العاقل، نحو: مَنْ عندك؟ فتقول:زيدٌ، لكن لا يعرف باسمه، فيقول: وما زيْدٌ؟ فتقول: شاب عطّار أو كهْل تميمي[64]، ويمثّله قوله تعالى:﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[65]أي: أي شيء رب العالمين، من الأشياء التي شُوهدت وعُرفت أجناسها، أو أي شيء هو على الإطلاق وفي هذا تفتيش عن حقيقته الخاصة، فأجيب مَنْ إليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثابتة بصفاته ، وقيل: تفتيش عن حقيقته الخاصّة التي هي فوق فطر العقول؛ لأنّه بسؤاله امتعنّتٌ غير طالب للحقّ، فهو إنكار من فرعون أن يكون للعالمين ربّ سواه لادّعائه الإلهية.[66]

أي أن (ما) تأتي للاستفهام حقيقة، ففي قول الله تعالى:﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾[67]فقد سألوا موسى أن يسأل ربّه لهم ما كان الله قد كفاهم بقوله لهم ﴿اذبحوا بقرة﴾فـ(ما) اسم استفهام في محلّ رفع مبتدأ، وهي: خبرها[68]، وقد تختلف دلالة الاستفهام

في ما أو الغرض منها، فقد يُراد بها التعظيم أو التحقير أو التعجب أو التقرير، أي أنّه يخرج عن معناه الحقيقيّ إلى معانٍ أخرى[69].

فمعنى الاستفهام في ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾[70]تفخيم الشأن ، كأنه قيل: عن أي شيء يتساءلون، والاستفهام عن هذا تفخيم وتهويل وتقرير وتعجيب.[71]

وأكثر المواقع التي ترد فيها ما استفهاماً تكون مبتدأ، كما أنّ لها حقّ الصدارة في جملتها، أمّا إذا ركبت مع ذا (ماذا) فقد تكون كلّها مفعولاً مقدّماً أو مبتدأ أو خبراً، فنحو قول:﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾[72] ماذا في محلّ نصبٍ على المصدرية بـ (أجبتم) والتقدير:أيّ إجابة أجبتم [73].

وقد تُسبق بحرف جرّ فتحذف ألفها، كما في الآية السابقة، ومن العرب من يثبتها، فيقول: لما تفعل كذا؟ وفيما جئت؟ وعلى ما تسبّني؟ [74]قال حسّان[75]:

على ما قام يشتمني لئيمٌ كخنزير تمرّغَ في دمانِ

-الشرطية:

اسم شرط جازم للفعل المضارع، وهي لما لا يعقل، عبّر عنها المبرد بقوله:" وما تكون لغير الآدميّين، نحو: ما تركب أركبْ وما تصنع أصنعْ"[76]، وتتّخذ (ما) الشرطيّة مواقع إعرابيّة مختلفة، فقد تكون مبتدأ أو مفعولاً أو مطلقاً، فنحو قوله تعالى:﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾[77]جاء إعرابها في البحر المحيط:" ما: شرطية، وهي مفعول مقدّم، شرطها ننسخ ،ونأت : جواب الشرط ، واسم الشرط هنا جاء بعده الشرط والجزاء مضارعين، وهذا أحسن التّراكيب في فعلي الشرط والجزاء وهو أن يكونا مضارعين،[78]،ونظيره ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾فهذه جملة شرطيّة، وجواب الشرط يعلمه الله[79].

وذهب ابن هشام إلى أنّ ما الشرطية نوعان[80]: زمانية، وغير زمانية، ومثّل لغير الزمانيّة بالآيتين السابقتين، وللزمانيّة ونسبه للفارسيّ وأبي البقاء وابن مالك، في قوله تعالى:﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾[81]،أي: استقيموا لهم مدّة استقامتهم لكم، ومحلّ ما الرفع بالابتداء.

النّكرة الموصوفة:

قال أبو حيّان:" وأكثر المعربين للقرآن متى صلح عندهم تقدير ما أو من بشيء جوّزوا فيها أن تكون نكرة موصوفة وإثبات كون ما نكرة موصوفة يحتاج إلى دليل قاطع في قولهم: مررْت بما معجب لك، لإمكان الزّيادة، فإن اطّرد ذلك في الرفع والنصب من كلام العرب، كـ: سرّني ما معجب لك، وأحببت ما معجباً لك، كان في ذلك تقوية لما ادّعى به النحويون من ذلك، ولو وسع لأمكنت الزيادة أيضاً" [82]

والغالب في ما النكرة الموصوفة أن تصلح؛ليحلّ محلّها كلمة شيء، ولا بد من مجيء صفة بعدها، فإن لم يقع فتكون نكرة تامّة[83].

وأكثر المواضع التي ترد فيها ما نكرة موصوفة، يجوز فيها أن تكون موصولة، ومن ذهب إلى ذلك الزّمخشري [84]، نحو قوله تعالى:﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾[85] قال سيبويه: المراد شيء لدي عتيد أي: معدّ[86] ،ونحو قوله :﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾[87] ذكر أبو حيان أن (ما) في هذه الآية مصدريّة ظرفيّة،أي: مدّة يذّكر[88]، وأجاز العكبريّ أن تكون (ما) مصدريّة ظرفيّة ،أي: زمن ما يتذكّر، أو نكرة موصوفة،أي: تعميراً يتذكّر فيه[89].

ما معرفة تامّة مقترنة بنعم أو بئس:أُختلف في وجوه إعرابها إذا وقعت بعد نعم وبئس، فقد جاء في أوضح المسالك أنّ ما الواقعة بعد نعم أو بئس على ثلاثة أنواع حسب مجيء شيء بعدها أو عدم مجيئه[90]:

أ-أن لا يقع بعدها شيء، نحو:صادقت زيداً فنعمّا، وللنحاة قولان فيه:

-أن تكون معرفة تامّة في محلّ رفع فاعل، أي: صادقت زيداً فنعم الصديق.
-أن تكون نكرة تامّة في محلّ نصب على التمييز،أي: صادقت زيداً فنعم صديقاً.
ب-أن يليَها اسم مفرد ليس جملة ولا شبه جملة،نحو:صادقت عليّاً فنعم هو،وللنحاة في هذه الحالة ثلاثة أقوال:
-كونها معرفة تامّة محلّها الرفع على الفاعلية.
-كونها نكرة ناقصة محلّها النصب على التمييز، وعلى هذين القولين المخصوص الضمير هو.
-ما مع الفعل صارت كلمة واحدة فهي فعل ماضٍ لإنشاء المدح أوالذم، والاسم بعدها فاعل.
ج-أن تليَها جملة فعليّة ، قوله تعالى﴿نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ[91]﴾ففي هذه الحالة كان للنحاة أربعة أقوال:
-أنّها اسم موصول معرفة محلّها الرفع على الفاعليّة والجملة صلتها لا محلّ لها.
-أنها نكرة وهي منصوبة على التمييز والجملة محلها النصب صفة لها.
-ما هي المخصوص،هي موصولة والفاعل ضمير مستتر فيها.
-كافة كفت فعل المدح أو الذم عن العمل.
-ما اسم بمعنى الحين:
ذكر هذا النوع من (ما) ابن الشجري في أماليه[92]، ومثّل له بقوله تعالى:﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا [93]﴾وقوله:﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[94] والتقدير:وفي كلّ حين نضجت جلودهم، وفي كلّ حين أضاء لهم، في حين ذهب سيبويه إلى أنّ ما من كلّما مصدريّة ظرفيّة، وانتصاب كلّ على الظرف لأنّه مضاف إلى المصدريّة الظرفيّة، وهي جملة فيها معنى الشرط[95]
ما النكرة المبهمة:
يقصد بكونها: نكرة تامة، أي مكتفية بنفسها، فلا تحتاج أي صلة أو صفة، نحو: " أَكرِمْ رجلاً ما ". ومنه المثل " لأمر ما جدع قصير أنفه"[96]﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[97]

	اسم			فعل			حرف			
الحرفيّة	صريح	ضمير	ظرف	ماضي	مضارع	أمر	عطف	شرط	نواسخ	جر
النّافية غير العاملة										
ما قام زيدُ				√						
وما كانوا مؤمنين				√						
ما يقومُ زيدٌ					√					
زيدٌ ما يصلّي					√					
النّافية العاملة										
وما محمدٌ إلاّ رسولٌ	√									
ما مسيء من اعتبَ	√									
ما إن أنتم ذهبٌ		√								
ما زيدٌ إلاّ منطلق	√									
ما منطلق إلاّ زيدٌ	√									
وما كلٌّ من وافي	√									
ما هذا بشراً	√									
ما هُنّ أمهاتهن		√								
الزائدة										

إذا ما بكى من خلفها انصرفت				√						
"وإما تَخافَنَّ من قوم خيانةً"				√						
أينما تذهب ، حيثما تجلس ، كيفما تعامل				√						
لا سيّما المجتهدُ										
"عَمّا قليل ليصبحن نادمين"									√	
ربّما أغدو									√	
ربّما يودّ الذين كفروا									√	
الكافة										
إنّما زيدٌ قائمٌ									√	
إنما أنت منذر									√	
قلما ينجح المهملُ				√						
بينما القوم في دعة			√							

	اسم			فعل			حرف			
الحرفيّة	صريح	ضمير	ظرف	ماضي	مضارع	أمر	عطف	شرط	نواسخ	جر
الموطئة أوالمهيئة										
إنما يقوم زيدٌ					√				√	
إنما يخشى...					√				√	
الزائدة بعد النكرة										
جندٌ ما هنالك مهزوم	√									
المصدرية										
أعجبني ما صنعت				√						
عملت ما عملت				√						
ما لدينا باقية			√							
بعدما أفنانٌ			√							
بلغني ما صنعت				√						
والله يعلم ما تصنعون					√					
ما دامت السموات والأرض				√						
ما دمت حياً				√						
واذكروه كما هداكم				√						
يعجبني ما صنعتَ				√						
الاسمية										
الموصولة										
لاتصاحب ما عرفت من المنافقين				√						
يسبح لله ما في السموات									√	
إني نذرت لك ما في بطني محرراً									√	

ما تقولُ أقولُ				√						
ماعندكم ينفد وماعند الله باق		√								
والسّماء وما بناها			√							
وفيها ما تشتهيه الأنفس				√						
التعجبية										
فما أصبرهم على النّار			√							
ما أكفره			√							
الاستفهامية										
ما معك؟		√								
فما يكذبك بعدُ بالدين ؟				√						
من عندك ؟		√								
ما زيدٌ ؟	√									
وما ربُّ العالمين ؟										
ما هي؟		√								
عمّ يتساءلون؟										√
ماذا أجبتم ؟	√									
الشرطية										
ما تركب اركب				√						
ما تصنع أصنع				√						
ما ننسخ من آية				√						
ما تفعلوا من خيرٍ				√						
فما استقاموا			√							
النكرة الموصوفة										
مررت بما معجبٍ لك	√									
سرّني ما معجبٌ لكَ	√									
أحببت مامعجباً لك	√									
هذا ما لدّي عتيد		√								
أولم نعّمركم ما يتذّكر فيه من تذكّر				√						
ما في باب نعم وبئس										
صادقتُ زيداً فنعمَا			√							
صادقتُ علياً فنعم هو			√							
نعما يعظكم به			√							

الخاتمة:

- لـ (ما) أنواع وكلّها تنحصر في قسمين: الحرفيّة والاسميّة.

- ما الحرفيّة ثلاثة أقسام: النافية والزائدة والمصدريّة.
- ما الاسميّة ستّة أنواع: الموصولة، والتعجبيّة، والاستفهاميّة، والشرطيّة، والموصوفة، والتامّة.
- مـاالاسميّة المعرف وتكون في أربعة مواضع: الموصولة، والاستفهاميّة، والشرطيّة.
-مـاالمعرفة التامّةوهي التي تكون متّصلة ب(نِعِمْ) (المكسورة العين؛ والساكنة الميم؛ فتدغم) مـافي (مْ) نِعِمْ ؛ فتصير نِعِمَّـا.
- اختلف في ما المصدريّة بين الحرفيّة والاسميّة، فقد عدّها سيبويه حرفاً، أمّا الأخفش وابن السّرّاج وبعض من الكوفيّين، فيرونها اسماً، ولابد من اشتمال جملتها على ضمير يعود إليها.
- للتفريق بين أنواع ما:

- النكرة التامّة: ما لا تحتاج إلى ما يكمل معناها.
- النكرة الناقصة: ما تحتاج صلة تكمل معناها.
- المعرفة الناقصة :ما يكتمل تعريفها بصلتها.
- النكرة الموصوفة :ما تليت بنعت.

ويكثر استعمال هذه المسمّيات في الأسماء المبهمة مثل ما ومن.

(مـا) الاسميّة النكرة،تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

- نكرة تامّة بمعنى شيء: وهي التي لا تحتاج إلى وصف، ولا توجد إلا في باب المدح والذم والتعجّب وتعرب فاعلا لنعم أو لبئس، وفي محلّ رفع مبتدأ مع التعجّبوتسمّىما التعجّبيّة.

-وهناك النكرة التامّة المبهمة، وتعرب صفة لما قبلها.

- نكرة ناقصة:وهي التي تحتاج إلى وصف أي إلى ما توصف به.

الهوامش:

1- لسان العرب،ابن منظور:471/15 وما بعدها
2- ينظر رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد عبد النور المالقي، تح:أحمد محمد الخراط، دارالقلم، دمشق، ط2، 2002، 380
3- سورة الأعراف، من الآية (72)
4- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، 119/2
5- الأمالي، ضياء الدين ابن الشجري، تح: د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1991، 556/2
6- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، أبو البركات كمال الدين الأنباري، المكتبة العصرية،ط2003،1، 134/1
7- الكتاب، سيبويه، تح:عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988،1 59/

8- السابق:59/1
9- ينظر ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، ط1،2001،257/1، والكتاب: 57/1، والمقتضب: 188/4 وما بعدها
10- سورة آل عمران من الآية (144)
11- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام،تح: يوسف البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر، 266/1
12- المقتضب، أبو العباس المبرد، تح: محمدعبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، 189/4
13- البيت لمزاحم بن الحارث العقيلي، ينظر شرح التصريح: 266/1
14- التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،2000،266/1
وشرح الرضي: 247/1
15- ينظر رصف المباني :382 مابعدها، والجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي، تح:د.فخر الدين قباوة أ.محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1،1992/332 وما بعدها، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط1،2001، 265/1 ، القاموس المحيط، للفيروز آبادي:1353/1وما بعدها
16- ديوانه: 31/1، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004
17- سورة الأنفال، من الآية (58)
18- ينظر قاموس الإعراب، جرجس عيسى الأسمر، دار العلم للملايين، بيروت، ط98،1979،7، 101
19- سورة المؤمنون الآية (40)
20- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، 562/7
21- ديوان أبي نواس،تح:بهجت عبد الغفورالحديثي، دار الرسالة، بغداد، 364،1980
22- سور الحجر الآية(2)
23- سورة الرعد من الآية (7)
24- شرح جمل الزجاجي، ابن هشام، تح: علي محسن مال الله، مكتبة النهضة العربية، ط384،1986،2
25- رصف المباني :384
26- سورة فاطر بعض الآية (28)
27- ينظر النحو الوافي :354/1
28- رصف المباني: 383
29- سورة ص الآية (11)
30- البحر المحيط: 140/9
31- رصف المباني: 380،وينظر الجنى الداني :330/1
32- شرح الرضي على الكافية: تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1996، 4/2،441/295
33- رصف المباني :380، 381

34- المقتضب: 427/4
35- سورة العنكبوت من الآية (45)
36- الجنى الداني :330/1
37- ابن مالك :37/1، 38
38- سورة هود من الآية (107)
39- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 ،165/12
40- سورة مريم من الآية (31)
41- سورة البقرة من الآية (198)
42- الجنى الداني :331332/1
43- المقتضب: 41/1
44- سورة الجمعة من الآية (1)
45- إعراب القرآن،للأصبهاني، وثقته د.فائزة بنت عمر المؤيد، الرياض، ط1،1995،440/1
46- معاني القرآن، للفراء، تح: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1، 416/2
47- الكتاب:69/3
48- أوضح المسالك: 155/1
49- سورة النحل من الآية(96)
50- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تح:محمد كمال بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،1،1967،35/34
51- سورة الزخرف من الآية (71)
52- البحر المحيط: 388/9
53- الكتاب: 72/1
54- أوضح المسالك: 3/ 225
55- سورة البقرة الآية (175)
56- الكشاف: 216/1
57- سورة عبس الآية (17)
58- الزمخشري:703/4
59- الجدول في إعراب القرآن، محمود عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق،مؤسسة الإيمان، بيروت، ط4، 1418هـ،30 /247، وينظر المقتضب: 173/4
60- ينظر أوضح المسالك: 226/3، والتصريح: 58/2
61- أمالي الشجري :548/2
62- سورة التين الآية (7)
63- أمالي الشجري: 548/2
64- السابق: 548/2
65- سورة الشعراء الآية (23)
66- الكشاف :307/3
67- سورة البقرة من الآية (68)

68- الجدول: 1/ 156
69- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، تح: محمود محمد شاكر،دار الحديث، القاهرة، 3/9،8
70- سورة النبأ الآية (1)
71- البحر المحيط :383/10
72- سورة المائدة من الآية (109)
73- الكشاف: 690/1
74- أمالي الشجري :54/2، 547
75- ديوانه: 258
76- المقتضب:52/2
77- سورة البقرة من الآية (106)
78- البحر المحيط :54/1، 552
79- السابق :289/2
80- ينظر مغني اللبيب: 261/1، 262
81- سورة التوبة من الآية (7)
82- البحر المحيط :1/ 52
83- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط15، 353/1، والكشاف :22/4
84- الكشاف :22/4
85- سورة ق من الآية (23)
86- أمالي الشجري :554/2
87- سورة فاطر بعض الآية (37)
88- البحر المحيط :36/9
89- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري،تح:علي محمد البجاوي، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1076/2
90- ينظر: 246/3
91- سورة النساء بعض الآية (58)
92- 554/2
93- سورة الإسراء بعض الآية (97)
94- سورة النساء من الآية (56)
95- البحر المحيط :680/3
96- جامع الدروس العربية، للغلاييني،تح: أحمد زهوة،دار الكتاب العربي،بيروت، لبنان،57،2013
97- سورة البقرة من الآية(26)

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية قالون عن نافع
- الأمالي، ضياء الدين ابن الشجري، تح: د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1991
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، أبو البركات كمال الدين الأنباري، المكتبة

العصرية،ط2003،1
- إعراب القرآن ،للأصبهاني، وثقته د.فائزة بنت عمر المؤيد، الرياض، ط1995،1
-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام ،تح: يوسف البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ
-التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، تح: علي محمد البجاوي، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه
-التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984
-تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تح: محمد كمال بركات، دار الكتاب العربي للطباعة
-التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2000،1
-جامع الدروس العربية، للغلاييني، تح: أحمد زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،2013
-الجدول في إعراب القرآن، محمود عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط4، 1418هـ
-والجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي، تح: د.فخر الدين قباوة أ.محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992
-دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، تح: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة
-أبي نواس، تح: بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الرسالة، بغداد، 1980
-ديوان امرئ القيس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004
-رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد عبد النور المالقي، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط2، 2002
-شرح جمل الزجاجي، ابن هشام، تح: علي محسن مال الله، مكتبة النهضة العربية، ط1986،2
-شرح الرضي على الكافية: تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1996
-ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، ط2001،1
-القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهرالفيروزآبادى، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط8، 1426هـ،2005 م
- الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ
- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر بيروت، ط1414،3 هـ
- معاني القرآن، للفراء، تح: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1،2001
-المقتضب، أبو العباس المبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت
- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط15
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر

المغايرة بين حروف المعاني وأثرها في تغيّر المعنى

(القراءات القرآنية أنموذجاً)

د. محمد عبد السلام الفقي
كلية الآداب الأصابعة

مستخلص البحث :

من خلال دراسة المغايرة بين حروف المعاني ، توصل الباحث إلى أنَّ هذه الظاهرة لها أثر في تغيَّر المعاني في التركيب النحوي ، جاعلاً القراءات القرآنية نموذجاً لهذا التبادل ، والذي ترتب عليه معانٍ وفق كل قراءة وبما يقتضيه السياق والمقام ، معتمداً في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته لهذا النوع من البحوث .

Abstract :

Through studying the substitution between the letters of meanings , the researchers concluded that this phenomenon has an influence in changing of meanings in syntactical structure . The researcher takes the quranic reading as a sample for this substation , which leads to meanings according to each readings and according to the context . The researcher also depended on descriptive and analytical methodology . This type of methodology was used because it suits this type of research .

مقدمـــــــة :

من الظواهر اللغوية التي تحدث تأثيراً في دلالة التراكيب ، ظاهرة تبادل حروف المعاني ، وهو ما يعرف عند المحدثين بقانون الاستبدال ، الذي يعدُّ من مظاهر التحويل في النحو التحويلي ، وقد وقف علماء العربية أمام هذه الظاهرة في مواضع كثيرة من ذلك ما

ذكره ابن جني في الخصائص (تـ 392هـ) إذ وضع باباً سماه (باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض) [1] .

فأشار إلى أنه لا بدَّ من وجود علاقة بين الحرفين المنقول وما نقل إليه ، بقوله : " إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له ، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا " [2] .

كما أورد الثعالبي (تـ 429هـ) فصلاً مجملاً في وقوع بعض حروف المعنى مواقع بعض [3] .

لذا تعدُّ هذه الظاهرة من مظاهر الثراء اللغوي ، والتنوع في أساليب العربية ، وقد أشار إلى ذلك المسدي بقوله : " ... إنَّ مواضعة اللغات في مبدأ النشأة أن يكون لكل دال مدلول واحد ، ولكل مدلول واحد ، غَيْر أن جدلية الاستعمال ترضخ عناصر اللغة إلى تفاعل عضوي بموجبه تنزاح الألفاظ تبعاً لسياقتها في الاستعمال عن معانيها الوضعية " [4] .

ومن خلال تحليلي لنماذج من القراءات القرآنية التي بها تبادل لحروف المعاني ، يتضح ما تمخض عنها من تنوع دلالي له ارتباط بسياق الآيات ومقامها وفق كل قراءة والنماذج التي تضمنها هذا البحث وهي :

1- بين أنْ وإنْ :

ومما سبيله إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ﴾ [المائدة : 2] بكسر همزة (إنْ) وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير ، وقرأ الباقون بالفتح [5] .

فقد اتفق خمسة من القرّاء السبعة على فتح الهمزة وخالفهم ابن كثير وأبو عمرو ، فكانت القراءة عندهما بالكسر ، وقد نتج عن قراءة الأخيرين إشكال تفسيري وقد أنكر بعض المفسرين هذه القراءة من ذلك ابن جرير (تـ 310هـ) والنحاس (تـ 338هـ) وغيرهما قالوا : هذه قراءة منكرة [6] .

وقد عارض هذا القول الفراء (تـ 207هـ) وقال بصحة هذه القراءة بقوله : وفي حرف عبد الله (إن يصدُّوكم) فإن كسرت جعلت الفعل مستقبلا" [7] .

والإشكال الحاصل في قراءة كسر همزة (إنْ) يقتضي أنها شرطية ، أي أن الأمر مشروط لم يقع ، مع أن الصد قد وقع لأن نزول الآية متأخر عنه بمدة ، فالصد عام الحديبية وهي سنة ست ، والآية نزلت سنة ثمان [8] .

وقد أجاب المفسرون عن هذا الإشكال فمكي (تـ 437هـ) يقول في كسر همزة (إنْ) : " وحجة من كسر أنه جعله أمراً منتظراً ، وتقديره : إن وقع صد فيما يستقبل فلا يكسبنكم الاعتداء ، فـ(إن) للشرط ، والصد منتظر وقوعه ، وفي حرف مسعود (إنْ صدوكم) فهذا يدل على انتظار صد ، ويجوز أن يكون الصد قد مضى ، مع كسر (إنهْ) على معنى : لا يكسبكم بعضُ قوم الاعتداء إن صدوكم ، كما جرى فيما مضى من الصد ، فتحقيقه : " إنْ عادوا إلى الصد الذي أكسبكم البعض لهم ، فيكون الشرط مستقبلاً على بـ(أنْ) وهو مثال الأمر مضى ، لأن معناه : إنْ وقع مثل الصد الذي مضى فلا يكسبكم بعض قوم الاعتداء . والتفسير والإخبار على أنه أمر قد كان ، وصد قد وقع ، فالكسر في (إن) أولى على أنه مال لما مضى " [9] .

وقدّر أبو حيان (تـ 671هـ) قراءة كسر همزة (إنْ) على حمل المعنى في المستقبل بقوله : " والتقدير : إن وقع صد في المستقبل ، مثل ذلك الصد الذي كان زمن

الحديبية ، وهذا التشريع في المستقبل ، وليس نزول هذه الآية عام الفتح مجمعاً عليه ، بل ذكر اليزيدي أنها نزلت قبل أن يصدوهم ، فعلى هذا القول يكون الشرط واضحاً " [10] .

وبيان حجة قراء فتح همزة (أنْ) عند مكي أن الفتح متطابق مع ظاهر التلاوة والتفسير قال : " أنه هو الظاهر في التلاوة وعليه أتى التفسير ، لأن المشركين صدوا النبي ﷺ والمسلمين عن البيت ، ومنعوهم دخول مكة فهو أمر قد مضى " [11] .

واختار مكي قراءة الفتح ؛ لأن الأمر قد مضى ، ولأن أكثر القرّاء عليه [12] .

ومن المفسرين الذين وافقوا مكي القرطبي [13] .

ومن ذلك يمكن أن نجمع بين القراءتين على أن الفتح جاء على تقدير : لأن صدوكم بحجة أن الصد كان واقعاً من الكفار ، أو على قراءة الكسر للمستقبل ، فكأن التشريع للمستقبل يطلب الكف عن هذا البغض الدافع إلى الاعتداء مستقبلاً .

ومن الأمثلة على تغاير قراءة كسر همزة (إن) وفتحها قوله تعالى : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ ﴾ [الزخرف : 5] .

قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف بكسر الهمزة ، وقرأ الباقون بفتحها [14] .

إذ لاحظ أبو علي الفارسي (تـ 281هـ) في قراءة كسر همزة (إنْ) بأنها تفيد الجزاء في مقام السياق ، لأنها جاءت بصحة الأمر ، وتحقق ثبوته خلافاً لما يتخيله القارئ للآية في قراءة الكسر بقوله : " والكسر على أنه جزاء استغنى عن جوابه بما تقدمه ، مثل : أنت ظالم ، وإن فعلت كأنه : إن كنتم قوماً مسرفين نضرب " [15] .

وقد علل الزجاج (تـ 311هـ) كسر همزة (إنْ) على معنى الاستقبال قال في ذلك : " ومن كسرها فعلى معنى الاستقبال ، على معنى إن تكونوا مسرفين نضرب عنكم الذكر " [16] ، وفي ذلك يعني بالكسر معنى الحال ، لأن في الكلام معنى التقرير والتوبيخ .

وكذا فصَّل مكي قراءة كسر همزة (إنْ) بقوله : " من كسر أنه جعله أمراً منتظراً لم يقع وجعل (إنْ) للشرط ، والشرط أمر لم يقع ، وجواب الشرط ما قبله من جملة الكلام " [17] ، وهو ما سبق إليه الفارسي في توجيه قراءة كسر همزة (إنْ) وما ذكره الفارسي ومكي قال به القرطبي في قوله : " ومن كسر جعلها للشرط وما قبلها جواباً لها ؛ لأنها لم تعمل في اللفظ ... ، وقيل الجواب محذوف دلَّ عليه ما تقدم ؛ كما تقول : أنت ظالم إنْ فعلت " [18] .

أما حجة قراءة فتح همزة (أنْ) فالفراء يقول : " (أنْ كنتم) بفتح (أنْ) كأنهم أرادوا شيئاً ماضياً ، وأنت تقول في الكلام : أأسبَّك أن حرمتني ؟ تريد إذ حرمتني " [19] .

في حين نجد مكي يذهب إلى رأي الفرّاء في المعنى بقوله : " أنه جعله أمراً قد كان وانقضى ففتح على أنه مفعول من أجله ، أي : من أجل أن كنتم ولأن كنتم " [20] .

ومما سبق يتضح التغاير بين القراءتين فالكسر لهمزة (إنْ) جزاء استغنى عن جوابه بما تقدمه من كلام بخلاف المعنى فيمن قرأ بفتح الهمزة (أنْ) على معنى أمراً قد كان وانقضى .

2- بين أو والواو :

ظهرت قضية تناوب الحروف في تحليل المفسرين ، وكتب القراءات لتعاقب حروف العطف على بعض القراءات ، إذ تعاقبت (الواو) و(أو) على موضع ﴿ أَوَ أَمِنَ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأعراف : 98] .

فقرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر بإسكان الواو (أوْ أمن) وقرأ الباقون بفتح الواو (أوَ أمن) [21] .

فبيَّن مكي حجة من أسكن الواو بجعل (أو) عاطفة ومعناها الإباحة بقوله : " وحجة من أسكن الواو أنه جعلها (أو) التي للعطف على معنى الإباحة ، مثل : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً ﴾ [الإنسان : 24] ، أي : لا تطع هذا الجنس ، ومثل قولك : جالس الحسن أو ابن سيرين أي : جالس هذا الصنف ، فالمعنى : أفأمنوا هذه الضروب من العقوبات أي : إن أمنتم ضرباً منها لم تأمنوا الآخر " [22].

وذكر وجهاً آخر لـ(أو) بأن تكون لأحد الشيئين وفي ذلك يقول : " لا يجوز أن تكون (أو) لأحد الشيئين كقولك : ضربت زيداً أو عمراً أي : ضربت أحدهما ، ولم ترد أن تبين المضروب منهما وأنت عالم به من هو منهما ، وليست هي (أو) التي للشك في هذا ، إنما هي (أو) التي لأحد الشيئين غير معين ، فيكون التقدير في الآية : أفأمنوا إحدى هذه العقوبات " [23].

وما ذهب إليه مكي وافقه القرطبي في توجيه قراءة إسكان الواو على معنى الإباحة ، ويجوز أن يكون (أو) لأحد الشيئين [24].

وقد وافق أبو حيان سابقيه في قراءة إسكان الواو ويجعل (أو) عاطفة مع مخالفته للمعنى إذ يراد به التنويع وليس الإباحة أو التخيير [25].

ويستفاد من تحليل أبي حيان أن دلالة (أو) الآخر قد يستدعي معنى التنويع والترديد ، لا التخيير أو الإباحة ، وربما ينصرف كذلك إلى معنى الإبهام على المخاطبين .

أما قراءة فتح (الواو) ، وبهمزة بعدها وهي الاختيار عند الكثيرين فحجة مكي في ذلك قوله : " من فتح الواو وهمز (امن) أنه جعلها واو العطف ، دخلت عليها همزة الاستفهام كما تدخل على (ثمَّ) في نحو قوله تعالى : ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ [يونس : 51] ، ومثله : ﴿ أَوَ كُلَّمَا ﴾ [البقرة : 100] ، ويقوي ذلك أن الحرف الذي قبله ، والذي بعده ، وهو الفاء دخلت عليه ألف الاستفهام ، كذلك : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ ﴾ [الأعراف : 100] ، فحمل وسط الكلام على ما قبله وما بعده للمشاكلة والمطابقة في اتفاق اللفظ في دخول الألف عليه كله " [26].

وقد توافق القرطبي مع مكي في توجيه قراءة فتح الواو بهمزة بعدها بجعلها واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام [27].

ومما سبق يتضح إدراك مكي أن مراعاة المشاكلة اللفظية بين أنساق التعبير القرآني في هذا المحل كان وجهاً ذا قيمة دلالية لقراءة الفتح .

ومما سبيله إلى ذلك تعاقب أو والواو في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر : 26] .

إذ تعاقبت – أو والواو – على مواضع (أو أن يظهر) فقرأ الكوفيون ويعقوب (أوْ أن) وقرأ الباقون بغير ألف (وأن) [28].

وقد بيّن العلماء التغاير بين القراءتين ، ومن ثم تأثر المعنى ، بخلاف من رأى أن (أو) بمعنى الواو فالزجاج يقول : بأن (أو) لا يجوز أن تكون بمعنى الواو فـ(أو) أن فرعون قال إني أخاف أن يبدل دينكم أو يفسد ، فجعل طاعة الله تعالى هي الفساد ، فيكون المعنى إني أخاف أن يبطل دينكم البتة ، فإن لم يبطله أوقع فيه الفساد ، ومن قرأ (وأنْ) فيكون المعنى أخاف إبطال دينكم ولفساد معه " [29].

ومن الذين اعترضوا على القول بأن أو بمعنى الواو النحاس إذ يرى أن بين الحرفين تغايراً ولا يجوز أن تكون بمعنى الواو إذ يقولا : " لأن في ذلك بطلان المعاني ، ولو جاز أن تكون بمعنى الواو لما احتيج إلى هذا هاهنا ، لأن معنى الواو : إني أخاف

الأمرين جميعاً ، ومعنى (أو) لأحد الأمرين ، أيَّ إني أخاف أن يبدل دينكم ، فإن أعوزه ذلك أفسد في الأرض " [30] .

وقد بين مكي حجة قراءة (أو أنْ) إذ المعنى عنده للتخيير أو للإباحة بقوله : " جعلوها (أو) التي للتخيير أو للإباحة أو للإجابة ؛ كأنه قال : إني أخاف هذا الضرب عليكم كما تقول : كل خبزاً أو تمراً ، أيَّ : كل هذا الضرب من الطعام " [31] .

أما قراءة (وأن) فجعلها مكي واو عطف بمعنى : " إني أخاف عليكم هذين الأمرين ، وهو الاختيار لأن (فرعون) خاف الأمرين جميعاً أن يقع من موسى عليه السلام وقد وقع ، فبدل دينهم بالإيمان وأفسد ملك فرعون " [32] .

ومما سبق يتضح أن كل وجه يشير إلى معنى مغاير للآخر حسبما يقتضيه الوضع اللغوي من معنيهما ، فكل قراءة تمثل موقفاً لفرعون مع أعوانه فالقراءة الأولى بينت على الإبهام وخوفه من تبديل دينه ، أما القراءة الثانية تمثل موقفاً آخر تسلط فيه خوفه على التبديل والإفساد معاص حتى يقنع أعوانه بخطر موسى عليه السلام .

3- بين الواو والفاء :

ومن مظاهر التغاير في حروف العطف القراءة بالواو والفاء على موضع في قوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ [الشمس : 14 ، 15] .

قرأ نافع وابن عامر (فلا يخاف) والباقون بالواو [33] .

وقد بين الفارسي تعاقب الواو والفاء في (ولا يخاف) و(فلا يخاف) بتوجيه المعنى بين الحقيقة والمجاز ، وذلك في مرجعية ضمير الفعل بعدها وفي ذلك قال : " الواو يجوز أن تكون في موضع حال : فسوَّها غير خائف عقباها ، أيَّ : غير خائف أن يتعقب عليه شيء مما فعله ، وفاعل يخاف الضمير العائد إلى قوله تعالى : ﴿ رَبُّهُم ﴾ ، وقيل : إن الضمير يعود إلى النبي ﷺ الذي أرسل إليهم ، وقيل : إذا انبعث أشقاها ، وهو لا يخاف عقباها ، أيَّ : لا يخاف من إقدامه على ما أتاه مما نُهي عنه ، ففاعل يخاف العاقر على هذا ، والفاء للعطف عل قوله تعالى : فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ [الشمس : 14] ، (فلا يخاف) كأنه تبع تكذيبهم وعقرهم إن لما يخافوا " [34] .

ومن خلال ما ذكره الفارسي نجد أن التحليل الأول مجازياً على سبيل التمثيل ، لأن الله تعالى لا يخاف عاقبة ما فعله بهم ، وأما التحليلان الأخيران فإسناد الفعل فيهما جرى على معناه الحقيقي سواء أسند إلى الرسول ﷺ ، أم أسند إلى ذلك الأشقى عاقر الناقة .

وهذا ما أكده ابن عطية (تـ 546هـ) في تفسيره عن التحليلات الثلاث بقوله : " والفاعل بيخاف على قراءة الفاء يحتمل أن يكون الله تعالى ، والمعنى : فلا درك على الله في فعله بهم لا يسأل عما يفعل ، وهذا قول ابن عباس والحسن ، وفي هذا المعنى احتقار للقوم وتعقبه لأثرهم ، ويحتمل أن يكون صالحاً عليه السلام أي : لا يخاف عقبى هذه الفعلة بهم ؛ إذ كان قد أنذرهم وحذَّرهم ، ومن قرأ بالواو ... ، فيحتمل الوجهين اللذين ذكرنا ، ويحتمل أن يكون الفاعل بيخاف أشقاها والمنبعث قاله الزجاج وأبو علي ، وهو قول السُّدى والضحاك ومقاتل وتكون الواو واو الحال ، كأنه قال : انبعث لعقرها وهو لا يخاف عقبى فعله لكفره وطغيانه " [35] .

وقد رجح القرطبي القراءة بالفاء (فلا يخاف) تمشياً مع معنى إن الله لا يخاف عاقبة إهلاكهم قال : " وقرأ نافع وابن عامر (فلا) بالفاء وهو الأجود لأنه يرجع إلى المعنى الأول ، أي : فلا يخاف الله عاقبة إهلاكهم " [36] ، وقد سبقه إلى ذلك الفرَّاء [37] .

4- بين إنَّ وأنَّ :

ومن أمثلة التعاقب بين (إنَّ) و(أنَّ) على موضع في قوله تعالى : ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [المؤمنون : 110 ، 111] .

قرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة في قوله : ﴿ إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ ، وقرأ الباقون بفتحها [38] ، فحجة من كسر الهمزة عند المفسرين على الاستئناف وهذا ما قال به الفرَّاء : " كسرها الأعمش على الاستئناف " [39] ، وكذا قال به ابن خالويه (تـ 370هـ) : " إنهم بالكسر على الابتداء ، و(إنَّ) إذا كانت مبتدأ ، كانت مكسورة ، والكلام قد تم عند قوله : ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ ، تلخيصه : إني جزيتهم اليوم الفوز بصبرهم ، كما قال : اليوم أجزيك بصنيعك حيث أحسنت إليَّ " [40] .

وهو ما ذهب إليه مكي قال : " على الاستئناف لأن الكلام تم عند قوله ﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾ ، ويكون الجزاء محذوفاً لم يذكر ما هو ، والفعل عامل في المعنى ، وهو المفعول الثاني لـ(جزيت) " [41] .

فقراءة الكسر عند هؤلاء أن الكلام استئنافاً ، لأنه تم عند قوله سبحانه : ﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾ ، وانقطع عما قبله ، وفي كسر الهمزة ما يفيد بالإخبار الثابتة المؤكدة بها ، وبالضمير المنفصل (هم) رداً على أعداء الله سبحانه وتعالى الذين سخروا من المؤمنين وآذوهم بالاستهزاء والعمل الشاق .

أما حجة قراءة فتح همزة (أنَّ) على (أنَّ) وما بعدها مصدراً مؤولاً في محل نصب مفعول به ثانياً لـ(جزيتهم) إذ الفعل يتعدى إلى مفعولين ومن قال بذلك الفارسي : " من فتح كان على قوله : جزيتهم ؛ لأنهم هم الفائزون ، ويجوز يكون (أنهم) في موضع المفعول الثاني ، لأن جزيت يتعدى إلى المفعولين قال : ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ﴾ [الإنسان : 12] ، تقديره : جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز ، وفاز الرجل إذا نال ما أراد ، وقالوا : فوَّز الرجل إذا مات . ويشبه أن يكون ذلك على التفاؤل ، أي : ثار إلى ما أحب ، ومفازة لمهلكه على وجه التفاؤل أيضاً " [42] .

وقد ذهب العكبري (تـ 611هـ) إلى أن الفعل (جزى) يتعدى إلى المفعولين وأن الجملة في محل نصب المفعول الثاني قال : " يقرأ بالفتح على أن الجملة في موضع مفعول ثانٍ لأن (جزى) يتعدى إلى اثنين " [43] .

كما ذكر وجهاً آخر لتوجيه قراءة الفتح بقوله : " وهو أن يكون على تقدير لأنهم أو بأنهم ؛ أي : جزاهم بالفوز على صبرهم " [44] ، وقد وافقه في هذا القول القرطبي [45] .

والملاحظ أن هذا التغاير بين قراءتي الكسر والفتح فيه تغير في المعنى ففي قراءة الكسر جعل هذا الإقرار بفوزهم قائماً لهم ولغيرهم على مر العصور في الصبر على الشعائر أو مجالات أخرى .

أما قراءة الفتح فهو لا يعني جعل الفوز مقصداً في حد ذاته على ما جاء في الآية الكريمة من دون أن يتعدى إلى زمنهم وفي زمن غيرهم .

الخاتمة :

من خلال دراسة ظاهرة المغايرة بين حروف المعاني توصل الباحث إلى النتائج التالية :

- إن ظاهرة تبادل حروف المعاني لها أثر في دلالة التركيب .

- إن ظاهرة التبادل هذه لابدَّ من وجود علاقة بين الحرفين المنقول وما نقل معه .
- ظاهرة التبادل هذه تعدُّ من مظاهر الثراء اللغوي ، والتنوع في الأساليب العربية .
- إنَّ هذا التغاير وما ينتج عنه من تنوع دلالي له ارتباط بسياق الآيات القرآنية ومقامها .
- إن ظاهرة التغاير قد تكون للمشاكلة اللفظية بين أنساق التعبير القرآني .

الهوامش :

1- الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، مطبعة الهدى ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 306/2 .
2- السابق ، 308/2 .
3- فقه اللغة ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت ، ص233 .
4- الأسلوب والأسلوبية ، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط2 ، 1982م ، ص54 .
5- الفتح الرباني في القراءات السبع من طريق حرز الأماني ، تأليف : محمد البيومي ، تحقيق : عبد العزيز بن ناصر السَّبر ، 1417هـ ، ط مطبعة الملك فهد الوطنية ، ص163 .
6- البحر المحيط ، أبو حيان ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد وآخرون ، ط1 ، دار الكتب الجامعية ، بيروت ، ط1 ، 2001م ، 437/3 .
7- معاني القرآن ، الفراء ، تحقيق : عبد الفتاح إسماعيل سلبي ، ط دار السرور ، بيروت ، 300/1 .
8- البحر المحيط ، 437/3 .
9- الكشف عن وجوه القراءات ، مكي ، تحقيق : عبد الرحيم الطرهوني ، دار الحديث ، القاهرة ، ط1 ، 2007م ، 444/1 .
10- البحر المحيط ، 437/3 .
11- الكشف عن وجوه القراءات ، 144/1 .
12- السابق ، 144/1 .
13- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت ، د.ط ، 46/6 .
14- النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1998م ، 275/2 .
15- الحجة للقراء السبعة ، أبو علي الفارسي ، تحقيق : بدر الدين قهوجي ، بشير جويجاتي ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط1 ، 1987م .
16- معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، ط1 ، 1988م ، 405/4 .
17- الكشف عن وجوه القراءات ، 357/2 .
18- الجامع ، القرطبي ، 62/6 ، 63 .
19- معاني القرآن ، للفراء ، 27/3 .
20- الكشف عن وجوه القراءات ، 357/2 .
21- النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، 203/2 .
22- الكشف عن وجوه القراءات ، 28/2 .
23- السابق ، 28/2 .

24- ينظر : الجامع ، القرطبي ، 253/7 ، 254 .
25- ينظر : البحر المحيط ، 351/4 .
26- الكشف عن وجوه القراءات ، 49/2 .
27- الجامع ، القرطبي ، 254/7 .
28- النشر في القراءات العشر ، 273/2 .
29- معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، 371/4 .
30- إعراب القرآن ، النحاس ، تحقيق : د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط3 ، 1988م ، 31/4 .
31- الكشف عن وجوه القراءات ، 354/2 .
32- السابق ، 354/2 .
33- الفتح الرباني ، ص287 .
34- الحجة ، 129/4 .
35- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1993م ، 313/16 .
36- الجامع ، للقرطبي ، 80/20 .
37- معاني القرآن ، للفراء ، 269/3 .
38- النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، 247/2 .
39- معاني القرآن ، للفراء ، 243/2 .
40- إعراب القراءات السبع وعللها ، لابن خالويه ، تحقيق : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1992م ، 95/2 ، 06 .
41- الكشف عن وجوه القراءات ، 235/2 .
42- الحجة ، الفارسي ، 189/3 .
43- التبيان في إعراب القرآن ، العكبري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط دار الشام للتراث ، بيروت ، 1976م ، 961/2 .
44- السابق .
45- الجامع ، القرطبي ، 155/12 .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .
1- الأسلوب والأسلوبية ، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، الطبعة الثانية ، 1982م .
2- إعراب القرآن ، أبو جعفر لنحاس ، تحقيق : د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الثالثة ، 1988م .
3- البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد وآخرون ، دار الكتب الجامعية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2001م .
4- التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء العكبري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الشام للتراث ، بيروت ، 1976م .
5- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .
6- الحجة ، للقراء السبعة ، أبو علي الفارسي ، تحقيق : بدر الدين قهوجي ، بشير جويجاتي ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1987م .

7- الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، مطبعة الهدى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية .
8- الفتح الرباني في القراءات السبع من طريق حرز الأماني ، محمد البيومي ، تحقيق : عبد العزيز بن ناصر السَّبر ، مطبعة الملك فهد الوطنية ، 1417هـ .
9- الكشف عن وجوه القراءات ، مكي القيسي ، تحقيق : عبد الرحيم الطرهوني ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2007م .
10- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1993م .
11- معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي ، ط عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، 1988م .
12- معاني القرآن ، الفراء ، تحقيق : عبد الفتاح إسماعيل سلبي ، دار السرور ، بيروت .
13- معجم القراءات القرآنية ، د. عبد العال أحمد مختار ، ود. عبد العال سالم مكرم ، دار الكتب ، مصر ، الطبعة الثالثة ، 1997م .
النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1998م

الأسلوب الإنشائي في اللغة العربية

"دراسة نحوية دلالية "

د. إبراهيم سعد مكاري
كلية الآداب والعلوم مزدة

Abstract

The main focus of this research is to understand the distinction between two sentence meanings indicated by literary style, that is, two syntactic patterns of two different distinctive colors. The first includes the true meaning of the said style, and the second contains the allegorical meaning that it denotes since thescience of semantic is not indispensable to the science of syntax. That is to say, semantics can never go without syntax which is absolutely essential to style. As a syntactic validity is certainly a prerequisite in every technicalstructure of sentence to perform its message and role.

Semitics topics are many and vary .. e.g. style of definition, presentation,delay, denial, circumvention, formation..etc. Such styles may come out of their original meaning, hence, give other meanings that benefit from the linguistic context in which they are presented and stand as an evidence of the condition in which the formula of these styles presented. The study also show that these meanings do not emanate from a formula in themselves, but rather they are derived from them and set up in special systems and associated witha special

context. With this view in mind, the researcher' attempts toinvestigate and explore the most important characteristics of literary style e.g. command, interrogative, negation ...etc. from both syntactic and semantics point of view exploring the true meanings as well as the allegorical meanings of this unique style. The study thus investigates the various colors of meaning themselves related to literary style and summarizes the key findings of thestudy discusses stylistic issues and suggests directions for further studies.

المقدمة :

يتمثل " المحور الأساسي الذي يدور حوله هذا البحث في التفرقة بين قالبين نحويين ، أو لونين متمايزين من الجمل ،أو معنيين من المعاني التي يدل عليها الأسلوب الطلبي ، أحدهما يتضمن المعنى الحقيقي لهذا الأسلوب ، والثاني يتضمن المعنى المجازي الذي دل عليه ، حيث إن علم المعاني لا غنى له عن علم النحو ، فالصحة النحوية هي شرط أساسي في كل تركيب فني لأداء رسالته ،ولكن على الرغم من ذلك ؛ فإن الفارق يظل واضحا بين تركيب صحيح يرضى عنه النحو فحسب وتركيب صحيح فني لا يرضى علم المعاني به بديلا ، وهذا الفارق بين العلمين " .(محاضرات في علم المعاني د. حسن طبل ص : 4) وهذا القول هو الذي يقرره ابن الأثير ، "حيث يصرح بأن منزلة الأول منهما من الثاني هو بمنزلة أبجد في تعليم الخط " (المثل السائر ، ص : 5) .

ومباحث علم المعاني كثيرة منها : أسلوب الحذف ، والتقديم والتأخير ، والتعريف والتنكير والالتفاف ، والخبر والإنشاء ، لذا رأيت أن أتناول في هذا البحث الأسلوب الإنشائي ، من أمر ونهي ،واستفهام ، وتمن ، ونداء، دراسة نحوية دلالية ، مبينا المعاني الحقيقية ، والمجازية لهذا الأسلوب مركزا القول على المعاني المجازية ، حيث إن هذه الأساليب قد تخرج من معناها الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من السياق اللغوي الذي وردت فيه ، وقرائن الأحوال التي ترد فيها صيغة هذه الأساليب، أي أن هذه المعاني لا تنبثق عن صيغة في ذاتها ، بل تنبثق عنها واقعة في نظم خاص ومقترنة بسياق خاص .

عليه فإن هدف هذا البحث هو إبراز هذه المعاني ، لما فيها من استخدامات فنية تكون أصدق تعبيرا عن واقع وإحساس المخاطب ، وأعمق تأثيرا في وجدان المتلقي ، وكذلك ما توحي به هذه الأساليب من معان ، ودلالات فنية أخرى ، يكون لها أثرها في فنية التعبير وجماله .

وقد جاء هذا البحث في مقدمة ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة ، تناولت في المبحث الأول صيغة الأمر والنهي دراسة نحوية دلالية ، وفي المبحث الثاني صيغة الاستفهام ، وفي المبحث الثالث صيغة التمني والنداء ، ثم بعد ذلك خاتمة وضحت فيها أهم توصلت إليه من نتائج في هذا البحث .

ومن الأمثله على ما ذكرت في صيغة الأمر ، والنهي مثلا قوله تعالى : " فسبح باسم ربك العظيم " (سورة الواقعة ، الآية : 96) ، وقوله تعالى : " ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون " ، (سورة البقرة ، الآية : 185) ، فالمعنى الذي ورد للأمر في الآيتين السابقتين ،هو المعنى الحقيقي لصيغته ، فاستخدام صيغة الأمر للطلب من الأعلى للأدنى ،هو الاستخدام المألوف الذي تعارف عليه الناس في مخاطباتهم ، وتبادل منافعهم ، ففي الآية الأولى جاء الأمر بصيغة فعل الأمر (سبح) ، أي : نزّه ربك العظيم ،

وفي الآية الثانية جاء الأمر بصيغة الفعل المضارع المقرون بلام الأمر (لتكملوا ولتكبروا) ، وهو أمر من الله تعالى للمكلفين بصوم شهر رمضان الكريم ، حتى تنتهي عدته برؤية هلال شوال ، ثم التهليل بالتكبير والحمد والشكر على ما منّ به عليكم من هداية ، وصبر على صيامه ،والأمتثال لأوامره ، وكذلك صيغة النهي ففي قوله تعالى : " ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده " ، (سورة الأسراء ، الآية : 34) ، فقد ورد أسلوب النفي (ولا تقربوا) على معناه الحقيقي .،لأنه موجه من الأعلى إلى الأدنى ، ومن الخالق للمخلوق .، وذلك بالنهي عن قرب مال اليتيم ، والأخذ منه ، أو التصرف فيه إلا بطريقة تنمي هذا المال ، وتزيد فيه حتى يشتد ساعده ويكبر، ويستطيع تحمل مسؤوليته ، والاعتماد على نفسه .

وقد تخرج صيغة الأمر ، أو النهي على المعنى الحقيقي لها إلى المعاني المجازية ، والتي تعرف من السياق ، وقرائن الأحوال وذلك مثل قوله تعالى : " ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين " . (سورة البقرة ، آية : 285) ، ففي هذه الآية جاء الأمر ، والنهي ليس على حقيقتهما ، إ ذ إن الطلب فيهما ليس على و جه الاستعلاء والإلزام ، بل على وجه الذلة والاسترحام .، فأسلوب الأمر والنهي في الآية الكريمة ليس سوى دعاء وتضرع ومناجاة يتوسل بها المخلوق الضعيف إلى الخالق جلّ شأنه اعتصاما بقوته ، وطمعا برحمته .

المبحث الأول :- صيغتا الأمر والنهي دراسة نحوية دلالية

أولاً: صيغة الأمر ودلالاتها في اللغة العربية :

أ- تعريف الأمر وصيغه في اللغة العربية:

1- الأمر لغة :- " ضد النهي كالإمار , والإيمار بكسرها , والآمِرة , على فاعلة , أمره , وبه , وآمره فأتمر, والحادثة ج أمور ومصدره أمر علينا _ مثلثة _ إذا وَلِيَ , و الا سم : الإمْرَةُ بالكسر"، (ترتيب القاموس المحيط , الطاهر أحمد الزاوي , ج1 / 176) . و " امر : إنه لأمور بالمعروف ، نهو عن المنكر ، وأمرت فلانا ، أمره ، أي : أمرته بما ينبغي له من الخير " . (اساس البلاغة ، للزمخشري ص : 20 / 21)
وعرف بأنه طلب إحداث الشيء , والجمع أوامر.، ينظر : (منجد الطلاب , فؤاد أفرام البستاني ,ص:12) .

2- الأمر اصطلاحاً :-عرفه البلاغيون بقولهم : " هو طلب فعل غير كفء عن جهة الاستعلاء بأن يعد المتكلم نفسه عاليا ، وذلك أن يكون كلامه على جهة القوة لا لتواضع "، (الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني , ص:81)
والأمر : "هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء والإلزام, ويقصد بالاستعلاء أن يعد الأمر نفسه عالياً لمن هو أقل منه شأناً سواء أكان عالياً في الواقع ,أم لا" (جواهر البلاغة السيد أحمد الهاشمي علي و سليمان صالح , ص : 72) .
والأمر: هو طلب حصول الفعل من المخاطب , وإذا كان الأمر حقيقياً فإنه يكون على سبيل الاستعلاء والإلزام , أما إذا تخلف كلاهما , أو أحدهما فإن الأمر يخرج عن معناه الحقيقي ويكون أمراً بلاغياً . ينظر : (البلاغة والاسلوبية , يوسف أبو عروس , ص:58) .

وعرفه بعض العلماء بأنه: طلب حدوث الفعل على وجهه الاستعلاء وجوباً , أو ندباً , لتبادر المعنى إلى فهم السامع عند سماعه لهذه الصيغة , ويعتبر التبادر إلى الفهم من أقوى دلالة الحقيقة غالباً ينظر : (دراسات في علم المعاني , عبد الواحد حسن الشيخ , ص : 78) .
وعرف أيضاً بأنه : هو قولك لمن تخاطبه (افعل) إذا كان حاضراً , و (ليفعل فلان) , إذا كان غائباً , وحقيقته أن توجب الائتمار . ينظر : (كشف المشكل في النحو , لعلي بن سليمان الحيدرة اليمني ج2 / 141) .

3-- صيغ الأمر في اللغة العربية :

للأمر صيغ تنوب كل منها مناب الأخرى في طلب أي فعل من الأفعال وهي :-

فعل الأمر : ومنه قوله تعالى :((يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون))، (سورة البقرة , آية : 21) , لقد جاء الأمر في الآية الكريمة بصيغة فل الأمر (اعبدوا) ومعنى ذلك أن الله تعالى أمر بالعبادة له , والعبادة هنا عبادة عن توحيده , والتزام شرائع دينه وأصل العبادة الخضوع والتذلل , يقال : طريق معبدة كانت موطوءة بالأقدام. ينظر: (الجامع الأحكام القرآن الكريم لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ج1 / 194-195) .
المضارع المقرون بلام الأمر : ومنه قوله تعالى : ((وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)) ، (سورة المائدة , الآية : 47) .
لقد جاء الأمر في هذه الآية بصيغة المضارع المقرون بلام الأمر , (وليحكم) , فاللام للأمر ويحكم فعل مضارع مجزوم بلام الأمر , وأهل : فاعل , و(ليحكُم) بسكون اللام , وجزم الميم على أن اللام لام الأمر , وسكنت تخفيفا حيث أصلها الكسر ، ومعنى الآية : هذا أمر من الله تعالى للمسيحيين بأن يتحاكموا فما بينهم بالأحكام التي تضمنها الإنجيل , وهذا قبل مجيء الإسلام , أما بعد مجيئه فعلى جميع الأمم أن يتحاكموا فيما بينهم بما جاء به القرآن الكريم , و السنة النبوية . ينظر :(المستنير في تخريج القراءات المتواترة , تأليف الدكتور : محمد سالم محيسن , ج1 / 138) .
اسم فعل الأمر : ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى ((يأيها الذين امنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعلمون))، (سورة المائدة , الآية : 105) .
حيث جاء الأمر هنا بصيغة فعل الأمر (عليكم) , بمعنى (الزموا) , قول الله تعالى : حيث أمر عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم , ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم , ومخبراً لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس , سواء كان قريباً منه أو بعيداً . ينظر : (عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير , ج 1 /747) .
المصدر النائب عن فعله : ومنه قوله تعالى : ((فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب))، (سورة محمد الآية :4) , وأصله " فاضربوا الرقاب ضرباً , فحذف فعل الأمر , وقدم المصدر فناب عنه مضافاً إلى المفعول ؛ وضرب الرقاب عبارة عن القتل وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته " (علم المعاني , عبد العزيز عتيقه , ص :72) .
ب- دلالات الأمر في اللغة العربية :-
قد يخرج الأمر عن معناه الأصلي والحقيقي , ليدل على معان متعددة , ودلالات أخرى تفهم من السياق ومن هذه المعاني والدلالات :

1- الدعاء : وهو : " الطلب على سبيل الاستعانة , والعون والخضوع والتضرع والعفو , والرحمة وما أشبه ذلك ويسميه ابن فارس المسألة , وهو يكون بكل صيغة للأمر يخاطب بها الأدنى من هو أعلى منه منزلة وشأناً . ينظر : (علم المعاني , عبد العزيز عتيق , ص: 84) .
وذلك نحو قوله تعالى : ((ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن امنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار))، (سورة ال عمران , الآية : 193) . وقد خرج هنا الأمر من معناه الأصلي إلى الدعاء في الآية الكريمة في قوله : (فآمنا) أي : فاستجبنا له واتبعناه , وفي قوله تعالى : (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) , أي فاسترها , و(توفنا مع الأبرار) , أي ألحقنا بالصالحين . ينظر : (عمدة التفسير عن الحفاظ ابن كثير , ج1 / 449 – 450) .
2- التهديد أو الوعيد : ويكون باستعمال صيغة الأمر من جانب المتكلم في مقام عدم الرضا منه بقيام المخاطب بفعل ما أمر به تخويفاً وتحديراً له , ويسميه ابن فارس (الوعيد) . ينظر : (علم المعاني عبد العزيز عتيق , ص: 77) , وذلك نحو قوله تعالى : ((اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير عليها))(سورة فصلت , الآية : 40) , فقوله (اعملوا ماشئتم) , معناه الوعيد والتهديد ، أي : فإذا علمتم أنهما لا يستويان فليتخير كل واحد منكم لنفسه ما شاء من الأمرين , فإن العاقل لا يختار الإلقاء في النار , فإذا لم يتخير ذلك فلا بد أن يؤمن بالآيات فلا يلحد فيها . ينظر : (الأسلوب في الأعجاز البلاغي للقرآن الكريم د. محمد كريم الكواز , ص:370) .
3- التعجيز : ويكون في مقام إظهار عجز من يدعي قدرته على فعل أمر, وليس في وسعه ذلك . ينظر : (علم المعاني , دراسة بلاغية و نقدية لمسائل المعاني , بسيوني عبد الفتاح فيود , ص: 71) , أي : " هو مطالبة المخاطب بعمل لا يقوى عليه , إظهاراً لعجزه , وضعفه , وعدم قدرته , وذلك من قبل التحدي " (علم المعاني , ص: 76), وذلك كقوله تعالى : ((وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثلها وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين))، (سورة البقرة , الآية :23) , فالأمر في هذه الآية لبيان تعجيز الناس وانقطاعهم , وانخذالهم إمام إعجاز القرآن ، وإن الحجة قد بهرتهم ولم يبق لهم متشبثا غير قولهم : الله يشهد إنّا صادقون , وهو قول مدعاة للريبة , فكان الأمر في ذلك لتعجزيهم وإرشادهم إلى مايستغنونبه عن معجزتهمبلآريب . ينظر : (الكشاف , أبو القاسم جار الدين محمود بن عمر الزمخشري , ج1 /246) .
4- التسوية : وتكون في مقام يتوهم فيه أحد الشيئين أرجح من الآخر . ينظر : (علم المعاني , ص : 77) ومنه قوله تعالى : ((قل انفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين))، (سورة التوبةالآية : 53) , أي : فقد يظن أو يتوهم أن الإنفاق طوعاً من جانب المأمورين هنا أرجح في القبول من الإنفاق كرهاً , ولذلك سوى بينهما في عدم القبول . ينظر : (علم المعاني , ص: 77).
5- الإهانة والتحقير ، أو التهكم والسخرية : ويكون بتوجيه الأمر إلى المخاطب بقصد استصغاره والإقلال من شأنه , والإزدراء به وتبكيته . ينظر:(علم المعاني , ص: 81). ومنه قوله تعالى : ((ذق إنك أنت العزيز الكريم))،(سورة الدخان , الآية :49) , ومعنى الآية : إذا كان يوم القيامة يقال لزبانية جهنم خذوا كل كفار أثيم والقوة في وسط جهنم ، وقولوا لهم بسخرية واستهزاء ذق جزاء ما فعلت ؛ لأنك أنت العزيز الذي لا يصل إليك عذاب الله الكريم . ينظر: (المستنير , د. محمد سالم محيسن , ج3 : 76) .

6- الإباحة : وتكون الإباحة حيث يتوهم المخاطب أن الفعل محظور عليه , فيكون الأمر إذناً له بالفعل ولا حرج عليه في الترك . ينظر : (علم المعاني , ص : 79 -80) , ومنه قوله تعالى : ((وإذا حللتم فاصطادوا))، (سورة المائدة , الآية : 2) , فالأمر هنا (فاصطادوا) , لا يعني طلب الصيد , وإنما هو إباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كأنه قيل لهم : " وإذا حللتم فلا جناح عليكم أن تصطادوا " (الكشاف للزمخشري , 1 / 542) .

7- الإكرام : وذلك حين تستعمل الصيغة في بيان الأهلية والاستحقاق , ينظر : (الكافي في علوم البلاغة عيسى علي العاكوب , ص : 256) , وذلك كقوله تعالى : ((ادخلوها بسلام آمنين))، (سورة الحجر الآية : 46) , أي: سالمين من العذاب وزوال النعم , قال تعالى ((ذلك يوم الخلود)) (سورة ق : الآية : 34 ,) ، أي : يوم تقدير الخلود , وكقوله تعالى : ((فأدخلوها خالدين))،(سورة الزمر، الآية : 73) أي : مقدرين الخلود . ينظر : (الكشاف , للزمخشري , 11/4 , و الكافي في علوم البلاغة , عيسى علي العاكوب , ص : 256) .

8- التكوين : وهو أعم من التسخير , نحو قوله تعالى : ((كن فيكون))، (سورة البقرة , الآية : 117) ومعنى الآية : هذا بمثابة التمثيل ؛ لأن المعدوم لا يصلح أن يخاطب ولا يؤمر , وحقيقة معناه أن منزلة أي فعل في تسهله وتيسره على الله تعالى كمنزلة ما يقال له كن فيكون دون أن يكون هناك قول على الحقيقة . ينظر : (المستنير , محمد سالم محسن , 1/ 31 – 32) .

9- الالتماس : هو طلب الفصل الصادر عن الأنداد , والنظراء المتساوين قدراً ومنزلة , و ذلك نحو قول محمود سامي البارودي :ينظر: (علم المعاني , ص : 77).

*يا ند يمنّ من سر نديب كفّا *****عن ملامي وخلياني لما بي .*

10- التمني : وهو طلب أمر مرغوب فيه لا يُرجى حصوله , إما لكونه مستحيلاً , وإما لكونه ممكناً غير مطموحٍ في نيله , نحو قول امرئ القيس : ينظر : (علوم البلاغة , إعداد راجي الأسمر ص:29)

*ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي *****بصبح وما الإصباح منك بأمثل .*

فإنجلاء الليل أمر مرغوب فيه , وهو مستبعد لحظة التكلم , لما عرض للشاعر من تباريح الجوى ومواجد الحنين , حتى إن الليل ليستطيل استطالة يفقد معها الشاعر الأمل بطلوع الصبح , فيعمد إلى مخاطبة الليل بصيغة الأمر على سبيل التمني . ينظر : (من نحو المباني إلى المعاني , د. محمد طاهر الحمصي , ص : 285) , فتوجيه الأمر بالإنجلاء إلى الليل ليس أمراً بمعناه الحقيقي ؛ لأن الليل أمر معنوي لا يعقل حتى يطلب منه , أو يجيب , ولكنه يشف عن أن الشاعر وقد تعمق إحساسه بوحشة الليل وبطء حركة , قد ذوبت آماله حتى أصبح يرى فيها زوال الليلوإنجلاءه أمراً بعيد المنال . ينظر : (محاضرات في علم المعاني , د. حسن طبل , ص : 97) .

11- الطلب : وكذلك قوله تعالى : ((أهدنا الصراط المستقيم))، (سورة الفاتحة , الآية : 6) , وهنا طلب الهداية للصراط المستقيم , (كشف المشكل في النحو , علي بن سليمان الحيدرة , 2 / 142) .

12- النصح والإرشاد وهو الطلب الذي لا تكليف ، و لا إلتزام فيه , وإنما هو طلب يحمل معنى النصيحة , والموعظة , والإرشاد نحو قول أحد الحكماء لابنه : " يا بني استعن بالله من أشرار الناس وكن من خيارهم على حذر " , ينظر : (علم المعاني , ص : 78) .

13- التخيير : وهو أن يكون مخيراً بين شيئين , أو عدة أشياء فيختار بينها كقول الشاعر بشار بن برد ينظر : (فن البلاغة , عبد القادر حسين , ص : 117)

*فعش واحداً أو صلْ أخاك فإنه *****مفارق ذنب مرة ومجانبة .*

14- المدح : وفيه يخرج الأمر إلى المدح , كما ورد في بيت المتنبي في مدح سيف الدولة (علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم مختار عطية , ص : 237) .

*كذا فليسر من طلب الأعادي *****ومثل سراك فليكن الطَلابُ*

15- الندب : نحو قوله تعالى ((وإذا قرئ القرءان فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون)) ، (سورة العراف , الآية : 204) , ينظر : (الإتقان في علوم القرآن , للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ص : 145) .

16- الاعتبار, نحو قوله تعالى : ((انظروا إلى ثمره إذا أتمر وينعه إن في ذالكم لآيات لقوم يومنون))(سورة الأنعام , الآية : 99) , ينظر : (المصدر نفسه , ص : 147) .

17- الامتنان : وذلك نحو قوله تعالى : ((كلوا من ثمرهإذا أثمر وآتواحقة يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين))، (سورة الأنعام , الآية : 141) , ينظر : (المصدر نفسه , ص : 146) .

18- التسخير : وذلك حين يكون المأمور مسخراً منقاذاً لما أمر به , وهو أخص من الإهانة , ومنه قوله تعالى ((ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين))، (سورة البقرة لآية : 65) , ينظر : (علم المعاني ودلالات في القرآن الكريم , ص : 233) .

19- التلهف أو التحسير: ومنه قوله تعالى : ((قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور))، (سورة آل عمران , من الآية : 119) , ينظر : (علم المعاني , ص : 82) , ومن ذلك قول امرئ القيس

*قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل***** بسقط اللوى بين الدخول فحومل*

فالشاعر هنا لا يتوجه بالخطاب إلى من يلزمها بالوقوف أو البكاء , ولكنه سوى آهة من قلبه المكلوم الذي تأججت فيه الذكرى , على تلك البقاع التي عشعشت فيها الوحشة بعد إن كانت عامرة مأهولة بالأحباب فالأمر هنا ليس على حقيقته , وإنما هو الإظهار ما يعتمل بين جوانحه من حسرة وآسى تجاه هذا الموقف . (ينظر : محاضرات في علم المعاني , د. حسن طبل , ص : 94) .

20- التعجب : نحو قوله تعالى : ((أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لاكن الظالمون اليوم في ضلال مبين))(سورة مريم , الآية : 38) فالفعل (أسمع , وأبصر) , لايرادبهماطلبالسمعوالبصروالمشاهدة , وإنمايرادمنهاطلبإظهارالتعجب ، والدهشة . , ينظر : (المصدر نفسه , ص : 88) وكذلك قوله تعالى : ((انظر كيف يفترون على الله الكذب)) (سورة النساء , الآية : 50) , فالفعل (انظر) , لا يراد منه طلب النظر والمشاهدة , وإنما يرد منه طلب إظهار التعجب والدهشة . (ينظر : من نحو المباني إلى نحو المعاني , د. محمد طاهر الحمصي , ص : 285) .

21- التسليم : حيث يكون اللفظ أمراً , والمعنى تسليماً , وتفويضاً , بأن يصنع ما يشاء . ينظر : (المصدر نفسه , ص : 82) , وذلك نحو قوله تعالى : ((قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقضِ ما انت قاضٍ إنما تقضى هذه الحياة الدنيا))، (سورة طه , الآية : 72) .

22- تصوير الحدث : وذلك إذا تضمن الأمر بيان الحال , وكيفية وقوع الحدث , ينظر : (علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم , ص : 239) , ومنه قوله تعالى : ((ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل علي الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون)، (سورة البقرة , الآية : 243) .

23- الحث على الاتصاف بصفة معينة : حيث يخرج الأمر من مضمون الفعل إلى الحث على الصفات كالكرم في قول الأمر : " مت وأنت كريم " , أي : كن كريما حتى موتك . ينظر : (المصدر نفسه , ص : 239) .

ثانيا : صيغة النهي ودلالاتها في اللغة العربية .

أ- تعريف النهي وصيغه في اللغة العربية :-

1- النهي لغة : النهي لغة هو : " المنع , ومنه النهية للعقل ؛ لأنه مانع عن القبيح " (لسان العرب لابن منظور , ص : 314) , والنهي ضد الأمر , ونهاه عن كذا ينهاه نهياً , وانتهى عنه تناهي , أي : كفوتناهوا عن المنكر , أي : نهى بعضهم بعضا . ينظر : (مختار الصحاح ، لأبي بكر عبد القادر الرازيص : 683) , والنهي :" نهى : (نهاه) , ينهاه : ضد أمره , فانتهى وتناهي , وهو نهوٌ عن المنكر أمور بالمعروف , والنهية بالضم , الاسم منه "(ترتيب القاموس المحيط ، الطاهر الزاوي ،ج4 / 454)

2- النهي اصطلاحاً : هو طلب الكف عن الشيء , ينظر : (البلاغة والأسلوبية , يوسف أبو عروس ص : 61) , وعرفه بعضهم بأنه طلب الكف عن الفعل على وجهه الاستعلاء , ينظر : (فن البلاغة : عبد القادر حسين , ص : 120) , والنهي عند البلاغيين هو : " طلب الكف عن الفعل , أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاءوالإلزام " ، (علم المعاني , ص : 79) واعلم أن النهي طلب الكف عن الشيء ممن هو أقل شأناً من المتكلم , وهو حقيقة في التحريم , كما عليه الجمهور , فمتى وردت صيغة النهي أفادت الحظر والتحريم على الفور , واعلم أن النهي كالأمر فيكون استعلاء مع الأدنى , ودعاً مع الأعلى والتماساً مع النظير . ينظر : (جواهر البلاغة , السيد أحمد الهاشمي علي , ص : 77) .

3- صيغة النهي في اللغة العربية : للنهي صيغة واحدة في اللغة العربية تتمثل في الفعل المضارع المقرون بلا الناهية الجازمة , وليس للنهي حقيقيا كان , أو مجازيا سوى هذه الصيغة , ينظر : (علم المعاني ، ص : 8 , و فن البلاغة , ص : 120 , والبلاغة و الأسلوبية , ص : 61 ، ومحاضرات في علم المعاني , ص : 100). وذلك كقولك : لا تصاحب الأشرار , ولا تفعل السوء , ومنه قوله تعالى : ((ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين))، (سورة الأعراف , الآية : 19) ,وقوله تعالى : ((ولا تقتلوا أولدكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإيكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا))،(سورة الإسراء , الآية : 31) .

ب -دلالات النهي في اللغة العربية :-

قد يخرج النهي عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى تفهم من سياق الكلام , وقرائن الأحوال ومن هذه المعاني :

1- الدعاء : وذلك " عند ما يكون الأمر صادراً من الأدنى إلى الأعلى منزلة وشأناً " ، (علم المعاني , ص : 80) , وذلك نحو قوله تعالى : ((ربنا لا تؤاخدنا إن نسينا أو أخطانا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به))، (سورة البقرة ، الآية : 285) , فقد خرج النهي في الآية الكريمة إلى غرض الدعاء والتضرع , والمناجاة , يتوسل بها المخلوق الضعيف إلى الخالق جل شأنه , اعتصاماً بقوته ، ولياذا برحمته , فجاءت صيغ النهي هنا (لا تؤاخذنا) بمعنى الدعاء بعدم المؤاخذة بالإثم إن جهلنا , أو تعمدنا , ويقال : إن عملنا بالنسيان والخطأ , ينظر : (محاضرات في علم المعاني , د. حسن طبل , ص : 101) .

2- الالتماس : وذلك "عندما يكون النهي صادراً من شخص إلى آخر , سيادية قدراً ومنزلة " , (علم المعاني ص : 80) , وذلك نحو قوله تعالى : ((قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي))، (سورة طه الآية : 94) .

3- التوبيخ : وذلك عندما يكون المنهى عنه أمراً لا يشرف الإنسان , ولا يليق أن يصدر عنه , ينظر : (علم المعاني , ص : 81 , وعلم البلاغة , راجي الأسمر , ص : 35) , وذلك نحو قوله تعالى : ((يأيها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن))(سورة الحجرات , الآية : 11) .

4- الاحتقار والتعليل : وذلك عندما يكون الغرض من النهي الإزدراء بالمخاطب والتقليل من شأنه وقدرته , ينظر : (علم المعاني , 88) , ومنه قوله تعالى : ((لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين))، (سورة الحجر,الآية : 88), فالنهي في (لا تمدن) يعني تحقير متاع الدنيا أمام ما أوتى الرسول - ﷺ – من نعمة عظمى , وكل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة , وهي القرآن الكريم . ينظر : (الأسلوب في الاعجاز البلاغي للقرآن الكريم , ص : 373) .

5- التيئيس : ويكون في حال المخاطب الذي يهم بفعل أمر لا يقوى عليه , أولا نفع له فيه من وجهة نظر المتكلم .(ينظر : علم المعاني , ص : 84 , وقواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم , سناء حميد , ص : 317) , ومنه قوله تعالى : ((يأيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعلمون))،(سورة التحريم , الآية : 7) , فلما " كان الاعتذار عديم الجدوى في ذلك اليوم , صدر النهي عنه كيلا يكون لأولئك الكافرين مطمع فيه " ، (من نحو المباني إلى نحو المعاني , د. محمد طاهر الحمصي , ص : 293) .

6- الكراهة : من المعلوم أن الإسلام دين المحبة والتراحم , ويأمر الله عبادة بعدة أوامر تصلح حياتهم وينهاهم عدة نواة لا خير فيها لهم ، وتبين بعض الآيات أن الله تعالى يكره فعل الشيء الذي لا يتمشى مع هذه التعاليم ، وتأتي بصيغة النهي , ينظر : (المستنير في تخريج القراءات المتواثره , د.سالم محمد محسن , 302 -304) , ومنها قول تعالى : ((ولا تمشي في الأرض مرحا))، (سورة الإسراء الآية : 23) , وقوله تعالى : ((فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما)) ،(سورة الإسراء, الآية : 23) ، وقوله تعالى : ((وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً)) ، (سورة الإسراء , الآية : 26) وغيرها كثير في القرآن الكريم .

7- التسوية : ومنه قوله تعالى : ((اصلوها فأصبر أو لا تصبروا))، (سورة الطور , الآية : 16) فقوله : (لا تصبروا) , يعني تسويتهبالأمر بالصبر , قال الزمخشري : " فإن قلت : لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله : " اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم " قلت : لأن الصبر إنما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة , بأن يجازي عليه الصابر جزاء الخير , فأما الصبر على العذاب الذي هو جزاء , فلا عاقبة له ولا منفعة , فلا مزية على الجزع " (الكشاف , للزمخشري , 4 / 23)

8- التهديد : وذلك عندما " يقصد المتكلم أن يخوف من هو دونه قدراً , ومنزلة عاقبة القيام بفعل لا يرضى عنه المتكلم " , (علم المعاني , ص: 88),وذلك كأن تقول لمن دونك " لا تقلع عن عنادك أو لا تكف عن أذى غيرك " ، (المصدر نفسه , ص : 88) , ومنه قوله تعالى : ((ولا تحسبن الله غفلا عما يعمل الظالمون)) ، (سورة إبراهيم : الآية : 42) , ومعنى الآية : ولا تحسبن الله يا محمد غافلاً عمما يعمل الظالمون , أي : لا تحسبنه إذا أنظرهم وأجلهم ؛أنه غافل عنهم , لا يعاقبهم على صنيعهم , بل هو يحصى عليهم عداً , (ينظر :تفسير ابن كثير , ج13/ 595).

9- النصح والإرشاد : ويكون ذلك عندما يكون النهي يحمل بين ثناياه معنى من معاني النصح والإرشاد , وذلك نحو قول المتبني : ينظر : (علم المعاني , ص : 86)

*إذا غامرت في شرف مروم *****فلا تقع بما دون النجوم .*

10- الإهانة : وذلك نحو قوله تعالى : ((قال اخشوا فيها ولا تكلمون)) ، (سورة المؤمنين , الآية : 108), (ينظر : علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن , ص :44) , ومنه قول الشاعر الحطيئة

*دع المكارم لا ترحل لبغيتها ***** واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي*

" ففي قوله (لاترحل) , إهانة وتحقير للمخاطب ؛ لأنه ينهاه عمّا لا يُنهى عنه الإنسان الكريم الشريف فدلّ على أن المخاطب ليس أهلاً للمكارم , وأنّه عاجزعن تحصيل شيء فيها " ،(من نحو المباني إلى نحو المعاني , ص : 293).

11- بيان العاقبة : كقول تعالى : ((ولا تحسبن الله غفلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار)) ، (سورة إبراهيم , الآية : 42) , (ينظر : المصدر نفسه , ص : 44).

12- الاستعفاء : ويكون من المقدر عليه إلى القادر ,(ينظر : كشف المشكل في النحو , علي بن سلمان الحيدرة , ص : 148), وذلك مثل قوله تعالى : ((ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)) ، (سورة ال عمران , الآية : 8).

13- التحذير : وذلك نحو قوله تعالى : ((وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)) ، (سورة البقرة , الآية : 195) , (ينظر : المصدر نفسه , ص : 148) .

14- التمني : وذلك عندما يكون النهي موجهاً إلى ما لا يعقل , ينظر : (علم المعاني , ص : 81)أو يكون ذلك إذا كان المطلوب بالنهي أمراً متعذراً , أو بعيد الحصول عليه , فيكون حينئذ ليس سوى تنفيس عن رغبة حبيسه لدى الشاعر لا تجد طريقها إلى عالم الواقع ,(ينظر : محاضرات في علم المعاني د. حسن طبل , ص : 102), كما في قول الخنساء :-

*أعيني جودا ولا تجمدا *****ألا تبكيان الصخر الندى*

" ففي قولها : لا تجمدا , تمنٍّ ؛ لأنها تنهى ما لا يعقل , وما تطلبه محال , فالعين الباكية لابدّ أن تجمد وينحبس دمعها مهما يكن الحزن كبيراً , واللوعة عميقة " ,(من نحو المباني إلى نحو المعاني د. محمد طاهر الحمص , ص : 293).

15- تهوين الأمر : وذلك نحو قوله تعالى : ((ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)) (سورة آل عمران ,الآية : 139) , فلم يكن الغرض من النهي في الآية إلزام الرسول عليه الصلاة والسلام بالكف عن الهوان والحزن , ولكن الغرض من ذلك هو تهوين الأمر على الرسول الله لتطمئن نفسه لكي لا تذهب في الحزن والغم مذهباً بعيداً يضربها , ينظر : (من نحو المباني إلى نحو المعاني ص : 294).

16- التعظيم والتهويل : وذلك نحو قوله تعالى: ((ولا تسأل عن أصحاب الجحيم)) ، (سورة البقرة الآية : 119) , قال الزمخشري: " وقرئ (ولا تسأل) , على النهي , روى أنه قال : ليست شعري ما فعل أبواي ؟ فنهى عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام بإعداء الله , وقيل : معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب , كما نقول : كيف فلان ؟ سائلاً عن الواقع في بلية ؟فيقال لك : لا تسأل عنه ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع عن ما يجري على لسانه ماهو فيه لفظاً عنه , فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره" (الكشاف , للزمخشري , 1 / 308) .

المبحث الثاني : صيغة الاستفهام دراسة نحوية دلالية

أولاً : الاستفهام لغة واصطلاحاً وأدوتها:

أ- الاستفهام لغة :-الاستفهام مصدر استفهم ، ومعناه – غالبا – طلب الفهم والإعانة على كشف ما غمض عن السائل ، واستفهمه : سأله أن يفهمه ، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيما ، ينظر : (لسان العرب، لابن منظور، مادة : فهم 8/ 343) " فالاستفهام مصدر أستفهمت ، أي : طلبت الفهم ، وهذه السين تفيد الطلب" (شرح المفصل ، ابن يعيش ، 275/8) .

ب- الاستفهام اصطلاحاً :-

الاستفهام هو " طلب معرفة حقيقة الأشياء على سبيل التصور والتصديق , وقيل فيها الاستخبار وهو طلب ما ليس عند المستخبر , والدائر في كتب البلاغة : مصطلح الاستفهام هو طلب الشيء الذي لم يكن معلوماً من قبل بإحدى أدوات الاستفهام . (ينظر : الاسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم محمد كريم الكواز , ص : 373)

وعرف بأنه " نوع من الإنشاء الطلبي , وهو طلب الفهم , وهو بمعنى الاستخبار معلوماً من قبل بأداة خاصة " , (الإتقان في علوم القرآن , للسيوطي , الجلس الثاني , ص :121) .

و" هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل , والشيء المطلوب علمه نوعان : النسبة بين الشيئين , وسمى العلم بها تصديقاً , أو أحد طرفي النسبة وهما : المسند والمسند إليه , ويسمى إدراك أحدهما تصوراً " , (من نحو المباني إلى نحو المعاني , د. محمد طاهر الحمصي , ص : 297) .

وعرف أيضاً بأنه " طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً , من قبل بأدوات خاصة ", (محاضرات في علم المعاني , د. حسن طبل , ص : 104) .

ج- أدوات الاستفهام :- أسماء الاستفهام أدوات يستفهم بها عن أمر يطلب من المخاطب الاجابة عليه وأدوات الاستفهام :- " الهمزة , هل , وهما حرفان , ومن , وما ومتى , وأيان , وأنّي وكم , وكيف وأيّ , وكلها أسماء " , (من نحو المباني إلى نحو المعاني , د. محمد طاهر الحمصي , ص : 297) .

وتنقسم هذه الأدوات بحسب التصور والتصديق إلى ثلاثة أقسام : (المصدر نفسه , والصفحة) .

1- ما يطلب به التصور تارة , والتصديق تارة أخرى , وهو: الهمزة .
2- ما يطلب به التصديق فقط , وهو: هل .
3- ما يطلب به التصور فقط , وهو أدوات الاستفهام الأخرى :

فالهمزة تكون للتصور , وتكون للتصديق , ويسأل بها عن المفرد , كما يسأل بها عن الجملة والمفرد هو الذي دعاه البلاغيون بالتصور وهو إدراك غير النسبة , وذلك مثل : (أمحمد المسافر أم أخوه) و(أبلاغة ذاكرت أم نحواً). أما الجملة فهي تشتمل على فعل وفاعل , أو مبتدأ وخبر , وهي ما دعاه البلاغيون بالتصديق , وهو السؤال عن النسبة , أو الاستفهام عن الحكم وذلك مثل : (أقام زيدٌ) ومثل (أزيد قائم) , ينظر : (علم المعاني , ص: 87-88 , محاضرات في علم المعاني , ص : 107 الإيضاح في علوم البلاغة , ص : 56) .

أما (هل) فهي حرف استفهام لطلب التصديق , أي : معرفة ثبوت النسبة , أو عدم ثبوتها مثل : (هل قام زيدٌ , هل أعددت الدرس , هل عمرو قاعد) , ينظر : (الإيضاح في علوم البلاغة ص : 57 ومحاضرات في علم المعاني , ص : 109) .

أما باقي أدوات الاستفهام فهي لطلب التصور فقط , إلا أنها تختلف من جهة أن المطلوب تصوره بكل منها يخالف المطلوب بغيرها من الأدوات , ينظر : (محاضرات في

علم المعاني , ص: 111) ومن الأمثلة على ذلك : (ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة , ص : 62 – 67) , (و علم المعاني , ص : 89 – 91) .

- من , ومن ذا , للعاقل , مثل : من كتب الدرس ؟ , من ذا صديق لك ؟
- ما , وماذا , لغير العاقل , مثل : ما بيدك ؟ , ماذا كتبت ؟
- متى , وأيان , للزمان , مثل : متى سفر أخيك ؟ , أيان جئت ؟
- أين , أنّي , للمكان , مثل : أين زيدٌ ؟ , أنّي كان الحارس ؟
- كيف , للحال , مثل : كيف حالك ؟ , كيف كانت رحلتك ؟
- كم , للعدد , مثل : كم رجلاً ؟ , كم درهماً لك ؟
- أيّ , تصلح لجميع ما ذكر , وذلك بحسب ما تضاف إليه , مثل : أيّ كتاب أخذت ؟ , أيُّ تلميذ صادقت ؟ , أي يوم سافرت ؟

أ- ثانياً : المعاني والدلالات البلاغية للاستفهام :

تخرج أدوات الاستفهام عن معانيها الحقيقية إلى معان بلاغية تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال ومن هذه المعاني :

1- النفي : وذلك " عندما تجيء لفظة الاستفهام للنفي , لا لطلب العلم بشيء كان مجهولاً " (علم المعاني , د. عبد العزيز عتيق , ص : 92) , ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : ((فمن يهدي من أضل الله))

(سورة الروم , الآية : 29) , وقوله : ((هل جزاء الإحسان إلا الإحسان))(سورة الرحمن , الآية : 59) ، وقوله : ((أفأنت تنقد من في النار)) ، (سورة الزمر , الآية : 19) , وقوله تعالى : ((من ذا الذي يشفع عنده))، (سورة البقرة , الآية : 353) , نلاحظ من خلال الآيات الكريمة السابقة أنها مبدوءة باستفهام ولكن قد خرج عن معناه الأصلي إلى معنى النفي والمعنى " لا هادي لمن أضل الله وليس جزاء الإحسان إلا الإحسان , , ولست تنقذ من النار , ولا أحد يشفع عنده إلا بإذنه " , (علم المعاني , ص : 92) , و " للنفي بالاستفهام وجه بلاغي لا تجده في النفي بأدوات النفي الأخرى , وهو أن النفي المستفاد من الاستفهام نفي مسلم به ؛ لأنه معلوم بالبداهة والاستفهام وسيلة لإنتزاع إقرار المخاطب وتسلمه بهذا النفي " . (من نحو المباني إلى نحو المعاني ص : 302) .

2- التمني : هو " طلب شيء محبوب لا يرجى حصوله , إما لكونه مستحيلاً , أو لكونه بعيد الحصول " , (محاضرات في علم المعاني , ص: 119) ، وعادة ما يكون السؤال موجهاً إلى ما لا يعقل , (ينظر : علم المعاني , ص : 94) ، ويكون " الوجه البلاغي للتمني بالاستفهام على ما فيه من إشارة إلى حيرة المستفهم وتخبطه , حتى يظن غير الممكن ممكنا " . (من نحو المباني إلى من نحو المعاني , ص : 35) ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر :

*أسرب القطا هل من يعير جناحه ***** لعلي إلى من قد هويتُ أطيرُ*

فما يطلبه الشاعر هنا هو ضرب من المستحيل الذي يتنافى ونواميس الكون , وطبائع الأشياء , فليس هناك طائر يعير جناحه , ينظر : (من نحو المباني إلى نحو المعاني , ص : 305) .

ومنه قوله تعالى : ((فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا)) ، (سورة الأعراف , الآية : 53) , فما يطلبه هؤلاء الكافرون بعيد المتال , فليس ثمة شفعاء لهم حتى يشفعوا لهم ,(ينظر: المصدر نفسه ,ص: 305)

3- التعجب : ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى على لسان سيدنا سليمان : ((مالي لا أرى الهدهد)) (سورة النمل , الآية : 20) فغرض الاستفهام في تلك الآية إظهار تعجب

سليمان عليه السلام من عدم رؤية الهدهد ؛ لأن الله قد سخر له الطير , وكأنه يقول : كيف يتغيب ذلك الطائر دون أن أذن له ولم أوجهه أي وجهة , ينظر : (محاضرات في علم المعاني , ص : 117) ,ومنه أيضاً قوله تعالى : ((قالت يا ويلتاه أألد وأنا عجوز وه1ا بعلي شيخاً)) چ ٱ ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ چ،(سورة هود , الآية : 72) , ومبعث التعجب في الاستفهام أنه سؤال عن أمر مستغرب , لإثارة الانتباه , وتوجيه النظر إليه , إشارة إلى أن ذلك الأمر العجيب جدير بالتأمل والنظر , ينظر : (من نحو المباني إلى نحو المعاني , ص : 303) .

4- التقرير : هو " حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه إثباتا ونفياً ؛ لغرض من الأغراض على أن يكون المقرر به تالياً لهمزة الاستفهام " , (علم المعاني , ص : 95) , ومنه قوله تعالى :

5- ((ألم يجدك يتيما فآوى)) (سورة الضحى , الآية : 6) , حيث خرج إلى تقرير حقيقة يتم النبي ﷺ , وذلك أن أباه مات , وهو في بطن أمه , وماتت أمه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه أبو طالب , ينظر : (الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم , ص : 374) , ومنه أيضاً قوله تعالى : ((ألم نشرح لك صدرك)) ، (سورة الانشراح , الآية : 1) , و " تتمثل بلاغة التقرير بالاستفهام في كونه وسيلة لاستلال اعتراف المخاطب وإقراره" (من علم المباني إلى علم المعاني ص : 302)

6- الإنكار : قد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على أن المستفهم عنه أمرٌ منكرٌ عرفا أو شرعاً ويشترط فيه إذا كان بالهمزة أن يليها ما يتوجه إليه الإنكار مباشرة , والإنكار نوعان : ينظر : (علم المعاني , ص : 98 – 99 , محاضرات في علم المعاني , ص : 114) .

أ- إنكار توبيخي على فعل قد وقع ، بمعنى ماكان ينبغي أن يكون أو لم يقع ، بمعنى لا ينبغي أن يكون ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : ((أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا)) .(سورة الكهف , الآية : 37) , فليس الغرض من الاستفهام معرفة حقيقة الصاحب , أكافر هو أم غير كافر , بل الغرض هو إنكار ذلك الكفر منه وتوبخيه عليه , فما كان ينبغي له أن يكفر بمن خلقه من تراب وأحياه من عدم . ينظر :(المصدر نفسه , الصفحة نفسها)، وقوله تعالى : ((أتعبدون ما تنحتون)) (سورة الصافات , الآية 95) ، فينبغي عليهم ألا يعبدوا ما ينحتون من حجارة وغيرها .

وقد يقع التوبيخ على ترك فعل كان ينبغي أن يكون , كقوله تعالى : ((ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)) (سورة النساء , الآية : 97) , فالتوبيخ على ترك الهجرة , ينظر : (الإتقان في علوم القرآن , 2/ 79) .

ب_ الإنكار التكذيبي أو الإبطالي : و المقصود به أن ما يتوجه إليه الإنكار لم يكن , أو لن يكن , ومن الأمثلة على الإنكار التكذيبي الذي بمعنى لم يكن قوله تعالى : ((أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا)) ، (سورة الإسراء , الآية : 40) , والغرض من الاستفهام الذي صدرت به الآية هنا هو تكذيب هذا الزعم , وأن ذلك لم يكن , فالله جل شأنه منزه عن أن يكون له ولدينظر : (محاضرات في علم المعاني , ص : 116) ،ومنالأمثلة على الاستفهام الإنكاري الذي بمعنى لن يكون قوله تعالى : ((أنلزمكموها وأنتم لها كارهون)) (سورة هود , الآية : 28) , أي : أنلزمكم تلك الحجة البينة على أني رسول الله , أي : أنكرهكم على قبولها , والحال أنكم كارهون ؟ يعني لا يكون هذا الإلزام فالإنكار هنا إنكار لأمر كاذب , ولذلك سمي الإنكار التكذيبي, ينظر: (علم المعاني, ص:99 – 100)

7- الاستبطاء : وهو عدّ الشيء بطيئاً في زمن انتظاره ، وقد يكون محبوباً منتظراً , ولهذا يخرج الاستفهام فيه عن معناه الأصلي للدلالة على بعد زمن الإجابة عن بعد زمن السؤال , وهذا البعد يستلزم الاستبطاء ينظر :(الاسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم , محمد كريم , ص : 374) , ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى : ((حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله))،(سورة البقرة , الآية : 214) , ففي الآية هذا الاستفهام للدلالة على استبطاء النصر , وتتمثل بلاغة الاستفهام في هذه الآية إظهار السآمة والملل من التقرب الذي طال أمده , ولابد لاسم الاستفهام الذي يخرج إلى غرض الاستبطاء من أن يحمل دلالة على الزمان ينظر : (من نحو المباني إلى نحو المعاني , ص : 305) .

8- التحقير : ويكون ذلك عندما يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على ضآلة المسؤول عنه وصغر شأنه مع معرفة المتكلم , أو السائل به . ينظر : (علم المعاني , ص : 96) ، وذلك نحو قوله تعالى :((أهذا الذي بعث الله رسولا)) ، (سورة الفرقان , الآية : 41) , والغرض من الاستفهامهنا هو تقليل شأن المستفهم عنه وتحقيره , وقد أعان على ذلك وجود اسم الإشارة بعد أداة الاستفهام ينظر : (من نحو المباني إلى نحو المعاني , ص : 305) .

9- الاستبعاد : وهو عد الشيء بعيداً حساً أو معنى ؛ لاعتقاد تعذر حصوله , وقد يكون منكراً مكروهاً غير منتظرٍ أصلاً وبهذا قد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على استبعاد السائل للمسؤول عنه سواء أكان البعد حساً مكانياً , أو بعداً معنوياً ، ينظر : (علم المعاني , ص : 98) , وذلك نحو قوله تعالى :((أني لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين)) ،(سورة الدخان , الآية : 13) ، فحصول الذكرى لهؤلاء مستبعد غير متوقع ، ونحو قول البحتري :

*من لي بإنسان إذا أغضبته ***** وجهلتُ كان الحلم ردِّ جوابه ؟*

لذا نرى أن "وجود إنسان على هذا القدر من الحلم أمر مستبعد ، والاستبعاد بالاستفهام أبلغ من الاستفهام بالأسلوب الخبري ؛ لأن في الاستفهام مايحمل المخاطب على التسليم بما قصد إليه المتكلم ، والإذعان له" (من نحو المباني إل نحو المعاني ، ص:305).

10-التهكم : ويقال له أيضاً السخرية والاستهزاء ، وهو إظهار عند المبالاة بالمستهزئ ،أو التهكم به ولو كان عظيماً ، وذلك نحو قوله تعالى : ((قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو نفعل أموالنا ما نشاؤا)) ، (سورة هود ، الآية : 87)، فالقصد من الاستفهام هنا هو الاستخفاف بشأن شعيب عليه السلام في صلاته التي يلازمها ، حيث كان كثير الصلاة ، وكان قومه إذا رأوه يصلى تضاحكوا فقصدوا بقولهم (أصلاتك تأمرك ؟) الهزءُ والسخرية والتهكم لا حقيقة الاستفهام . ينظر : (الإيضاح في علوم البلاغة الجزء الثاني ، ص : 77) .

10- التنبيه على الضلال : وذلك كما في قوله تعالى مخاطباً الكفار : ((وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون)) . (سورة التكوير ، الآية : 26) . فالواضح هنا أن الغرض من الاستفهام ليس السؤال عن مذهبهم إلى أين هو ؟ ، وإنما الغرض هو التنبيه على ضلالهم ، وأنه لا طريق لهم ينجون به ، وأنهم قد تنكبوا الطريق القويم ، ينظر :(علم المعاني ، ص : 102 ومحاضرات في علم المعاني ، : ص : 112)

11- الوعيد : وخروج أداة الاستفهام إلى معنى الوعيد من باب المجاز المرسل , ويسميه بعض البلاغين التهديد , ومنه قوله تعالى : ((ألم ترى كيف فعل ربك بعاد)) ، (سورة الفجر, الآية : 6) ، وكذلك قوله تعالى : ((ألم نهلك الأولين)) ، (سورة المرسلات , الآية : 16)

, وهو وعيد لأهل مكة , فالمراد ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين , ونسلك بهم سبيلهم ؛ لأنهم كذبوا مثل تكذبيهم . ينظر : (الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم , ص : 374) .

12- التهويل : وهو " التفظيع والتفخيم لشأن المستفهم عنه لغرض من الأغراض " , (علم المعاني , ص : 102) , فقد قرأ ابن عباس (من فرعون) , بفتح ميم (من) , على أنها اسم استفهام خبر مقدم , في قوله تعالى : ((ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون)) ، (سورة الدخان , الآية : 30) ، لما وصف الله تعالى العذاب بأنه مهين لشدته وفظاعة شأنه , أراد أن يصور كنهه فقال (من فرعون ؟) أي : أتعرفون من هو في فرط عتوه وتجبره ما ظنكم بعذاب يكون هو المعذب به ، ينظر : (الإيضاح في علوم البلاغة , الجزء الثاني) ، ومنه قوله تعالى : ((الحاقة ما الحاقة)) ،(سورة الحاقة, الآية : 1-2) (الحاقة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء , التي هي آنية لاريب فيها , والأصل

(الحاقة ما هي إلا شيء هي) , تفخيماً لشأنها وتعظيماً لهولها فوضع الظاهر موضوع المضمر ؛ لأنه أهول لها . ينظر : (الكشاف للزمخشري , 4 / 149) .

13- التشويق : وفيه لايطلب السائل العلم بشيء لم يكن معلوما له من قبل , وإنما يريد أن يوجه المخاطب ويشوقه إلى أمر من الأمور ، ينظر : (علم المعاني , ص : 103) , وذلك نحو قوله تعالى : ((يأيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم)) ، (سورة الصف , الآية : 10) , وقوله تعالى :((قل أؤنبئكم بخير من ذلكم)) ، (سورة ال عمران , الآية : 15) , فلما " كان الاستفهام مشتملا على ما يثير فضول المخاطب إلى المعرفة , خرج إلى غرض التشويق , وترغيب المخاطب في تلقي ما بعده من الكلام " ، (من نحو المباني إلى نحو المعاني , ص : 307) .

14- التسوية : وتأتي الهمزة للتسوية المصرح بها , نحو قوله تعالى : ((إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)) ، (سورة البقرة , الآية : 6) , ومعنى ذلك أم الإنذار وتركه معتدل عندهم أي : سواء عليهم هذا , وجيء بالاستفهام من أجل التسوية – الإنذار , الإبلاغ , الإعلام ، ولا يكاد يكون إلا في تخويف يتسع زمانه للاحتراز , فإن لم يتسع زمانه كان إشعاراً , ولم يكن إنذاراً ينظر : (الجامع الأحكام القرآن , ج1 / 164) .

15- الأمر : قد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي للدلالة على معنى الأمر , نحو قوله تعالى : ((فهل أنتم منتهون)) ، (سورة المائدة , الآية : 91) , أي : انتهوا , ونحو قوله تعالى : ((ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)) ، (سورة القمر , الآية 17) , أي : اذكروا واتعظوا , وهذا " الأمر المبني على الاستفهام ليس طلباً , للفعل فحسب , بل هو طلب مع الحث والحضّ " ، (من نحو المباني إلى نحو المعاني , ص: 306) .

16- التحضيض : ومعناه طلب الشيء بحث , ومن أدواته (لولا , ولوما , وهلاّ , وألاّ) , وهي إذا كانت للتحضيض فإنها تختص بالدخول على جملة فعلية فعلها ماضٍ , أو مستقبل ، (ينظر : علم المعاني ص : 105) , وذلك كقوله تعالى : ((ألا تقتلون قوما نكثوا أيمانهم))،(سورة التوبة , الآية : 13) , ولعل " التحضيض بالاستفهام يحمل مزيداً من التوبيخ , وشيئاً من التعجب أيضاً " . (من نحو المباني إلى نحو المعاني , ص : 308) .

17- التعظيم : وذلك بخروج الاستفهام عن معناه الأصلي , واستخدامه في الدلالة على ما يتحلى به المسؤول عنه من صفات حميدة , كالشجاعة والكرم , والسيادة , والملك , وما أشبه ذلك ، ينظر : (علم المعاني ص : 95)وذلك كقول أبي الطيب في رثاء أبي شجاع : -

من للمحافل والجحافل والسري ؟ ** فقدتْ بفقدك نيراً لا يطلع***

فالتعظيم في البيت " مشوب بالتحسر على المرثي ملون بعاطفة الشاعر , ومكان ذلك كله ليظهر لو جاء التعظيم من طريق الخبر " ، (من نحو المباني إلى نحو المعاني , ص : 307) .

17 – العرض : ومعناه طلب الشيء برفعه ولين , ومن أدواته : (ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام , و(أما) بفتح الهمزة وتخفيف الميم وتختص كلتا الأداتين إذا كانت للعرض بالدخول على الجملة الفعلية ينظر : (علم المعاني , ص : 104) , وذلك كقوله تعالى : ((ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم)),(سورة النور , الآية : 22) , ولا يخفى هنا " ما في العرض من حفز للهمة , وترغيب النفس للإقبال على ما يريد المتكلم " . (من نحو المباني إلى نحو المعاني , ص : 308) .

18- النهي : قد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى النهي ، أي : طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء ، ينظر : (علم المعاني , ص : 104) , وذلك نحو قوله تعالى : ((أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين)),(سورة التوبة, الآية: 13), والمعنى هنا لا تخشوهم فالله أحق أن تخشوه

19- الاستعطاف : نحو قوله تعالى : ((أهلكنا بما فعل السفهاء منا)) ، (سورة الأعراف , الآية : 155) ويوحى الاستفهام هنا " بحالة المتكلمين الملونة بالتذلل و الانكسار والجزع " , (من نحو المباني إلى نحو المعاني , ص : 307) .

20- العتاب : كقوله تعالى : ((ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله)) ،(سورة الحديد , الآية:11)

21- التذكير : كقوله تعالى : ((قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه))، (سورة يوسف , الآية : 89) .

22- التسهيل والتخفيف : كقوله تعالى : ((وماذا عليهم لو آمنوا بالله)) ، (النساء , الآية : 39) .23- التوبيخ والتعجب : كقوله تعالى : ((كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون)) ،(سورة البقرة , الآية :27) أي : كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة , و " أما التوبيخ هنا فلأن الكفر مع هذه الحالة ينبيء عن الانهاك في الغفلة , أو الجهل " (الإيضاح في علوم البلاغة المجلد الثاني , ص : 79) , و " أما التعجب فلأن هذه الحالة تأتي أن لا يكون للعاقل علم بالصانع , وعلمه به يجعله يأبي أن يكفر , وصدور الفعل من الصارف القوي مظنة تعجب " ، (المصدر نفسه , والصفحة) .

23- الحيرة والوله : ويفيد الاستفهام معنى الحيرة والوله من كرب الحزن , وذلك كما يقول دريد بن الصمة :(دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية ، د. مجمد محمد موسى ، ص : 226)

*تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً ***** فقلت أعبدالله ذلكم الردي*

وقد يفيد الاستفهام معنى التدله والحيرة والشكوى وغلبة الوجد وذلك كما في قوله ابن الدمينة : (المصدر نفسه , ص : 227) .

*أحقاً عباد الله أن لست صادراً ***** ولا وارداً إلا عليّ رقيب*

ويتضح من خلال تتبع أسلوب الاستفهام أننا لا نستطيع في كثير من الصور ضبط معنى الاستفهام في شيء محدد ؛ لذا نلجأ إلى ذكر جملة معان حول الاستفهام الواحد , فنقول مثلاً في قوله تعالى : (المصدر نفسه , ص : 220) . ((أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)) ,(سورة العنكبوت , الآية : 2) , أنه إنكار وتوبيخ وعتاب وتعجب , وهذا يدل على أن المعنى الذي يفيده الاستفهام خفي وسانح ومتفلت , لا يشخص

لك بأحواله وتمامه إلا راجعت سياقاً طويلاً , حتى ترى فيه خيوط المعنى تتولد قبل الاستفهام .

المبحث الثالث : صيغتا التمني والنداء دراسة نحوية دلالية :-

أولاً : التمني :

أ- التمني في اللغة : " التمني من فعل منن , والتمني بضم الميم , وهو جمع المُنية , وهو ما يتمني الرجل والمنوة : الأمنية في بعض اللغات ، وتمني كذب ووضع حدثيا لا أصل له , وتمني الحديث اخترعه " (لسان العرب , لابن منظور , مادة : مني ، 9 / 588) .

ب- التمني في الإصلاح : التمني نوع من الإنشاء الطلبي , وقد عرفه العلماء بتعريفات عدة أهمها :

1- عُرف بأنه : " هو طلب حصول شيء على سبيل المحبة مع النفي الطماعية في ذلك بأن كان غير ممكن أو كان ممكنا لكنه بعيداً " (الإيضاح في علوم البلاغة , للخطيب القزويني , المجلد الأول ، ص : 52) .

2- عرفه سعد الدين بقوله : " التمني هو طلب حصول شيء على سبيل المحبة " (مختصر سعد الدين التفتازاني , ج 1 , ص : 239) .

3- وعرفه ابن يعقوب المغربي بقوله : " هو طلب حصول الشيء بشرط المحبة, كالأمر والنهي والنداء والرجاء بناء على أنه طلب , وأما نفي الطماعية فلتحقيق إخراج نوع الرجاء الذي فيه الإرادة وإخراج غيره مما فيه الطماعية " (مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح , لابن يعقوب المغربي ج2 / 239) .

4- والتمني هو " طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى , ولا يتوقع حصوله , أما لكونه مستحيلاً ,والأنسان كثير ما يحب المستحيل ويطلبه , وإما لكونه ممكناً غير مطموح في نيله " (جواهر البلاغة , أحمد السيد الهاشمي ,القسم الاول ، الباب الثاني , ص : 94 – 95) .

5- والتمني هو " طلب الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لبعده , أو استحالته , وأداته الأصلية ليت" (من نحو المباني إلى نحو المعاني , د. محمد طاهر الحمصي , ص : 331) , فالأول نحو قوله تعالى : ((يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون)) ،(سورة القصص , الآية : 79) ،فما يتمناه هؤلاء من الثروة الطائلة التي تماثل ثروة قارون , ليست أمراً مستحيلاً , ولكنه بعيد التحقق " ، (محاضرات في علم المعاني , د. حسن الطبال , ص : 120)

والثاني كقول الشاعر :

*ألا ليت الشباب يعود يوماً ***** فاخبره بما فعل المشيب*

فالذي " يطلبه الشاعر إنما هو ضرب من المستحيل الذي يتنافى ونواميس الكون , وطبائع الأشياء " (محاضرات في علم المعاني , ص : 119) .

ج – صيغة التمني :-

للتمني أداة أساسية في اللغة العربية هي (ليت) , وهذه الأداة هي " المنفذ التعبيري الأصيل للكشف عما يدور في النفوس من آمال بعيدة , ورغائب ظامئة لا تروى , وهي الوسيلة التي تنقل الشاعر , أو الأديب إلى عالم خيالي يعانق فيه ما لاسبيل له إليه في واقعة المحروم " ، (محاضرات في علم المعاني ص : 122) .

ولأصالة الحرف (ليت) في معنى التمني , فإننا نجدها لا تفارقه إلى غيره من المعاني الأخرى كأدوات الاستفهام , والنهي والنداء , التي تخرج عن معانيها الأصلية , لإفادة معانٍ أخرى ، ينظر : (المصدر نفسه , ص : 122) , ولم يغفل النحاة التصريح بدلالة (ليت) على التمني , وإن كانوا يدرسونها في باب الأحرف المشبهة بالفعل التي

تنصب الاسم , وترفع الخبر , بل إن الفراء أجاز أن ينصب بها الاسمان ؛ لأنها بمعنى (أتمنى) , فقال : " ليت زيداً قائماً : على معنى (ليت) فكأنه قال : أتمنى زيداً قائماً , أو تمنيتُ زيداً قائماً " ، (شرح المفصل , لابن يعيش , 8 / 84 ، من نحو المباني إلى نحو المعاني , ص : 232) .

وأشار النحاة إلى خروج (لو , و لعل) إلى معنى التمني , واختلفوا في (لو) , هل تفيد التمني نفسها , أو أن التمني مستفاد من الفعل (ودّ) , المحذوف قبلها ، ينظر : (من نحو المباني إلى نحو المعاني , ص : 232).

لذا نجد أن اللفظة الوحيدة الأصلية للتمني هي (ليت) وقد تنوب عن (ليت) , أدوات أخرى في إفادة التمني ؛ ولكنها تعدُّ أدوات فرعية ؛ لأنها ليست خالصة في هذا المعنى , وتلك الأدوات هي :

1- هل : وهي حرف موضوع الاستفهام ولكنها قد تخرج عن هذا المعنى إلى " أداة وضعت للتمني وهي تستعمل لغرض بلاغي ، وهو إبراز المتمني المستحيل ، وإظهاره في صورة الممكن القريب الحصول لكمال العناية به , والشوق إليه " ، (علم المعاني , ص : 109) , ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى :((فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا)) ، (سورة الأعراف , الآية : 53) , حيث تمنوا أن يكون لهم شفعاء يشفعون لهم في إزالة العقاب , ينظر : (الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم , ص: 375) . فهل في الآية الكريمة خرجت عن معناها الأصلي إلى إفادة التمني وقيمة التمني بهل هي : " إبراز المتمني في صورة الممكن لشدة الحاجة إليه , والرغبة فيه ". (محاضرات في علم المعاني , ص : 122) فالتمني (بهل) , يفيد توهم إمكان حصول غير الممكن ؛لأن طرفاً من معناه الأصلي وهوالاستفهام يظل باقياً فيه موجباًأن ما دخل عليه أمر ممكن . ينظر : (الإيضاح في شرح تلخيص مفتاح , جلال الدين القزويني , ص : 78) .

2- لو : والتمني بلو يفيد استبعاد حصول المتمنّي , والإشعار بعزته وتعذّره ؛ لأن في (لو) , طرفاً من معنى الامتناع الذي يكون لها وهي شرطية ، ينظر : (التلخيص في علوم البلاغة , لجلال الدين القزويني , ص : 152) , وذلك كما في قوله تعالى : ((إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا)) ،(سورة البقرة , الآية : 167) فلو في هذه الآية الكريمة تفيد التمني , والفرق بين التمني بها , والتمني بليت عند البلاغين أنها تزيد المعنى بعداً , وتمعن به في باب الاستحالة , والسبب في ذلك أنها حرف يفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط , ومقتضي هذا المعنى أن المتمني بها ليس أمرا واحدا لا يرجى حصوله كما في (ليت) , بل هو أمران يستحيل أحدهما لاستحالة الآخر ، ينظر : (محاضرات في علم المعاني ص : 123) .

3- لعل : وهو أداة يتمنى بها لغرض بلاغي , أي : أنها غير أصلية , وهي تستعمل للرجاء , فالغرض البلاغي من وراء التمني بلفظة (لعل) , هو إبراز المتمني المستحيل و إظهار في صورة الممكن القريب حصوله , ويطلب بها الأمر المحبوب المطموع فيه . ينظر : (علم المعاني , ص : 110) وذلك مثل قوله تعالى : ((وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى)) , (سورة غافر , الآية : 36 – 37) , فالتمني بلعل قد أفاد في الآية الكريمة " تمويهاً وادّعاءً من فرعون بأنه جادٌ في بلوغ الأسباب , والاطلاع على إله موسى , وإن كان يعلم بدءاً أن ما يدعيه تبجحا وبهتاناً بشيء لا سبيل إليه " ، (من نحو المباني إلى نحو المعاني , ص : 332) .

والنكتة البلاغية في إيراد التمني بلعل الموضوعة للرجاء هي " الإشعار بأن المتمني قريب الحصول , وإظهاره في صورة المرجو حصوله لشدة الرغبة فيه " , (محاضرات في علم المعاني ص : 124) .فبلوغ السماء أمر مستحيل تحققه لفرعون , أو غيره , ولكن غطرسته وتكبره وطغيانه سولوا له ادعاء الألوهية , وأوقعوه في وهمه أن البعيد المستحيل أمرٌ قريب , وهو رهن أمره ، وطوع إرادته ينظر : (المصدر نفسه , ص : 124) .

ثانيا النداء :-

أ- النداء في اللغة : هو " الإلصاق واللزوم " . (لسان العرب , لابن منظور , 10 / 98) .

ب- النداء في الاصطلاح : هو : " طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف ناب مناب (أنادي) المنقول من الخبر إلى الإنشاء " . (جواهر البلاغة , السيد أحمد الهاشمي , ص : 96) .

وعرف أيضاً بأنه " طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف ناب مناب (أدعو) لفظا أوتقديرا " (الإتقان في علوم القرآن , للسيوطي , ص : 224) .

ويمكن القول " بأنه ليس للنداء معنى واحد محدد في نظر علم المعاني , فهو منبع لما لا حصر له من المعاني , والدلالات الفنية التي تدرك بتأمل السياقات المختلفة التي يرد فيها " . (محاضرات في علم المعاني , د. حسن طبل , ص : 125) .

وقد ذكر أن أدوات النداء ثمانية أحرف فمنها ما يأتي للقريب , وفيها ما يأتي للبعيد والأدوات التي ينادي بها القريب هي (الهمزة , وأيّ) , وبقية الأدوات الأخرى للنداء البعيد وهي : (يا , أيّا هيّا , آ أيُّ , وا) , ولكن " قد ينزل البعيد منزلة القريب , فينادي بالهمزة , وأي , إشارة إلى أنه لشدة استحضاره في ذهن المتكلم صار كالحاضر معه , لا يغيب عن القلب ، وكأنه ماثل أمام العين " . (جواهر البلاغة ص : 97) , وقد " ينزل القريب منزلة البعيد , فينادي بغير الهمزة وأي إشارة إلى عُلوّ مرتبته , فيحُمل بُعد المنزلة كأنه بعد المكان , إما أن يكون تعظيماله , أو تحضيراً لإبعاده " . (المصدر نفسه , ص : 97) .

ج- خروج النداء لأغراض مجازية :-

وقد يخرج أسلوب النداء عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى مجازية تفهم من سياق الكلام ومن هذه المعاني ما يلي :

1- الإغراء : كما في قولك لمن أقبل يتظلم : يا مظلوم , فقولك : يا مظلوم تقصد إغراءه وحثه على زيادة التظلم , وبث الشكوى , وليس طلب إقباله ؛ لأن الإقبال حاصل فيكون اللفظ الموضوع لطلب الإقبال فيه على المجاز المرسل بعلاقة الإطلاق والتقيد . ينظر : (الإيضاح في علوم البلاغة , للخطيب القزويني المجلد الأوب , ص: 91) .

2- الاختصاص : والاختصاص " لغة قصد الشيء على الشيء , واصطلاحاً : تخصيص حكم علق بضمير باسم ظاهر , صورته صورة منادى , أو معرف بأل , أو بالإضافة ، أو بالعلمية " (المصدر نفسه , ص : 91) ، وذلك كما في قولهم (أنا أفعل كذا أيها الرجل) , أي متخصصاً من بين الرجال .

3- التنبيه : وذلك نحو قول الفرزدق :

*وعضَّ زمان – يا ابن مروان – لم يدعْ ***** من المال إلا مُسحتاً أو مُجلف*

فالنداء في قوله " يا بن مروان , اعترض بين الموصوف وصفته , وهو لا يطلب جواباً , لأن غرضه التنبيه فحسب " . (من نحو المباني إلى نحو المعاني , د. محمد طاهر الحمصي , ص : 496) .

4- التعجب : كقوله تعالى : ((يا حسرة على العباد)) ، (سورة يس , الآية : 29) ، أي : ما أعظم شقاءهم وأطول عناءهم , وأشد جهلهم , حيث كانوا بهذه الصفة القبيحة , التي هي سبب لكل شقاء وعذاب ونكال ينظر : (تيسير الكريم الرحمن , ج 22 / 816) .

5- الندبة : وذلك نحو قول جرير :

*حُمِّلْتَ أمراً عظيماً فاصطبرت له ***** وقمت فيه بأمر الله يا عُمرا*

لذا نجد أن النداء (يا عمرا) قد خرج إلى الندبة , وهو مستغنٍ عن الجواب . ينظر : (من نحو المباني إلى نحو العاني , ص : 496) .

6- التحسر والتوجع : كقوله تعالى : ((يا ليتني كنت ترابا)) ، (سورة النبأ , الآية : 40) , لقد كان الكفار يتمنون الموت من شدة الحسرة والندم ، ينظر : (تسير الكريم الرحمن , ج 30 / 1071) . وكذلك قول الشاعر :

*أيا قبر معن كنت أول حفرة ***** من الأرض خطت للسماحة مضجعا*

*ويا قبر معن كيف واريت جوده ***** ولو كان حيا ضقت حتى تصدعاً*

فالشاعر هنا ينادي القبر بنفس حزينة , وقلب مكلوم , وهو نداء يوحي بشدة حزنه وأساه على ذلك الفقيد الذي يرثيه فكأن الفاجعة قد أذهلته فأصبح ينادي من لا يسمع ولا يجيب . ينظر : (محاضرات في علم المعاني , د , حسن طبل , ص : 125) .

7- اللوم والتوبيخ : وذلك كقول الشريف الرضى :

*ياعاذل المشتاق دعه فإنه ***** يطوى على الزفرات غير حشاكا*

فالشاعر هنا " لا يطلب إقبال العاذل ؛ ولكنه يتوجه إليه باللوم ، ويعنفه على هذا المسلك الشائن تجاه المحبين " . (المصدر نفسه , ص : 125) .

8- الحنين والشكوى : وذلك كما في قول أبي العلاء المعري :

*فيا برق ليس الكرخ داري وإنما ***** رماني إليه الدهر منذ ليال .*

فالشاعر هنا قد شده الحنين إلى وطنه , وشعور بحرارة الغربة في ديار أرغمته أحداث الدهر على المقام فيها , بعيداً عن الأهل والأحباب , فأصبح ينادي البرق ليبثه حزنه وشكواه , وكأنه افتقد الأهل والرفاق , ولم يجد إلا البرق ملاذاً له ؛ حتى يسمع شكواه , ويتأسى لحزنه ومرارة إحساسه بالغربة . ينظر : (محاضرات في علم المعاني , د. حسن طبل , ص : 126) .

الخاتمة

وفي نهاية البحث هذا ثبت موجز بأهم النتائج التي تم التوصل إليها:

1- الكلام قسمان : هما الخبر والإنشاء , فالجملة الخبرية قول يحتمل الصدق والكذب , أما الجملة الإنشائية فهي قول لا يحتمل الصدق والكذب .

2- الجملة في العربية لونان متمايزان , الأول يتضمن إثبات أمر لأمر , أو نفية عنه , وهو الأسلوب الخبري , والثاني لا يتضمن إثباتا , أو نفيا , وهو الأسلوب الإنشائي .

3- جملة الإنشاء الطلبي هي تركيب إسنادي يستلزم مطلوبا غير حاصل وقت الطلب , لامتناع تحصيل الحاصل وأنواعها : جملة الأمر , وجملة النهي , وجملة الاستفهام , و جملة النداء , وجملة التمني .

4- الأساليب الإنشائية على حالين , منها ما يقضى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب , ويسمى الإنشاء الطلبي وذلك كأساليب الأمر والنهي والنداء والاستفهام والتمني , ومنها ما لا طلب فيه ويسمى الإنشاء غير طلبي وذلك كالتعجب والقسم ، والمدح والذم ، والرجاء , وأساليب العقود (من نحو : بعت واشتريتُ , وزوجت وغيرها) .

5- تبين من خلال تتبع أسلوب الإنشاء الطلبي , أن السبب الذي جعل البلاغيون يهتمون بدراسته أنه كثير الاعتبارات , وتتوارد عليه المعاني التي تجعله من الأساليب الغنية ذات العطاء والتأثير .

6- أنواع جملة الإنشاء الطلبي: جملة الأمر, وجملة النهي , وجملة الاستفهام , وجملة النداء وجملة التمني

7- النوع الأول من أساليب الإنشاء الطلبي هو الأمر , ومعناه هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء والتكلف من الأعلى للأدنى , وله أربع صيغ هي : فعل الأمر , المضارع المقرون بلام الأمر , اسم فعل الأمر , المصدر النائب عن فعل الأمر ، ومن المعاني البلاغية المجازية التي تخرج إليها صيغة الأمر والتي تعرف في ضوء السياق وقرائن الأحوال هي : الدعاء , و التهديد , و التعجيز , و التسوية , و الإهانة والتحقير , و الإباحة , و الإكرام , و التكوين , و الالتماس , و التمني , و الطلب , و النصح والإرشاد , و التخيير , و المدح , و الندب , و الاعتبار , و الامتنان , و التسخير , و التلهف أو التحسير و التعجب التسليم , و تصوير الحدث , و الحث على الاتصاف بصفة معينة .

8- النوع الثاني من أساليب الإنشاء , الطلبي هو النهي , وهو طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء والالزام , ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان النهي صادرا من الأعلى إلى الأدنى , وقد يخرج أسلوب النهي من معناه الحقيقي , إلى معانٍ أخرى مجازية , ومن تلك المعاني : الدعاء , و الالتماس , و التوبيخ , و الاحتقار والتعليل و التيئيس , و الكراهة , و التسوية , و التهديد , و النصح والإرشاد , والإهانة , و بيان العاقبة والاستعصاء والتحذير , والتمني , وتهوين الأمر , والتعظيم والتهويل .

9- النوع الثالث من أساليب الإنشاء الطلبي هو الاستفهام ، وهوطلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأدوات خاصة وهذه الأدوات هي : الهمزة , وهل , وما , ومن , ومتى , وأين , وكيف , وأيان , وأني ,وكم وأي , وقد يخرج الاستفهام من معناه الحقيقي وهو طلب الفهم إلى معانٍ ودلالات أخرى فنية , ومن المعاني التي ذكرها البلاغيون لأسلوب الاستفهام ما يلي : النفي , التمني , التعجب , التقرير , الإنكار الاستبطاء التحقير , الاستبعاد , التهكم , التنبيه على الضلال , الوعيد , التهويل ،التشويق ، التسوية ، الأمر التحضيض التعظيم ، العرض ، النهى ، الاستعطاف ، العتاب ، التذكير ، التسهيل والتخفيف ، التوبيخ والتعجب ، الحيرة والوله .

10 .النوع الرابع من أساليب الإنشاء الطلبي هو التمني ، وهو طلب شيء محبوب لا يرجى حصوله ، إما لكونه مستحيلاً ، أو لكونه بعيد الحصول ، ومن أدواته ليت ، وهي الأداة الأساسية في اللغة العربية ، وقد تنوب عنها أدوات أخرى هي : هل ، لو ، لعل ، وقد يخرج أسلوب التمني من معناه الحقيقي إلى معان بلاغية أخرى اهمها :

11. النوع الخامس من أساليب الإنشاء الطلبي هو النداء , وهو طلب الاقبال بحرف نائب مناب أدعو لفظاً أو تقديراً ، وأدوات النداء هي : الهمزة , ويا , وأيا , وهيا , وقد يخرج أسلوب النداء من معناه الحقيقي وهو طلب الإقبال إلى معان ، ودلالات فنية أخرى تدرك من خلال تأمل السياقات المختلفة , التي يرد فيها ومن تلك المعاني : الإغراء ,

الاختصاص , التنبيه , التعجب , الندبة التحسر والتوجع , اللوم والتوبيخ الحنين والشكوى .

المصادروالمراجع

--القرآن الكريم برواية قالون عن نافع , جمعية الدعوة الاسلامية .طرابلس ، ليبيا ، 2005 م
1- الإتقان في علوم القرآن , الإمام جلال الدين السيوطي , المكتبة الثقافية ، بيروت - لبنان , 1973 م .
2- الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم , د. محمد كريم الكواز, جمعية الدعوة الإسلامية.، د.ت
3- الإيضاح في شرح تلخيص المفتاح , جلال الدين القزويني , دار الجبل , بيروت - لبنان ،739 هجري
4- الإيضاح في علوم البلاغة , للخطيب القزويني , شرح وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجة , المجلد الأول المكتبة الأزهرية للتراث , مصر ، ط:3 ,1993 م .
5- البلاغة والأسلوبية , يوسف أبو العدوس , المطبعة الأصلية للنشر , والتوزيع , ط :1 , الأردن 1999م
6- تفسير القرآن العظيم , الإمام الحافظ أبي البقاء إسماعيل بن كثير القرشي , دار الكتاب العربي
بيروت – لبنان ، ط :2 , 2002 م .
7- تفسير الكشاف , لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري , دار الفكر للطباعة والنشربيروت – لبنان , د.ت .
8- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان , للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، د.ت.
9- الجامع الأحكام القرآن , لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي , دار الكتاب المصرية القاهرة – مصر ، 1967 م .
10- جواهر البلاغة , السيد أحمد الهاشمي , علق عليه ودققه سليمان الصالح الكواز , جمعية الدعوة الإسلامية , طرابلس – ليبيا ، د. ت .
11- دراسات في علم المعاني , عبد الواحد حسن الشيخ , كلية التربية , جامعة الإسكندرية , د. ت
12-دلالات التراكيب , دراسة بلاغية , د . محمد محمد أبو موسى , جامعة الأزهر , مكتبة وهيبة القاهرة – مصر , الطبعة الثالثة , 2004 م .
13- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير , مختصر تفسير القرآن العظيم , للعلامة المحقق الشيخ أحمد شاكر . القاهرة – مصر د.ت
14-علوم البلاغة , راجي الأسمر , إشراف : إميل يعقوب , دار الجبل للطباعة , بيروت – لبنان ط : 1 , 1999 م .
15- علوم البلاغة , جلال الدين القزويني , ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوني , دار الكتاب العربي , بيروت – لبنان , د .ت .
16-علم المعاني , عبد العزيز عتيق , دار النهضة العربية للطباعة والنشر , بيروت – لبنان , 1985 م

17-علم المعاني , ودلالات الأمر في القرآن الكريم , مختار عطية ، دار الوفاء لدنيا الطابعة والنشر الإسكندرية – مصر . د.ت
18- شرح المفصل , لابن يعيش , تحقيق : د. محمد عبد الله , دار سعد الدين للطباعة والنشر , نصر , ط : 1 / 2013 .
19- فن البلاغة , عبد القادر حسين , بيروت – لبنان , ط : 2 , 1984 م .
20- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم , سناء حميد البياني ، دار وائل للنشر , عمان – الأردن , ط : 1 , 2003 م .
21- لسان العرب , لابن منظور ، دار صادر ، بيروت – لبنان 1955 م .
22- محاضرات في علم المعاني , د. حسن طبل , مكتبة الزهراء , القاهرة – مصر ، د. ت
23- مختار للصحاح , الإمام محمد بن أبي بكر الرازي, طبعة حدثيه , دار الجبل , بيروت – لبنان ، د. ت
24- مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح , للخطيب القزويني ، مطبعة السعادة ،مصر ، ط : 2 ، 1342 هجري .
25- المستنير في تخريج القراءات المتواثرة , د. محمد سالم محيسن ، دار الجبل , بيروت , ط : 1 , 1989 م .
26- منجد الطلاب , فؤاد إقرام البستاني , منشورات دار المشرق , ط : 64 , بيروت – لبنان .
27- من نحو المباني إلى نحو المعاني , بحث في الجملة وأركانها , د. محمد طاهر الحمصي , دار سعد الدين للطباعة والنشر , دمشق - سوريا , ط : 1 , 2003 م .
28- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح , لابن يعقوب المغربي على هامش مختصر سعد الدين التفتازاني ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط : 2 ، 1342 هجري .

تأثير مادة النشا في إطالة فترة تخزين بعض الفواكه والخضروات في درجة حرارة الغرفة

يوسف عزو[1]، شهوب الأحمر[2]،مصطفى كركوري[3]، كريمة ضو[4]، رنا أبوعرقوب[5]
5قسم الأحياء/ كلية التربية قصر بن غشير/جامعة طرابلس،2قسم النبات/ كلية العلوم/جامعة غريان،3المعهد العاليلتقنيات التبريد والتكييف/ سوكنة الجفرة.

مستخلص البحث:

تحضى تقنية المواد المستخدمة كأغلفة مستساغة لتغليف ثمار الفواكه والخضروات لغرض حفظها وإطالة فترة تخزينها بإهتمام واسع هذه الأيام في كثير من الدول،لما لها من نتائج إيجابية للمحافظة على الثمار بعد الحصاد؛ وذلك للمساهمة في زيادة إنتاج الغذاء وتحقيق الأمن الغذائي. أُستخدمت في هذه الدراسة مادة النشا لهذا الغرض عن طريق غمر بعض ثمار الفواكه (البرتقال، الموز، التفاح، الكمثرى والخوخ) وكذلك بعض ثمار الخضروات (الخيار، الطماطم، الفلفل، القرع والجزر) في محلول النشا في المعمل لفترة 15 دقيقة ثم تركت الثمار في حوافظ خاصة بها تهوية، ولوحظت التغيرات التي طرأت عليها. أوضحت هذه الدراسة أن جميع أصناف ثمار الفواكه المعاملة بمادة النشا عدا التفاح كانت أكثر مقاومة للأمراض الفطرية والفساد الذي طرأ عليها، مقارنة بالثمار الغير معاملة (الشاهد).بينما أبدت جميع ثمار الخضروات المعاملة مقاومة أكثر للأمراض الفطرية والفساد من الثمار الغير معاملة.

Abstract:

Currently, many countries are using edible coatings for the purpose of preserving and prolonging shelf life of the fruit after harvest. In addition to contribution to increasing food production and achieving food security. In this study starch was used for this purpose by immersing some fruits (oranges, bananas, apples, pears and peaches) as well as some vegetables (cucumbers, tomatoes, peppers, pumpkin

and carrots) in the starch solution at laboratory for a period of 15 minutes and then left in containers and the changes were noted. This study showed that all the fruits treated with starch except apples were more resistant to fungal diseases and spoilage than untreated fruits, while all vegetables treateddemonstrated more resistance to fungal diseases and spoilage than untreated fruits.

المقدمة:

تعتبر أمراض النباتات وفساد المحاصيل الزراعية أحد أبرز المشاكل الرئيسية التي تواجه الإنتاج الزراعي على مستوى العالم؛ حيث تسبب خسائر كبيرة للمحاصيل الزراعية الاساسية في العالم تقدر بمليارات الدولارات، كما قد تودي إلى تدهور الإنتاج الزراعي في كثير من المناطق. تتعدد الأمراض النباتية لتصيب كل جزء من اجزاء النباتات حيث يمكنها أن تصيب الجذور والأوراق والسيقان والأزهار والثمار(علي، 2006) . وتظهر العديد من الأمراض في الحقل كماتحدث أيضا أثناء النقل والتخزين وتكون أساسا من الفطريات والبكتريا والفيروسات أو قد يكون فساد وتعفن الثمار نتيجة لأسباب فسيولوجية أي مصدرهاغير طفيلي(أجريوس، 1984 &مهروترا،1997).

تم تعريف أمراض ما بعد الحصاد Postharvest diseases في بعض الدراسات بأنها أمراض تكتشف أثناء الحصاد، الفرز، التعبئة ونقل المحصول إلى السوق وكذلك اثناء تخزينه إما في الناقلات أو في السوق أو أثناء العمليات المختلفة التي يتطلبها تحرك المحصول من المزارع إلى تجار الجمله ثم إلى مخازن التجزئة وأخيرا إلى المستهلك. يعتمد مقدار الضرر أو الخسارة في المحاصيل الزراعية القابلة للإصابة بأمراض ما بعد الحصاد على نوعية المنتج، ظروف التخزين، الكائن المسبب للمرض، والكائنات الحية الاخرى الموجودة مع الممرض (Maria, 2007)

تقدر خسائر الثمار ما بعد الحصاد في الدول النامية والمتقدمة على حد سوا نحو من 30 % إلى 40 % من الثمار الطازجة (2012 Singh,2015;Kader and Siddiq,). توجد الكثير من الدراسات التي استخدمت العديد من المواد كأغلفة مستساغة تغلف الثمار أي قابلة للأكل لغرض إطالة فترة التخزين من خلال تقليل معدل عملية التنفس وتبادل الغازات وتخفيض معدل تصنيع وإنتاج غاز الإيثلين داخل الثمار. ومن أهم المواد المستخدمة كأغلفة مستساغة هي الشمع، الزيوت النباتية، النشا، البكتين والكيتوزان، حيث تتكون هذه المواد عادة من ثلاثة مركبات اساسية هي البروتينات والدهون والسكريات والتي تعتبر مواد طبيعيةآمنة للإنسان والحيوان والبيئة. Kester and Fennema, 1988; Zhang,*et al.* 2008).

نشرت بعض الدراسات أن مادة النشا لها صفات وخواص طبيعية من حيث أنها قابلة للتحلل وسهل الحصول عليها نتيجة لانتشارها الواسع على

مستوى العالم وكذلك لقلة تكلفتها (Haiming, *et al*, 2019; Zhang, *et al*, 2008) حيث يمكن الحصول على النشا، وهو عديد السكاريد الاحتياطي لمعظم النباتات، من مصادر مختلفة: الحبوب (الذرة والقمح والأرز) والبقوليات (البازلاء) والدرنات (الكسافا والبطاطا) (Haiming, et al, 2019)

ولندرة الدراسات المتعلقة باستخداممادة النشاء لتغليف ثمار الفواكه والخضروات لغرض حفظها،هدفت هذه الدراسة لمعرفة تأثير مادة النشا على اطالة فترة تخزين بعض الفواكه (ثمار البرتقال، الموز، الخوخ ،التفاح والكمثري) وكذلك بعض الخضروات (الطماطم، الفلفل، الخيار، القرع والجزر) في درجة حرارة الغرفة وكذلك تقليل الفاقد، وبالتالي المساهمة في زيادة إنتاج الغداء وتحقيق الأمن الغذائي.

مواد وطرق البحث:

بدأت الدراسة المعملية لهذا البحث في بداية شهر فبراير 2018م بمعمل النبات بقسم الأحياء كلية التربية قصر بن غشير واستمرت حتى نهاية شهر مايو 2018م.

أولا: طريقة تحضير محلول النشا.

ثم إحضار كمية من النشا من السوق والمستخلص من نبات الذرةوبالرغم من أنه شحيح الذوبان في الماء إلا أنه أمكن عمل محلول غروي منه بوضع (500 جرام) من النشافي 10 لتر من الماء الساخن في حافظة مع التحريك حتى التجانس.

ثانيا : طريقة معاملة ثمار الفاكهة بمحلول النشا.

ثم إحضار بعض الفواكه والخضروات من مزارع مختلفةقريبة من مكان الدراسة (قصر بن غشير) والبعض الأخر من السوق، وقد أُختيرت بعناية؛بحيث تكون سليمة وخالية من العيوب والأضرار الميكانيكية. وضع عدد (12) من ثمار كلمن البرتقال، الموز، الخوخ، التفاح، والكمثري في الحافظة التي تحتوي على حوالي 10 لتر من محلول النشاء،وتركت لفترة (15) دقيقة ثم وضعت في حافظة مكشوفة بدون غطاء معرضة لهواء الغرفة (شكل1).

ووضعت نفس الاعداد للفواكه المذكورة في حافظة مستقلة بدون معاملتها بالنشا كشاهد

(Control) في درجة حرارة الغرفة.

ثالثا/ طريقة معاملة ثمار الخضروات بمحلول النشا.

وضعت عدد (12) كل من ثمار الخيار، الطماطم، الفلفل، القرع والجزر في الحوافظ البلاستيكية، وتم معاملتها بنفس طريقة ثمار الفواكه مع وجود الشاهد لكل منها (شكل2).

تُركت الفواكه والخضروات لمدة من 7– 15 يوم حسب نوع الثمار وثم ملاحظة ما يطرأ عليهامن أمراض أو فساد يوميا وتسجيل الملاحظات اول بأول.

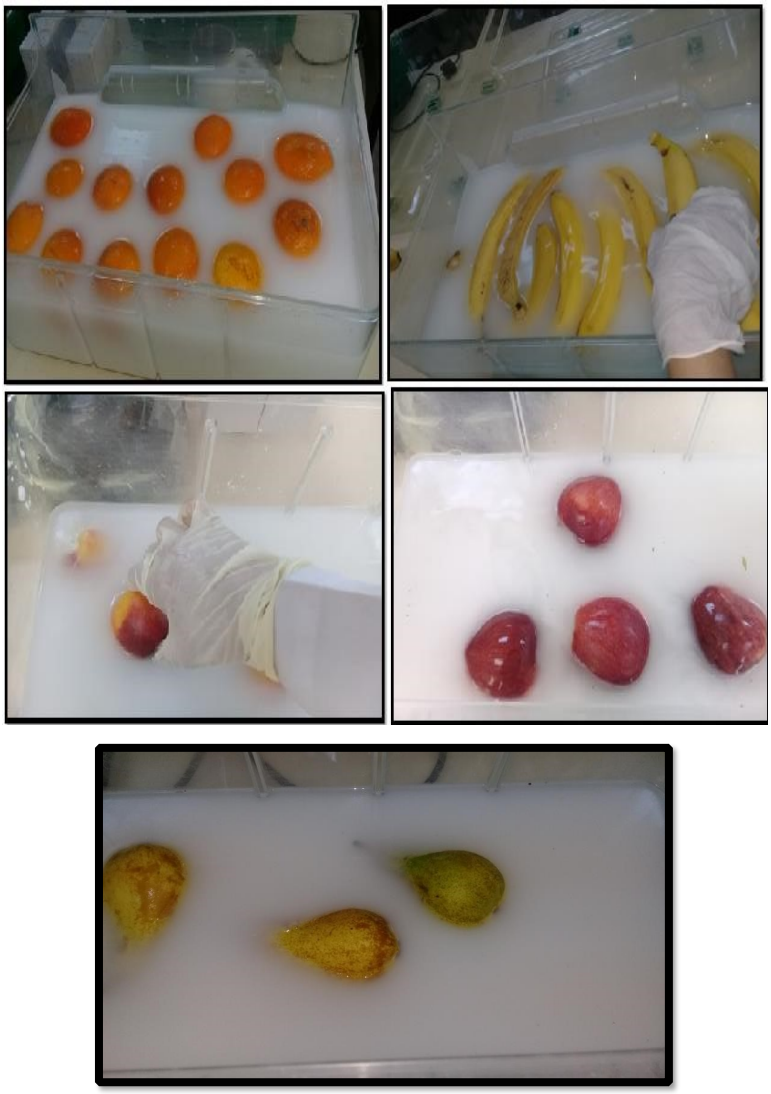

شكل رقم(1) يوضح بعض ثمار الفاكهة أثناء المعاملة بمحلول النشا.

شكل رقم (2) يوضح بعض ثمار الخضروات أثناء معاملتها بمحلول النشا.

النتائج والمناقشة

الفواكه والخضروات تفقد الوزن خلال فترات ما بعد الحصاد مثل فترتيالتعامل والتخزين عن طريق النتح،مما يؤدي إلى تغييرات في شكلها وانكماش السطح الذي يؤثر على مدة صلاحيتها. كما يعزى تليين الفاكهة أثناء التخزين أيضًا إلى التدهور في مكونات جدار الخلية، وخاصةالبكتين، بسبب نشاط الإنزيمات المختلفة(جمعة وعبدالاله مخلف 1989، 2016 ,*et al*, Shah)

من خلال معاملة عدد12 نوع من الثمار بمحلول النشا في المعمل تبين أن ثمار الموز (الشاهد) أكثر عرضة للإصابة من ثمار الموز المعاملة بمحلول النشا؛

حيث وصلت نسبة التلف الى 40%، اما المعاملة فوصلت نسبتها إلى 33% (شكل3) وذلك بسبب العفن الأسكلروتيني والمتسبب عن فطر *Scleroitinasclerotiorum* الذي ثم تشخيصه بناء على المشاهدة بعد فترة 13 يوم من المعاملة ويعزى هذا إلى ما ذكره (Yazdi, *et al*. 2019)؛ بأن النشا له خاصية مضادة ومثبطة للميكروبات والكائنات الحية الدقيقة كالفطريات التي قد تنمو على الفواكه عند التخزين، والتي قد يكون مصدرها من الحقل محمولة كجراثيم على الثمار أو أن الثمار قد تعرضت للإصابة أثناء نقلها إلى المعمل لإجراء التجارب. بينما كانت ثمار البرتقال الغير معاملة أكثر عرضة للإصابة من المعاملة أي بنسبة (33%, 25% على التوالي) وذلك بسبب اصابتها بفطر البنسيليوم*Penicillium spp* وظهور أعراض العفن الأخضر بعد فترة 15 يوم. كما لوحظ ايضا أن فترة ظهور أعراض العفن البني على ثمار الخوخ الشاهد تظهر أسرع من الثمار المعاملةمما يؤكد ما اثبته(Thakur, *et al*. 2018) أن مادة النشا تعمل كعائق أو مانع لتبادل الغازات وبالتالي تقلل من عملية تنفس الثمار وتقلل أيضا من نسبة الفقد في الوزن على ثمار الخوخ. كما تبين أن إمكانية الإصابة بعفن الميوكر المتسبب عن فطر*Mucor spp*في ثمار الكمثري وصلت إلى 67% في الشاهد بينما كانت في الثمار المعاملة الى 43% وذلك بعد 15 يوم، في حين تتساوى نسبة الاصابة في ثمار التفاح بالعفن البني بين الثمار المعاملة والغير معاملة وكانت25% (شكل3) ويرجع ذلك لان ثمار التفاح لها قدرة تخزينية طويلة تصل الى حوالي 8 شهور (Sumedrea, *et al*. 2018) ومن خلال هده الدراسة تبين أن محلول النشا يعمل كمادة عازلة تعيق عملية تبادل الغازات وتخفض معدل التنفس وبالتالي تعمل على إطالة فترة التخزين في ثمارالفواكه وعليه نوصي باستخدام هذه المادة وبتركيزات مختلفة لأنواع اخرى من ثمار الفواكه.

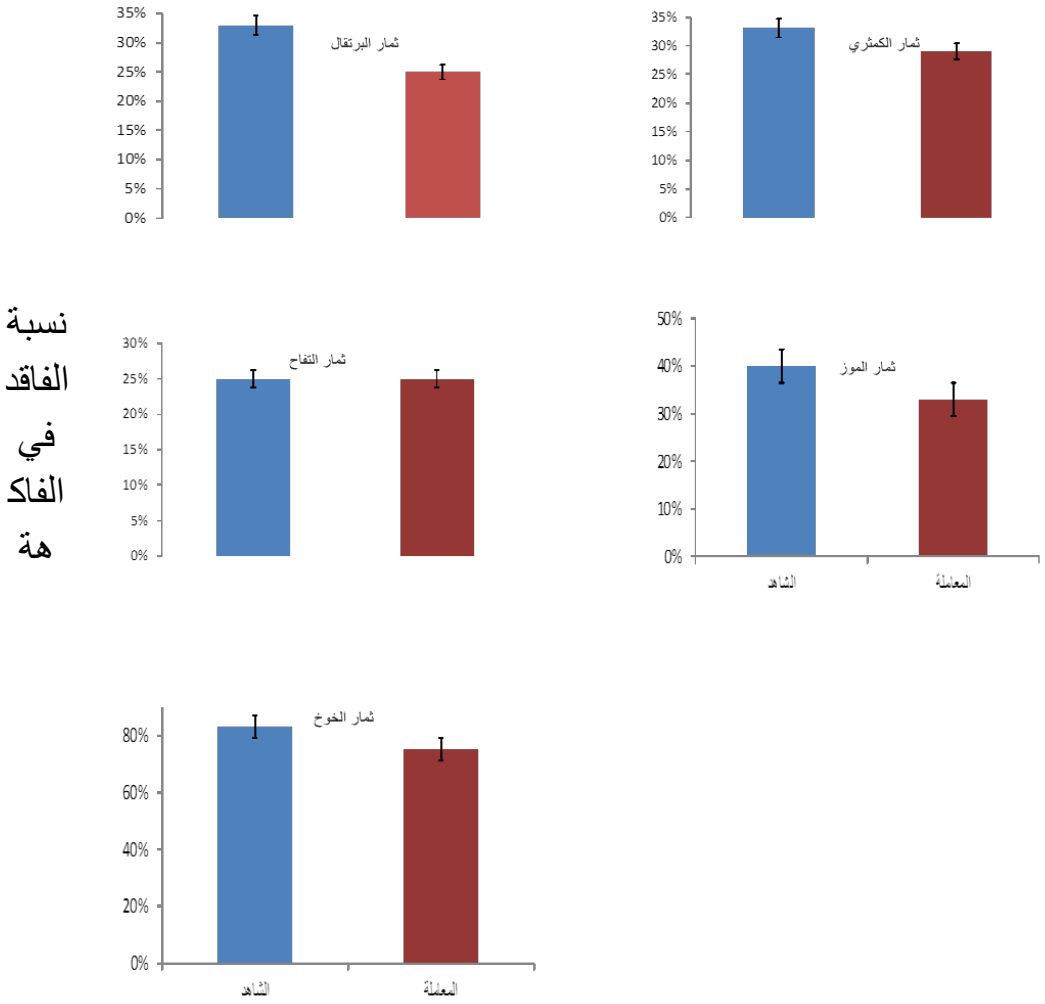

شكل رقم (3) يبين نسبة الفاقد في الفاكهة مقارنة بالشاهد عند المعاملة بمحلول النشا بعد فترة 17 يوم

ومن ناحية أخرى تبين أن ثمار الفلفل غير المعاملة تعرضت للإصابة اكتر من المعاملة حيث وصلت نسبة الإصابة في الشاهد إلى 80% (شكل4)، اما المعاملة وصلت نسبتها إلى 50% وذلك بسبب إصابتها بمرض الانتراكنوز الذى تم تشخيصه بناء علي المشاهدة بعد فترة 7 أيام من التخزين، كما لوحظ أيضا ان ثمار الطماطم غير المعاملة تظهر عليها اعراض العفن الرمادي أسرع من المعاملة كما تبين أن ثمار القرعيات (الخيار & القرع) في الشاهد اكثر اصابة من المعاملة حيث كانت نسبة ثمار الشاهد (60 % , 67 % علي التوالي) وكانت نسبة الثمار المعاملة (42 % , 43 % على التوالي) (شكل4)، وذلك بسبب اصابتها بعفن الكونيفورا بناء علي المشاهدة بعد فترة 8 أيام من التخزين. في حين كانت نسبة ثمار الجزر المعاملة أقل عرضة للإصابة من الثمار الغير معاملة (58 % , 83 % على التوالي). .

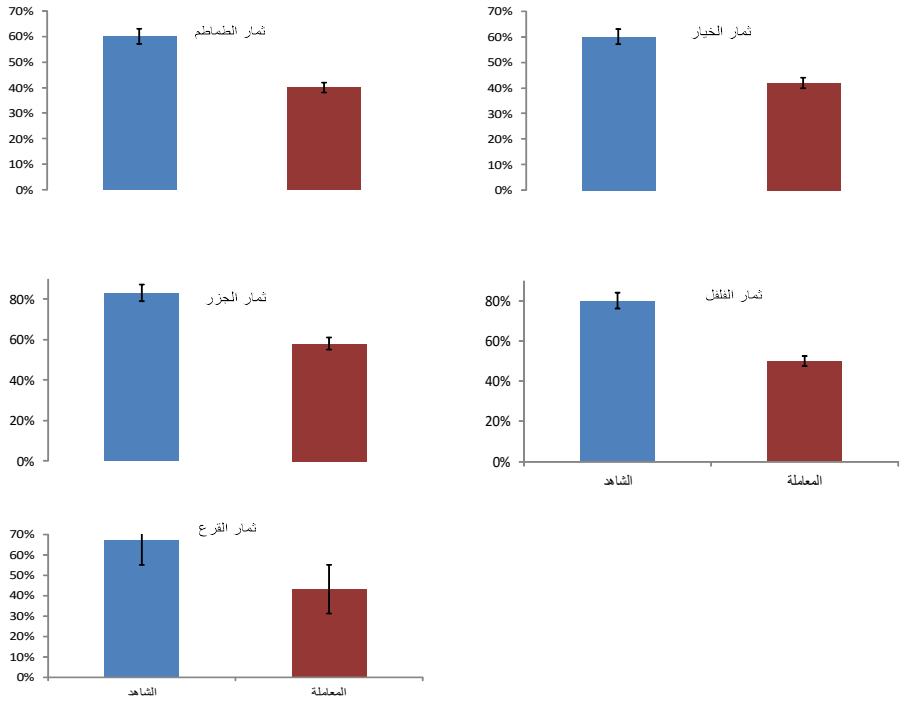

شكل رقم (4) يبين نسبة الفاقد في الخضروات مقارنة بالشاهد عند المعاملة بمحلول النشا بعد فترة 17 يوم

من خلال هده الدراسة تبين أن محلول النشا يعمل كمادة عازلة ومحكمة التغليف على سطح ثمار الفاكهة والخضروات وتقوم بتقليل كفاءة عملية تبادل الغازات وخفض معدل التنفس وكذلك كمثبط فعال للكائنات الحية الدقيقة الممرضة وبالتالي إطالة فترة التخزين في الفواكه والخضروات، وعليه نوصي باستخدام هذه المادة وبتركيزات مختلفة لأنواع اخرى من الثمار.

أولا المراجع العربية:

1- **أجريوس، جورج. 1984. أمراض النبات. ترجمة محمد موسى أبوعرقوب. منشورات جامعة قاريونس، 995 صفحة.**
2- **جمعة، فاروق فرج وعبد اللإله مخلف.1989. الحاصلات البستانيه حفظها والعناية بها . مطبعة التعليم العالي في الموصل. 260 صفحة.**
3- **علي، مديح محمد . 2006. أمراض النبات. مكتبة أوزيريس. 621 صفحة.**
4- **مهروترا . 1997. أمراض النبات.ترجمة عبدالنبي أبوغنية وجبر خليل. معهد الإنماء العربي –بيروت, لبنان.**

ثانيا: المراجع الأجنبية :

Haiming. Li; Qi. Yungeng; Zhao. Yongxian; Chi. Jimei and Cheng. Shijie.

(2019) Starch and its derivatives for paper coatings.
ScienceDirect.135. 213-227.

8- Kader, A. and M. Siddiq. (2012) Introduction and overview. In: Siddiq, M. (Ed.).Tropical and Subtropical Fruits: Postharvest Physiology, Processing
and Packaging.John Wiley and Sons, Ltd. pp. 3 - 16.
10-Kester , J. J. and O. R . Fennema .(1988)Ediblefilms and coatings : Areriew .
Food Techhology . 42:47 -59 .
9- Maria, P. F. (2007) Storage life enhancement of avocado fruits. (Diss). McGill
University. Department of Bioresource Engineering. Ste-Anne De Bellevue, Q C. Canada.
Singh, Z. (2015). Lost fresh horticultural produce and maintenance of quality in
supply Chain: Tropical and sub-tropical fruit. Acta Horticulturae. 1088: 29 - 40.
Shah, U; F, Naqash; A, Gani and F, A, Masoodi. (2016) Art and science behind
modified starch edible films and coating: A review. Wiley Online Library, volume 15, 568-580.
Sumedrea, D; A, Florea; M, Sumedrea and A, Asanica. (2018) Influence of
different storage methods on apples chemical proprieties. Sciendo.
DOI: 10:247
Thakur, R; P, Pristijono; J. B, Golding; C. E, Stathopoulos and C. J, Scarlett.
(2018) Development and application of rice starch based edible coating
to improve the postharvest storage potential and quality of plum fruit
(Prunus salicina). ScienceDirect. Doi: 10. 1016.
Yazdi, J. S; Masoud, H; Ali, A. K and Mahdi, B. (2019) Application of edible
and biogegradable starch-based films in food packaging: a systemaic review and meta-analysis. Scopus Journal Metrics. ISSN: 2322-0007.
Zhang, Y. Z. Liu and J. Han. (2008) Environmentally compatible food packaging,
Starch-based edible films. ScienceDirect. 10. 108-136.

المؤسسات الثقافية في طرابلس الغربفي القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي

✍د. أحمد مسعود عبدالله مسعود
كلية الآداب و العلوم بدر

مستخلص البحث :
يتناول هذا البحث التعريف بالمؤسسات الثقافية في طرابلس الغرب خلال القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي،متمثلة في الرُّبط، والزوايا،والمدارس، والمكتبات (خزائن الكتب)، ومنازل العلماء، والمجالس العلمية، ودورها الثقافي،والعلمي، إلى جانب دورها الديني، وأثرها في المجتمع الطرابلسي. كنتيجة طبيعية للاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي عرفته إفريقية في العهد الحفصي عموماً وطرابلس الغرب المعقل الشرقي للدولة الحفصية موضوع الدراسة على وجه الخصوص وفق منهج تاريخي وصفي قائم على جمع المادة من مصادرها الأولية للوصول إلى نتائج منطقية.

Abstract:

This research deals with the definition of cultural institutions in western Tripoli during the seventh and eighth AH / thirteenth and fourteenth centuries CE, represented by the link, the corners, schools, and libraries (book safes), the homes of scholars, scientific councils, and their cultural and scientific role, along with their religious role , And its impact on the Tripoli community. As a natural result of the political, economic and social stability that Africa knew in the Hafsid era in general and Tripoli West, the eastern bastion of the Hafsid state under study in particular, according to a historical and descriptive approach based on collecting material from its primary sources to reach logical results.

المقدمة:

شهدت طرابلس الغرب التي تعتبر جزءاً من إفريقية خلالالقرن السابع والثامن الهجري الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، تقدماً حضارياً، وثقافياً وعلمياً شمل جميع المجالات، امتداداً لما كان يجري في بلاد المشرق والأندلس. ومرد ذلك إلى ما أولاه أمراء وأميرات

العهد الحفصي في ذلك الوقت وأهل الخير والصلاح من تشجيع، واهتمام بالعلم والعلماء ومؤسساته والذي كانت نتاجاًلجهود المسلمين منذ عصر النبوة.
فهل كان هذا التقدم العلمي والازدهار الثقافي والحضاري نتاجاً لمؤسسات علمية كان يقيمها المجتمع ويهتم بها وينفق عليها؟
انتشرت الربط في طرابلس الغرب إلى قابس، وهي مكان ديني حربي اختص به المسلمون يحتوي بعضها على بيوت ومستودعات سلاح ومؤن وبروج للإشارات بالإضافة إلى أنها مكانٌ للتعليم والعبادة لأن أغلبية المرابطين من العلماء وطلبة العلم والعباد والمتصوفين.
أما الزوايا فانشرتبإنتشارالرُّبط وكان دورها إيواء المتجولين وإطعام المسافرين، فأتاحت لطلاب العلم التفرغ للدراسة وعدم الانشغال بأمور الحياة الضروريةالتي كانت توفرها لهم الزوايا.
وفي بلاد المغرب كان ظهور المدرسة متأخراًعن المشرق فأنشئت أول مدرسة في إفريقية خلال العهد الحفصي سنة(647هـ / 1245م) وكانت نشأتها شبيهة بنشأة المدرسة بالمشرق وأن الحفصين ساروا على نهج الموحدين في تأسيس المدارس ونشر التعليم بها كمؤسسة حديثة لها منهجها وطرقها.
أما المكتبة (خزانة الكتب)، فكانت من الدعامات المساعدة على نشر الثقافة مما جعل الأمراء الحفصيين يحرصون على جمع الكتب وخزنها في خزانة المساجد والرُّبط والزوايا والمدارس وقصور الأمراء وبيوت العلماء والمهتمين بجمع الكتب.
أن بعض العلماء فتحوا منازلهم بإفريقية وطرابلس الغرب خلال العهد الحفصي للتعليم والمناظرة وطرح المسائل التعليمية المختلفة حتىأصبحت تلك المنازل معروفة للتدريس وطلب العلم بإفريقية وطرابلس الغرب.
أما المجالس العلمية فكانت لا تقل أهميته عن وسائط التعليم والثقافة الأخرى لمن لا تسمح لهم ظروفهم وإمكانياتهم للسفر للمراكز الثقافية، إذاًالرُّبط والزوايا والمدارس والمكتبات ومنازل العلماء والمجالس العلمية مؤسسات علمية انتشرت في طرابلس الغرب وسائر بلاد المغرب، كما في سائر بلاد الإسلام وقامت بدور عظيم في تعليم النشء وإعدادهم للحياة العلمية والعملية.
وهذا البحث يتناول دور كل من الرُّبط والزوايا والمدارس والمكتبات ومنازل العلماء والمجالس العلمية وأثرها في إثراء الحياة العلمية في طرابلس الغرب خلالالقرن السابع والثامن الهجري/ الثالث عشر والرابع عشر الميلادي.

أهداف الدراسة:

التعريف بالمؤسسات الثقافية المتمثلة في الرُّبط والزوايا والمدارس والمكتبات ومنازل العلماء والمجالس العلمية ومواردها ودور كل منها، وأثرها في المجتمع الطرابلسي خلال فترة الدراسة.

أسباب اختيار الموضوع:

1- قلت البحث في موضوع المؤسسات الثقافية في طرابلس الغرب خلال القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي.
2- أهمية دراسة المؤسسات الثقافية وأثرها في المجتمع الطرابلسي.
3- اشادة الله تبارك وتعالى ورسوله محمد ﷺ والصحابة بالعلم والعلماء الذين تفرزهم المؤسسات الثقافية.

تساؤلات الدراسة:

1- ماهي المؤسسات الثقافية في طرابلس الغرب خلال فترة موضع الدراسة؟

2- ماهو دور كل مؤسسة من المؤسسات الثقافية وأثرها في طرابلس الغرب في بناء المجتمع؟ وكيف تحصل على مواردها؟
3- هل كان لعلماء طرابلس دور بارز في نشر التعليم في المؤسسات الثقافية المختلفة خلال فترة موضع الدراسة؟
4- مادور الفئات الاجتماعية المختلفة في صنع الثقافة، والمساهمة في تطويرها؟
5- مادور المؤسسات الثقافية في نهضة المجتمع الطرابلسي؟

منطقة الدراسة:

الحدود الجغرافية:

طرابلس الغرب التي تمتد من مدينة مصراته شرقاً،والبحر الأبيض المتوسط شمالاً، والصحراء الكبرى جنوباً، والحدود التونسية غرباً.

الحدود الزمنية:

في الفترة الممتدة من القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي حيث أزدهر العلم والعلماء لكثرة مؤسساته.

أهمية الدراسة:

أنتشار المؤسسات الثقافية المختلفة في طرابلس الغرب وجبل نفوسة في فترة موضوع الدراسة.

منهج الدراسة:

يتبع في هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي القائم على جمع المادة من مصادرها ومراجعها وترتيبها وتقييمها وتحليل وربط بعضها للوصول إلى نتائج منطقية .

تقسيمات الدراسة:

ملخص الدراسة باللغة العربية:

ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية:

المقدمة:

1- الرُّبط:
2- الزوايا:
3- المدارس:
4- المكتبة (خزانة الكتب):
5- منازل العلماء:
6- المجالس العلمية:

- الخلاصة:
- الهوامش:
- المصادر والمراجع:

1- الرُّبط :

كانتالرُّبط مؤسسة من المؤسسات العلمية لا تقل في دورها الثقافي والعلمي عن المؤسسات التعليمية في بلاد المغرب والأندلس وطرابلس الغرب وتونس.

الرُّبط في اللُّغة مفردها رباط ، وهو مكان اجتماع الفرسان لصد حملات العدو التي تنشأ على الثغور[1] .

وفي الاصطلاح هو مكان ديني حربي اختص به المسلمون يحتوي البعض منها على بيوت ومستودعات للسلاح والمؤن وبروج للإشارات [2] .

ويبدو للباحث أن الرباط هو مراقبة تحركات العدو بالإضافة إلى أنه مكانٌ للتعليم والعبادة ، لأن أغلبية المرابطين من العلماء ، وطلبة العلم والعباد والمتصوفين .

وللرُّبط أسماء مختلفة مرادفة لبعضها وهي : المحرس والقصر و الحصن [3] ، وقد توزعت الرُّبط في بلاد المغرب منذ أزمنة متقدمة لمواجهة أعداء الإسلام فكانت مدينة طرابلس الغرب حصناً منذ عام (46 هـ / 666م) على أن رباط قصر مدينة طرابلس الغربالذي بناه الوالي العباسي هرثمة بن أعين سنة (181ه/797م) وكان لهذه الرُّبط دور جهادي كبير بالإضافة إلى دورها الثقافي ، والعلمي ، فكان يأتي إليها الرجال ، والنساء ، والأطفال للتزود بالعلم ، ولعبت الرُّبط دوراً آخر ، فكانت دار وراقة لنسخ الكتب ، وكانت مكتبة تضم أعداد كبيرة من الكتب ، ولقد حافظت الرُّبط في طرابلس الغرب على أداء رسالتها الجامعة في الفترة الممتدة من سنة (181-555ه/797-1160م) حتى قدوم الموحدين وانتهاء الدولة الصنهاجية[4] ، وكان رباط طرابلس الغربمتلازماً مع رباط المنستير الشهير سنة (180 هـ / 796م) .

وقد أورد الإدريسي خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر للميلاد عدداً كبيراً من القصور تمتد من طرابلس الغرب إلى قابس عددها أربعة وعشرون قصراً دون أن يذكر رباط صبرة الذي يعتبر الرباط الخامس والعشرين [5] ، والرُّبط الواقعة بين طرابلس وسرت هي سبعة قصور منها قصر وادي الرمل ، وقصر ، ورداسة ، وقصر تاورغاء ، وقصور حسان الذي تعلم فيها بعض الرجال فصاروا علماء [6] وقال البكري عن الرباطات بطرابلس الغرب : ((وفيها رباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون أعمرها وأشهرها مسجد الشعاب)) [7] .

خلاصة القول أن الرُّبط بطرابلس الغرب كانت كثيرة ومنتشرة على طول الساحل وكانت نبراس لإشعاع العلوم الدينية ومركزاً لنشر الثقافة العربية الإسلامية وداراً للكتب ومصنعاً للورق [8] .

وسرعان ما تأسست العديد من المدن حول الرُّبط لتمكين الطلاب من أسباب المعاش ، ومن هذه الرُّبط رباط الشعاب ، ورباط الشيخ عبدالله المصري ، ورباط سيدي عبدالجليل [9].

هذه القصور جميعها يمر بها المسافر والحاج وطالب العلم فكانت بذلك مأوى لهم جميعاً ، لذلك لا يستبعد أن تكون هذه القصور عامرة بالعلماء والزهاد والعباد والحجاج، وبذلك كانت تمثل مؤسسات علمية بالإضافة إلى أنها جبهة بحرية على السواحل لمراقبة الأعداء ورصد تحركاتهم البحرية، عن طريق الأبراج وإشعال النيران بها ، وبذلك أصبحت هذه الرُّبط خطاً دفاعياً عامراً بالمرابطين والمجاهدين والعباد [10] .

ويوجد بين المهدية وسوسة رباط المنستير ، الذي كان يسكنه الناس على مرّ الأيام ، ويقصده أهل إفريقية ، وتنطلق منه كتائب الفتح الإسلامي نحو صقلية في عهد الأغالبة ، بالإضافة إلى أنه مؤسسة تعليمية وفق الإمكانيات المتاحة به ، وقد كانت النساء اللائي يقمن بأعمال التمريض أثناء الحروب يتلقين العلم بهذا الرباط أثناء السلم .

وبذلك يعتبر رباط المنستير من أكثر الأربطة شهرة لدوره المهم وخاصة في فتح صقلية [11] .

ويوجد كذلك رباط قرطاجنة ، ورباط بنـزرت ، ولمطة ، وقصر الطوب ، ورباط سوسة [12] .

جميع هذه الرباطات لا تزيد المسافة بينها عن خمسة وعشرين ميلاً تقريباً حسب انبساط الأرض والرؤية للمراقبة عبر السواحل [13] .

من خلال ما تقدم يتبين أن الرُّبط تشترك مع بعضها البعض في مراقبة وحراسة السواحل بواسطة أبراجها ، عن طريق إشعال النار فيها عند الإحساس بالخطر للاستعداد لمواجهة العدو ، وأن كل المرابطين بالرُّبط والحصون والقصور هدفهم واحد، وهو مواجهة العدو، ومنعه من النزول بديار الإسلام، وكان أغلبهم من الفقهاء والعلماء ، وخاصة أتباع مذهب مالك لتفضيلهم لحياة الرُّبط.

وقد كانت بعض الرُّبط مدناً ساحلية ، وبعضها الآخر عبارة عن مساجد ساحلية كمسجد الشعاب بطرابلس الغرب .

وبعض الرُّبط كانت كبيرة مثل رباط المنستير ، وعدد المرابطين بها كثير ، والحقيقة التي نخرج بها من دراسة الرُّبط هي إن الساحل من مدينة سبتة إلى مدينة الإسكندرية عبارة عن جبهة بحرية مليئة بالرُّبط على مسافات متقاربة يشعل فيها النيران من فوق الأبراج فيتم التفاهم بين الرُّبط عن طريق إشعال النار ليلاً والدخان نهاراً في مدة زمنية قصيرة لا تتعدى ساعات بين سبتة والإسكندرية أو أي مدينة أخرى .

موارد الرُّبط :

تعتبر الرُّبط من المؤسسات الثقافية لأهالي إفريقية اعتمدت على ما يُقدم إليها من أهل البر والإحسان من هبات لتطويرها وصيانتها وإطعام المقيمين بها [14] .

وكان أهل إفريقية يأتون بفاخر الأطعمة والصدقات التي يتسابق المسلمون في سبيلها من كل مكان إلى الرُّبط بقدر الطاقة وبداعي التقوى ونيل ثواب الأخرة ، ونشر العلم والثقافة[15].

الدور الثقافي للرَّبط :

يعتكف رجال الصوفية بها للعبادة لفترات طويلة من الزمن وتلقي دروس العلم ، وهي لا تخلو من شيوخ أفاضل ، لذلك كانت حلقات الدروس والمناظرة بين العلماء تقام في الرُّبط، شأنها شأن المساجد[16] .

((وهكذا ظلت الرُّبط تمور برجال نذروا أنفسهم في سبيل الجهاد والاستشهاد لحماية أرض المسلمين، وكان المرابطون من رجال العلم لا يألون جهدهم في تقديم زادهم من العلم لقاصديهم ، كما كانوا يشجعون طلاب العلم الكبار والصغار ، و كان من عادة المرابط أبي يونس نصير ، إذا زاره بعض أهل سوسة في رباطه المعروف برباط الطوب ، وكان معهم أطفال صغار ، كان يسال أولياء أمورهم هل يتعلمون بالكتاتيب ؟ فإذا كان الجواب إيجاباً أهدى إلى أُولئك الصغار أقلاماً من القصب، كان يبريها بنفسه ليهديها للصغار ، تشجيعاً لهم على الإقبال على العلم)) [17] .

وقد اهتم الموحدون بنشر التعليم بمختلف الوسائل بما فيها الرُّبط ، وبذلك ظلت الرُّبط في جميع بلاد المغرب وإفريقية تشع بنور العلم والإيمان ، وتزخر برجال العلم المؤمنين الذين قدموا العلم لقاصديهم وشجعوهم على طلبه كباراً وصغاراً [18].

ورغبة المسلمين والعلماء في إقامتهم بالرباط جعلت الرُّبط دائمة الحركة لسكن العلماء بها زمناً طويلاً ، مخصصين جزءاً من وقتهم للعبادة والجزء الآخر لإلقاء الدروس ، وبدرجة خاصة الدينية منها ، لذلك نجد الراغبين في تلقي العلوم يهرعون إلى حضور مجالس العلم التي تعقد داخل الرُّبط ، مما ساهم مساهمة فاعلة في نشر العلم والثقافة ، في طرابلس الغرب وتونس بإفريقية ، لأهميتهما في بلاد المغرب بصفة عامة وبلاد إفريقية بصفة خاصة أثناء القرن السابع والثامن الهجري/ الثالث عشر والرابع عشر الميلادي ، وقد أنشأ الأمير أبو فارس عبدالعزيز العديد من المحارس في الثغور البحرية [19] .

2- الزوايا :

ومفردها زاوية ، وتعني لغة من البيت ركنه وجمعها زوايا وانزوى ، صار في الزاويـة [20] ، وبانتشار الرُّبط انتشرت الزوايا وأُطلقت على البناء ، أو المسجد الصغير ، أو المصلى بالمشرق ، أما في المغرب فهي مدرسة دينية ، ودار مجانية لذلك نجد أن رواد الزوايا من طلاب العلم ، والفقراء والغرباء، فهي تأوي المتجولين وتطعم المسافرين ، وبذلك أتاحت لطلاب العلم التفرغ للدراسة لعدم انشغالهم بأمور الحياة الضرورية التي كانت توفرها لهم الزوايا.

وللزاوية في المغرب عبر التاريخ أسماء مختلفة فسميت بدار الكرامة ، ودار الضيوف[21] .

بعد مجيء الموحدين لطرابلس الغرب تحولت الرأبط إلى زوايا علمية منظمة ، وكان تعليمها أرفع من تعليم الكتاتيب ، وقد عرفت الزوايا ببلاد المغرب خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، وانتشرت بفضل حرص رجال الدين الصالحين على تحفيظ القرآن وعلومه وتطورت ، فأصبحت منارات علمية تحولت إلى مدارس يفد إليها الطلاب من مختلف البلدان [22]ويعتبر التعليم فيها أقل من المدارس ، وكان خريجوها يتنقلون في الجبال ، والسواحل ، والصحاري للتعليم في الكتاتيب والجوامع يعظون الناس ويرشدونهم إلى أمور دينهم [23].

وقد أطلق على كل نوع من أنواع الزوايا تسمية تميزها عن غيرها مثل :

الزاوية البسيطة وهي عبارة عن مجموعة من أبنية فيها بيت للطلبة يتكون من غرف حول صحن كبير، وغرف للتدريس ، والجامع والمرافق اللازمة، وكانت الأراضي التي حولها وقفاً عليها ، وكانت تقومالزاوية حول ضريح لأحد المرابطين أو ولي .

والزاوية الطرقية هيالزاوية التي يعتزل فيها الولي ويعيش وسط تلاميذه ليعلمهم تعاليمه وطريقته الصوفية ، وجميع هذه الزوايا تقوم بتعليم القرآن الكريم الذي يعتبر سمة من سمات التعليم الإسلامي، وقد تضيف الزاوية الطرقية تدريس الطريقة الصوفية ، بالإضافة إلى أنها تقوم فيها حلقات الذكر ويسمى هذا التعليم في تونس بالتعليم الذوقي الذي يشمل الأناشيد والأدعية [24].

وقد عملت الزاوية الطرقية على نشر التعليم الديني الصوفي ، لوجودها في الأرياف والمدن مما عمل على انتشار الطرق الصوفية في بلاد المغرب منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي .

ولو تتبعنا عدد الزوايا والمناطق التي انتشرت فيها على امتداد بلاد المغرب ، لوجدنا أنها أُقيمت في البادية ، والمدينة ، والجبل ، والوادي ، والصحراء ، وإن اختلفت في وظيفتها وأغراضها ، فالزاوية بالريف تبنى حولها في الغالب مدينة صغيرة ، كما تنسب الزوايا عادة إلى مؤسسيها [25] .

وسيقتصر البحث هنا حول الزوايا في طرابلس الغرب موضوع الدراسة :

زوايا طرابلس الغرب :

كان أشهرها يقع في الزاوية الغربية التي تقع غرب مدينة طرابلس الغرب ، على بعد 40 كيلومتر تقريباً، وهذه البلدة كبيرة ، وقراها كثيرة ، وبها بساتين عامرة بأشجار النخيل والزيتون والتين وغيرها من الأشجار الأخرى ، وأهلها من قبائل مشهورة وطبائع أهلها على الشجاعة والبسالة مفطورة ، جامعين بين البداوة والحضرية واللين والقساوة [26] ، ومن أشهر هذه الزوايا :

1- زاوية أولاد سهيل (زاوية أبي عيسى*):

نزل بها التجاني في رحلته وأعجب بها ووصفها عند إقامته بها بأنها حصينة ويحيط بها شجر كثير من التين والرمان والخوخ ، ولها أرض واسعة تعرف بالسابرية ، وأهلها

أولاد سهيل من العمور، فخذ من الوشاحيين أخوة المحاميد ، وكانت لهم صولة وهم تابعون للجواري الآن.

---

* زاوية أولاد سهيل : هي التي تعرف بزاوية (أبي عيسى أو زاوية العموري) وسهيل رجل صالح كان يعرف بأبي عيسى وإليه سميت قرية أبي عيسى التى تقع غربي الصابرية ، وكان سهيل يكرم المسافرين ويقضي حوائجهم وتولى أبناؤه أمر الزاوية من بعده وساروا على سنته وكانوا يردون للمسافرين ما يسرقه منهم الأعراب أو يغصبونه ، ولذلك كانوا محل عطف الذبابيين إخوتهم ويحفظون لهم حق القربة ، وتقع هذه الزاوية في بلدة أبي عيسى غربي مدينة الزاوية على بعد سبعة كيلومترات تقريباً ، ومازالت هذه الزاوية مقصودة لحفظ القرآن ، وبها حجر كثيرة لسكن الطلبة ولها أوقاف كثيرة يصرف ريعها على ما تحتاج إليه من إصلاح ، وفي مساعدة الطلبة الغرباء إذا اقتضى الأمر ذلك .

أما سهيل صاحب هذه الزاوية ، فإنه كان يعرف بأبي عيسى وهو رجلٌ صالحٌ كريمٌ مع من يفد إليه ، توفي سنة(643 هـ /1245م) وخلفه في رسم هذه الزاوية أبناؤه من بعده ، وهم أناس صالحون سكنوا تلك الزاوية رحمة للمجتازين بهم ،فكانوا يزودونهم بكل ما يحتاجون إليه من زاد وأمن ويعوضونهم كل ما يسلبه منهم الاعراب[27] .

والدليل على ذلك ما قاله التجاني عند وصوله للزاوية : ((ولما نزلنا بمقربة من هذه الزاوية وصل إلينا أهلها راغبين في الوصول إلى موضعهم والتحرم بطعامهم فسرنا مع مخدومنا إليهم فأصعدونا إليهم فوجدناهم قد شحنوها بالعدد المتمنة على نحو التحبيس عليها ورأيت هنالك كتباً كثيرةً محبسةً وزرنا بداخلها قبر الشيخ أبي عيسى رحمه الله ، ثم أتوا بطعام محتفل فطعمنا وانتشرنا وبتنا تلك الليلة بمقربة منها)) [28] .
وقد بلغت هذه الزاوية حداً كبيراً فيما بلغته من الكتب بسبب ما أغدقه عليها أهل الصلاح من أوقاف وأموال وأسلحة ثمينة [29].
وحسب التجاني فإن زاوية أبي عيسى بالزاوية كانت تحتوي على إمكانيات تمثلت في عدد كبير من الكتب التعليمية ، وكرم ضيافة للغرباء ، فكانت هذه الزاوية تخدم الأهداف التي أُنشأت من أجلها.
2- زاوية أولاد سنان * :
اجتازها التجاني في رحلته بعد زاوية أولاد سهيل ، التي تقع غربيها بحوالي سبعة كيلومترات تقريباً فوجدها أكثر منها مبانٍ وعدد رجال ، وأوسع أرضاً ، وأولاد سنان هم أخوة للوشاحيين والنوائل وترجع هذه الزاوية إلى حكم عبدالله بن ذباب بن أبي العز بن صابر المشهور بالقسوة [30] .
ويبدو أن هذه الزاوية هي التي نسميها الآن الزاوية أو الزاوية الغربية وهي لا تقل في أهميتها عن زاوية أولاد سهيل لما عرف عن أهلها من علم وكثرة خيرات.
من خلال ما أورده التجاني عن الزوايا في طرابلس الغرب يبدو أن الزوايا كان لها في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي دور واهتمام كبيرين ، وتعتبر من المؤسسات الثقافية والعلمية بإقليم طرابلس الغرب وضواحيها وتؤدي رسالة علمية وثقافية بالإضافة إلى رسالتها الاجتماعية ، فكانت مقر لإقامة الغرباء ، وإيواء الفقراء

وتعليمهم من خلال ريع ما يتبرع به الناس من أموال لصالح الزوايا للاستمرار في نشر رسالتها العلمية .

---

* زاوية أولاد سنان : هي التي نسميها الآن الزاوية أو الزاوية الغربية ، وكانت في المئة السادسة الهجرية/الثانية عشر الميلادية ذات شأن وكانت مجمع العرب وسوقهم التي يجلبون إليها أمتعتهم ويجتمعون فيها لبيع وشراء كل ما يحتاجون لبيعه وشرائه .

3- زاوية أبي ماضي:

تقع هذه الزاوية بجبل نفوسة قرب جبل يدعى أبا ماضي ، فنسبت إليه لقربه منها، وقد اختلف في تاريخ إنشائها ومؤسسها على روايتين ، تقول الأولى إنَّ مؤسسها عبدالمولى الصنهاجي ، الذي يقدرون بأنه عاش في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي بعد عودته من أداء فريضة الحج .

أما الرواية الثانية فتقول بإن مؤسسها رجل من سلالة عبدالمولى المذكور ، وهو عبدالنبي الجبالي الأصفر دفين زاوية أبي ماضي ، وهو ابن خليفة بن أحمد بن عبدالحليم بن عبدالمولى الصنهاجي[31] .

ويرجح الباحث الرواية الأولى لاتفاق اسم المنطقة أولاد عبدالمولى التي توجد بها الزاوية ، واسم مؤسسها فلذلك سميت باسم جبل أبي ماضي القريب منها ، ونسبت إلى عبدالمولى الصنهاجي لأن في تلك الأيام كانت الزوايا تسمى بأسماء مؤسسيها غالباً.

كانت هذه الزاوية تدعى بالأزهر الصغير لكثرة روادها المهاجرين إليها من طلبة العلم من مختلف قرى جبل نفوسة وغيرها[32] ، وقد استمر نشاطها منذ تأسيسها حتى أوائل القرن العشرين [33].

4- بالإضافة إلى الزوايا التي تم ذكرها توجد زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري التي أسست في مدينة زليتن في حياة الشيخ عبد السلام الأسمر نفسه سنة (900 هـ / 1494م) والذي تتلمذ على يديه وتأثر به كثير من علماء طرابلس الغرب الذين كان من بينهم ابنه عمران (ت 995هـ/ 1586م) وغيره ، وزاوية الشيخ يوسف الجعراني في مدينة مسلاته ، وزاوية أحمد الزروق بمصراته ، وزاوية المحجوب التي أسسها إبراهيم بن محمد المحجوب المغربي الأصل بمصراته في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر للميلاد وغيرها من الزوايا التعليمية الأخرى التي أنشئت وظهرت بمختلف مدن وقري طرابلس الغرب[34] .

هذه نماذج لبعض الزوايا التي أُقيمت ببعض مدن طرابلس الغرب وقراها ، وكانت تؤدي دوراً تعليمياً وثقافياً أيضاً ، مما جعل بعض الرحالة أمثال التجاني يشيرون إليها بالثناء والشكر على الدور الذي كانت تقوم به، ولعل استمرار هذه المنارات العلمية في عطائها حتى العهد الحديث دليل نجاح ما تقدمه لخدمة المجتمع .

3- المدرسة ودورها التعليمي:

تعريفها ونشأتها :

عرَّفتها قواميس اللُّغة العربية إن لفظة المدرسة مأخوذة من المِدْرَاس والمِدْرَس بكسر الميم وسكون الدال وفتح الراء وهي الموضع الذي يدرس فيه العلم والثقافة[35] ، وجمعهُ مَدَارسُ وهي مكان الدرس والتعليم [36] ، أُنشئت أول مدرسة عند المسلمين في بغداد سنة (459هـ /1066م) وبانتشار المدارس في البلاد العربية والإسلامية وتهيئتها لظروف تعليمية أفضل ، أقبل عليها المدرسون لضمان المرتب المادي للحصول على العيش الكريم، والطلبة لإمكانياتها في التعليم، والمسكن ، والغذاء للتفرغ للعلم[37].

ثم انتشرت المدارس بالمشرق الإسلامي ، وكثر عددها ، وتنوعت تخصصاتها وكانت هذه المدارس تخدم هدفاً سياسياً للحصول على موظفين وتوجيه سياسة الدولة أولاً ثم تعليمياً ثانياً للاستفادة في الدنيا والأخرة[38] .

أما في بلاد المغرب فقد أنشئت بإفريقية أول مدرسة خلال العهد الحفصي سنة (647هـ/1245م)[39]، تبعاً لتطور الحياة التعليمية وكانت نشأتها إلى حد بعيد شبيهة بنشأة المدارس ببلاد المشرق[40].

وكان السبب يعود إلى تخرج المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية في بلاد المغرب والأندلس من المدرسة النظامية بالمشرق ، وأخذه عن مدرسة الغزالي التي شجعته على إنشاء مثيلات لها في بلاد المغرب لبث دعوته الموحدية .

وقد سار الحفصيون الوارثون لدولة الموحدين في إفريقية على نهج اسلافهم في تأسيس المدارس ونشر التعليم بها كمؤسسة حديثة لها منهجها وطرقها التي تختلف عما يتلقاه التلميذ في الكُتَّاب والمسجد والرُّبط والزوايا [41] ، ولعل ذلك يرجع إلى أن المدرسة كانت تهدف إلى تخريج الموظفين والكتبة الذين تحتاجهم إدارة الدولة في قيام وإنجاح توجيه سياستها .

مدارس طرابلس الغرب :

أدت المدرسة منذ إنشائها بطرابلس الغرب دوراً مهماً وفعال في الحركة العلمية ، وذلك بفضل من تولى إدارتها من العلماء الذين حرصوا على تعليم النشء والرفع من مستواهم العلمي ولعل أهم هذه المدارس هي:

1- المدرسة المستنصرية :

بعد أن شهد القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي انتعاشا ثقافياً محدوداً يكاد ينحصر في منطقتي طرابلس الغرب وجبل نفوسة بعد الخمول الثقافي الذي صاحب الهجرات العربية إلى البلاد والفتن والقلاقل التي أحدثها ابن غانيه وقراقوش التقوى كان سببه الاستقرار السياسي بعد دخول طرابلس الغرب وضواحيها في طاعة الدولة الحفصية وأمنهم على حياتهم وانصرافهم إلى الأعمال السلمية ، فقد أنشئت بعض المدارس في هاتين المنطقتين ، ففي طرابلس الغرب كانت المدرسة المستنصرية التي أشاد بذكرها التجاني عند زيارته لها حيث قال ((وبداخل البلد مدارس كثيرة وأحسنها المدرسة المستنصرية التي كان بناؤها على يد الفقيه أبي محمد عبدالحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا رحمه الله تعالى وذلك فيما بين سنة خمس وخمسين إلى سنة ثمان وخمسين وهذه المدرسة من أحسن المدارس وضعاً وأظرفها صنعاً))[42] .

يبدو للباحث أن بناء هذه المدرسة سنة (1257/655م إلى 1259/658م) لأن الأمير الحفصي هو الذي أمر ابن أبي الدنيا ببنائها خلال هذه الفترة الزمنية لأهمية منطقة طرابلس الغرب بإفريقية ، وخاصة أيام الدولة الحفصية باعتبارها المعقل الشرقي للدولة .

وقد امتدح هذه المدرسة كل من زارها من الرحالين وأشادو ا بها أمثال ابن سعيد وابن رُشيد وغيرهما[43] ، والعبدري الذي لم ينل إعجابه بطرابلس الغرب إلا هذه المدرسة وجامعها حيث قال: ((فإن لهما من حسن الصورة نصيباً ومن إتقان الصنعة سهماً مصيباً ، وما رأيت في المغرب مثل مدرستها المذكورة)) [44] ، ولولا أهمية هذه المدرسة لم تنل إعجاب العبدري الذي لم ينل إعجابه إلا الشيء القليل ، والجيد ،وحول هذه المدرسة حديقة حبق حبست حاسة البصر والشم فوصفها أبو الحسن موسى بن سعيد في أبيات شعرية: [45] .

وقد كان بين هذه المدرسة وباب البحر مبنى من المباني القديمة وبين القصبة وهذه المدرسة جامع طرابلس الغرب الكبير ، الذي بناه بنو عبيد [46] .

يتبين مما سبق أن هذه المدرسة من أشهر مدارس طرابلس الغرب الكثيرة وأكبرها وأكثرها طلاباً وأحسنها صورة وإتقان بناء ، وأن شهرتها اقترنت ببانيها ابن أبي الدنيا بتكليف من الأمير الحفصي الثاني بهدف نشر المذهب المالكي بها ، ولذلك يبين لنا التجاني أن المدارس بطرابلس الغرب كثيرة وأنها حظيت بمكانة رفيعة واتصفت بقيمة علمية عظيمة .

2- مدرسة ابن ثابت :

وفي فترة القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي اشتهرت مدرسة أخرى من بين مدارس طرابلس الغرب وهي مدرسة ابن ثابت التي أقام فيها الرحالة الأندلسي أبو الحسن علي القلصادي أثناء زيارته لمدينة طرابلس الغرب سنة (851هـ/1447م) وذكر بأنها مؤسسة علمية متقدمةحيث قال : ((وبلغنا طرابلس في الخامس والعشرين منه (ربيع الثاني/1477م) فنزلنا بها ، تلاقينا مع بعض الأصدقاء والأصحاب ، وحبونا بالبر والإكرام وأقمنا بمدرسة ابن ثابت عدة ليالي وأيام))[47].

أما مدارس جبل نفوسة الكثيرة التي قام بإنشائها أهل الخير والصلاح في الجبل دون الاعتماد على الدولة فهي سابقة للمدارس الحديثة وممثلة لمفهوم أوسع منها في الدراسة والتدريس والوعظ والإرشاد والعلوم لكثرتها نكتفي بذكر أشهرها :

3- مدرسة عمر بن يمكتن :

أسسها عمر بن يمكتن وهي أول مدرسة لتعليم كتاب الله وتفقيه الناس في الدين بـ(أفاطمان) بجبل نفوسة ، وهي قرية من قرى الرحيبات [48] . إحدى قرى جبل نفوسة ، وقد كان بناؤها خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي ، وقد اعتبرها الشماخي أول مدرسة متخصصة في تعليم القرآن الكريم[49].

4- مدرسة أبي يحيى سليمان بن ماطوس :

أبو يحيى من علماء النصف الأول من القرن الرابع الهجري كانت مدرسته من أعظم المدارس شهرة في نشر العلم بالعديد من المناطق ، وقد توافد عليها العديد من الطلاب من مختلف المدن الليبية للحصول على العلم لشهرتها العلمية الفائقة [50] .

5- مدرسة أبي هارون بن يونس الجلالمي :

مؤسسها من أفاضل العلماء الذين كانوا يدرسون العلم ، وكان معاصراً لأبي يحيى سليمان بن ماطوس السالف الذكر ، وكان بهذه المدرسة قسم داخلي للطلاب البعيدين عن المدرسة ، وتكفَّل بالصرف على احتياجات هذه المدرسة أبو هارون المعروف بالصلاح وحب الفقراء وأبناء السبيل ومساعدتهم[51]. وقد كان من علماء القرن الرابع

الهجري/العشر الميلادي[52]. بمدرسته درس العلامة أبو الربيع بن سليمان بن هارون اللاواتي وأبو هارون، وقد تخرج على يديهم من العلماء الأفذاذ أبو محمد خصيب بن إبراهيم التمصمصي وغيرهم من العلماء الأعلام [53] .

يبدو للباحث أن كثرة المدارس في جبل نفوسة مردها إلى كثرة أهل الخير والصلاح لبذلهم الأموال في سبيل إنشائها وتوفير الراحة والأمن والاستقرار لطالبي العلم بالمدارس .

6- مدرسة أبي يحيى بن سليمان الباروني :

أسسها أبو يحيى الذي كان في سعة من العيش مكنته من أن يفيد جميع جبل نفوسة بماله والذي كان ينفق منه الكثير على الأقسام الداخلية بمدرسته ، التي بلغ عدد طلابها ما بين الخمسين والمائة [54].

7- مدرسة أبي المنيب محمد بن يانس:

مؤسس هذه المدرسة من العلماء الذين لهم باع في العلم وهو من أبناء القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، شيد هذه المدرسة وسبعة مساجد أخرى .

تعتبر هذه المدرسة من أعظم المدارس أثراً وأطولها امتداداً مع الزمن فامتدت أنوارها إلى القرن (11هـ / 17م) ، وجعلت لها فروعاً مختلفة في القرى والمدن بجبل نفوسة ، وقد كان للجيل الذي أنشأه مؤسس هذه المدرسة أبو المنيب أثرٌ امتد مع الزمن حتى الاحتلال التركي لطرابلس الغرب[55] ، ويبدو للباحث أن هذه المدرسة معاصرة لمدارس العهد الحفصي الكثيرة لتشجيع أمراء الدولةالحفصية للعلم ومؤسساته ورجاله .

8- مدرسة امسين [56] :

كانت هذه المدرسة لتعليم البنات وبها قسم داخلي تأوي إليه الفتيات البعيدات عن المدرسة ، وقسم خارجي يحضرن إليه البنات القريبات من المدرسة لتلقي العلم ثم يرجعن إلى أهلهن[57] تحت إشراف مربية قديرة هي (أم يحيى أبي ميمون) فيجدن فيه الأمن والغذاء والتربية والعلم والراحة[58] .

9- مدرسة أبي محمد خصيب بن إبراهيم :

أنشأ هذه المدرسة أبو محمد بن إبراهيم التمصمصي في قريته بعد أن تلقى المبادئ الأولى من دراسته بقريته ثم التحق بمدرسة أبي يحيى الفرسطائي وأبي الربيع سليمان بن هارون اللاواتي التي تخرج منها علماء من أعلام الإسلام ، وبعد تخرجه رجع إلى بلده تمصمص فأسس مدرسته الشهيرة التي تخرج منها أشهر العلماء وهي المدرسة التي درست فيها العالمة الفاضلة أم ماطوس الممثلة للنساء في المجالس العلمية التي يعقدها المشايخ للمناقشة والدراسة في المساجد والمدارس بجبل نفوسة [59].

ويبدو إن الدراسة في هذه المدرسة مختلطة حيث تدرس فيها الفتاة إلى جانب الفتى وكانت أم ماطوس التي تعتبر أحد أعلام الجبل من النساء أول فتاة ليبية تدرس في مدرسة فتيان يومياً تأتي من قريتها وترجع إلى بيتها حرصاً منها على الحصول على العلم[60] .

10- مدرسة أبي عثمان سعد بن يونس الطمزيني :

درس مؤسسها (بتاهرت) بالجزائر على يد الإمام عبدالوهاب بن عبدالرحمن ، وتم اختياره إماماً بولاية قنطرارة (تيجي) اليوم ، وكان متصفاً بالدين والاستقامة .

أسس مدرسته بطمزين بجبل نفوسة ، والتي تميزت بنشر العلم والثقافة والخلق والدين حتى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، ولا زال بناء هذه المدرسة حتى اليوم قائماً ، ولها فرع بتيجي لا زالت أطلاله موجودة أيضاً[61] .

11- مدرسة عامر بن علي الشماخي :

أُسست هذه المدرسة في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، على يد عامر بن علي الشماخي ، بعد أن أكمل دراسته بمساجد ومدارس العلم ببلاده ورجع إلى جبل نفوسة فأسس مدرسته بيفرن ، ودرس بها ، وقام بتكليف زملائه من أهل العلم وطلابه الكبار في السن بالتدريس بها، ولازالت بقايا هذه المدرسة موجودة حتى الآنبيفرن[62] .

وكان مؤسس هذه المدرسة شديد الحرص على العلم وإنجاح رسالته ، فقد انتقل من يفرن إلى مزغورة لإصلاح العلم بها ، وبـ (متيون)بالرحيبات كذلك ، ورجع إلى يفرن بعد ذلك ، وبقى بها حتى وفاته رحمه الله [63].

12 – مدرسة أبي موسى عيسى بن عيسى الطرميسي :

أنشأ مدرسته بين جادو وطرميسة لتدريس العلم ، وقد خرَّجت عدداً كبيراً من الأعلام ، وكانت تقع متوسطة بين عدد من القرى ويأتيها الطلبة الذين يقيمون في أقسامها الداخلية التي أعدتها لهم المدرسة ، فقد كانت تبعث إليها الأموال من مختلف الجهات للإنفاق منها على طلاب المدرسة [64] .

وكان من النادر في ذلك الوقت ممن ينسب إلى العلم ألاّ يقرأ في هذه المدرسة لشهرتها ، وتفرغ مؤسسها للتدريس بمدرسته وخرَّجت عدداً كبيراً من العلماء ، وأشهرهم أبو طاهر إسماعيل الجيطالي ، وعامر بن علي الشماخي[65] .

13- مدرسة أبي زيد المزغورتي :

عندما استقرت مدرسة الطرميسي تركها لبعض طلابه يتولى أمورها ، وانتقل إلى المدرسة المشهورة التي أسسها أبو زيد المزغورتي لأنه شعر بأن أمر التعليم في هذه المدرسة بدأ يتدهور ، وقام بهذه الرسالة في هذه المدرسة حتى انتعشت فيها حركة التعليم من جديد ، مثلما كانت أيام مؤسسها أبو زيد المزغورتي العلامة المشهور ، وقد بقي بها حتى وفاته سنة(720 هـ / 1320م)[66] .

إن انتقال الطرميسي من مدرسته إلى مدرسة المزغورتي يبين لنا حرصه الشديد على نشر التعليم والاهتمام بمؤسساته ، وهذا ليس بغريب على إنسان انقطع للتعليم ، ووهب كل حياته له حتى أنه لم يتزوج .

كانت جميع هذه المدارس تهتم بالثقافة والسلوك لتربية النشء وتدريب الطلبة وتشجيعهم على التأليف والتصنيف ، والمثال على ذلك مدرسة الطرميسي التي قل أن يوجد بين طلابها من لم يشتغل بالتأليف ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الفيلسوف أبو طاهر إسماعيل الجيطالي(ت 750ه/1349م) ، صاحب كتاب قناطر الخيرات ، وأبو ساكن عامر بن علي الشماخي (ت 752ه/1390م) الذي كان مرجعاً للفتيا في زمنه [67] .

ولم تكن المدارس للبنين فقط بل كانت للبنات كذلك ، مثل مدرسة أمسين وغيرها[68] .

بالإضافة إلى هذه المدارس التي تم ذكرها بجبل نفوسة ظهر عدد من الوعاظ والمعلمين لم يقتصر نشاطهم على التعليم بالمدارس بل تعداه إلى تربية الأهالي وتثقيفهم ، وقد ذكر علي يحيى معمر خمسة وعشرين من هؤلاء بأسمائهم [69] .

وخلاصة القول لقد كانت هذه المدارس بطرابلس الغرب وجبل نفوسة المشار إليها تؤدي دوراً ومهماً خلال فترة الدراسة، لنشر الثقافة والعلم بين الناس ، بتدريس العلوم وخاصة علوم الدين واللُّغة العربية ، وقد كان القائمون بتمويلها والتدريس بها يبذلون قصارى جهدهم وإمكانياتهم ، لتوفير المناخ التعليمي الجيد لتعليم طلابهم وطالباتهم على السواء ، ولم يكتفوا بهذا بل ألحقوا أقساماً داخلية بهذه المدارس لإيواء الطلاب والطالبات الذين لم يتمكنوا من العودة إلى أهاليهم لبعد المسافة بين مقر سكناهم و المدارس رغم بدائية طريقة التعليم ووسائلها في ذلك الزمن ورغم بساطة وسائل تعليمها واقتصارها على الألواح المصنوعة من الخشب والحبر الطيني ، والأقلام المصنوعة من القصبة ، إلا أنها كانت لها نتائج جيدة .

4- المكتبة (خزانة الكتب) :

منذ القدم حرص الناس على الاحتفاظ بما دونوه من أخبار وأعمال و علوم ، وأطلق على المكان الذي يحتفظون فيه بالمحفوظات اسم خزانة الكتب أو المكتبة ، أمَّا خزائن الكتب والمكتبات عند المسلمين فتحتوي على ما دونه المسلمون من كتب دينية جمعت المصاحف والأشعار والأخبار ، والأمثال مكتوبة على الرقوق والجلود ونحوها .

كانت خزائن الكتب من الدعامات المساعدة على نشر العلم والثقافة في مختلف البلدان لاحتوائها للكتب والمحافظة عليها ، لمطالعتها والاستفادة منها لقيمتها العلمية الثمينة عبر العصور ، ولذلك نجد أن الأمراء عملوا على جمع أكبر عدد ممكن من الكتب ، والمؤلفات النادرة ، في جميع العلوم .

وبلاد المغرب كانت حريصة مثل غيرها من بلاد الإسلام عبر تاريخها الطويل على جمع الكتب، وخزنها في خزائن المساجد أولاً ، ثم الرباطات ، والزوايا ، والمدارس ، وقصور الأمراء ، وبيوت العلماء ، والمهتمين بجمع الكتب للاستفادة من علومها[70] .

وقد كان بجامع عقبة بإفريقية أثناء العهد الحفصي بالقرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي مكتبة للكتب بها مصاحف كثيرة بخط مشرقي ، ومنها ما كتب بالذهب ، وفيها كذلك كتب قديمة التاريخ محبسة منذ عهد سحنون ، وقبله ، ومنها مُوطأ ابن القاسم وغيره وبها مصحف كامل مضموم بين لوحين مجلدين غير منقوط ولا مشكول خطه مشرقي جيد واضح طوله شبران ونصف في عرض شبر ونصف ، ويقال عن هذا المصحف إنه هو الذي بعثه الخليفة عثمان بن عفان-رضي الله عنه- إلى بلاد المغرب وهو بخط عبدالله بن عمر رضي الله عنهما [71] .

أما المكتبات في العهد الحفصي خلال القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي فقد حوت مخطوطات كثيرة وكتب الخواص ، وكانت هذه المكتبات توجد في المساجد والرُّبطوالزوايا و المدارس وكان لها دور تعليمي وثقافي مهم لمساعدتها ومساهمتها في نشر الثقافة والعلم بين الناس ، في المدن والقرى والصحاري لوجود عدد كبير منها في المؤسسات العلمية البعيدة عن المدن الكبرى ، مثل زاوية أولاد سهيل بالقرب من صرمان وغيرها بطرابلس الغرب وجبل نفوسة [72] .

وبجبل نفوسة توجد أعظم خزانة للكتب بمدينة شروس عاصمة جبل نفوسة تضم آلاف الكتب تعرف بخزانة جبل نفوسة ، فكان لهذه الخزانة الدور الأكبر لتغذية المؤسسات

العلمية جميعاً بالكتب، بالإضافة إلى أنها مركزٌ يلتقي فيه أصحاب العلم والمعرفة ، لذلك نجد أن هذه الخزانة قد اسهمت إلى جانب دور العلم المختلفة بجبل نفوسة في تكوين العديد من العلماء المؤهلين عبر التاريخ الطويل ، ليس على الصعيد الداخلي بجبل نفوسة فقط بل تعدته إلى جنوب الصحراء في تأليف الكتب وتدريس العلوم المختلفة[73].

ومن المكتبات بجبل نفوسه مكتبة أبي موسي عيسى الطرميسي التي كونها هذا العالم الذي وهب كل حياته وجهده للعلم وطالبه ، وتعتبر مَكْتَبَتُهُ من المكتبات الكبيرة في جبل نفوسة ، وقد أوصي أبو موسي الطرميسي على أن تكون مكتبته وقفاً على طلبة العلم ، فكانت زاداً لأصحاب المؤلفات الضخمة من علماء الإسلام أمثال عامر الشماخيبيفرن ، وإسماعيل الجيطاليبجادو[74].

وخلاصة القول:قد أسست مكتبات تضم مخطوطات قيمة في المساجد والرُّبط والزوايا والمدارس ، وكان إثراء هذه المكتبات والمحافظة عليها يتمثل في خزائن الكتب ، التي أسسها الأمراء في قصورهم ، في أول الأمر، ثم في الجامع الأعظم (جامع الزيتونة) بتونس ثانياً ، وما قام به أهل الخير والصلاح من إنشاء للمكتبات والعمل على دعمها والمحافظة عليها عبر الزمن اقتداء بأمرائهم وأهل الخير والصلاح منهم في جمع الكتب والحرص عليها لتعم فائدتها بين الناس .

5- منازل العلماء :

اعتبر المسلمون المنازل مكاناً غير صالح للعلم ، لافتقارها للراحة والهدوء ، لأنَّها مكانٌ للسكن ، ولكن الحاجة في بعض الأحيان هي التي دعت إلى اتخاذها مكاناً للعلم، فقد اتخذ الرسول -ﷺ- قبل إنشاء المساجد من دار الأرقم بن أبي الأرقم مركزاً يلتقي فيه مع أصحابه ليعلمهم مبادئ الدين الجديد ، بعيداً عن سمع ونظر مشركي قريش ، وقد أتخذ كذلك الرسول - ﷺ- من منزله مكاناً يعلم فيه المسلمين.

اتخذت المنازل للعلم في بعض الأحيان اقتداء بالنبي - ﷺ- ، في بلاد المغرب وإفريقية لذلك نجد أن بعض العلماء فتحوا منازلهم بإفريقية خلال العهد الحفصي في القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي للتعليم والمناظرة وطرح المسائل التعليمية المختلفة ، حتى أصبحت تلك المنازل معروفة للدارسين ، وطلاب العلم بإفريقية وللوافدين عليها من مختلف البلدان[75].

وقد ارتبطت الحلقات الدراسية التي تعقدها في منازل العلماء في مشرق الوطن العربي ومغربه ، لها ميزة بالنسبة للشيوخ أنفسهم ، وهي ضمان لعدم التعارض بين وقت العلم والصلاة خاصة ، وأن بعض الشيوخ يتخذ مكان خلوته في منزله فكان يفضل أن يكون التلاميذ بالقرب منه للإشراف عليهم إذا فرغ من خلوته وينصرف إليها إذا فرغ من التدريس.

وفي هذه الحالة كما يقال يتمكن الشيخ من ضرب عصفورين بحجر واحد وهو العمل للدنيا والآخرة ، ويتمثل ذلك في خلوته وعبادته وعمله في التدريس بمنزله .

وقد حفظت لنا الرحلات المغربية صوراً لتلك الحلقات في منازل العلماء ، ومن ذلك ما ذكره لنا ابن رُشيد في رحلته التي التقى فيها بالعديد من العلماء الذين كان من بينهم العالم ابن زيتون في تونس، فقد كان يدرس في سقيفة منزله ، بعد إغلاق الباب الذي بينه وبين المنزل لكي لا يخرج من المنزل أحد طيلة مدة جلوسه للدرس ، ولا يسمع في الدار صوت

أحد ،وذلك توقيراً للعلم وهيبة للعلماء ، وكانت هذه الدار تعج بالطلاب من ضحى النهار إلى زواله ، وربما كان ابن زيتون يجلس للتدريس مرة أخرى بين الظهر والعصر .
وقد اتصف هذا العالم برحابة الصدر وعدم رد السائل والمستغيث ، وقد كان إذا تكلم الطلبة بين يديه وطال نزاعهم يشير بيده ويقول : صه فيهدأ الطلاب وكأنما على رؤوسهم الطير [76].

وكان ابن زيتون هذا من أشهر الجماعة الذين رحلوا إلى المشرق مرتين ، الأولى سنة (648 هـ /1250م) ، والثانية سنة (656 هـ /1258 م) ، واتصل في رحلته بأشهر علماء المشرق، وتؤكد المصادر أنه أول من أظهر مؤلفات الفخر الرازي الأصولية بمدينة تونس ، وتردد العلماء على بيته ، وكانت له مجالسة بالمدرسة الشماعية أيضاً ، لعلو منزلته العلمية لدرجة أنه لم يتأخر عن مجالسه أحد من طلبة العاصمة تونس خلال العهد الحفصي [77] .

وهكذا أسهمت منازل العلماء في نشر العلم والثقافة والعلوم السائدة في المجتمع الإسلامي عموماً والمغاربي على وجه الخصوص ، في شكل حلقات متصلة ومستمرة بإفريقية ، أثناء العهد الحفصي في القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، بفتح منازل العلماء للتدريس في إفريقية والتي تعتبر طرابلس الغرب المعقل الشرقي لها ، وفق مذهب مالك الذي أحياه الحفصيون من جديد بعد أن حوصر من الموحدين .

6- المجالس العلمية :

أمَّا المجالس العلمية في طرابلس الغرب وجبل نفوسة ، فكانت تعد من الوسائط التعليمية والثقافية إضافة إلى وسائط الكتاتيب والمساجد والمكتبات والرحلات العلمية لمن تسمح لهم ظروفهم وإمكانياتهم المادية للسفر للمراكز الحضارية الإسلامية المعروفة وقت ذاك ، وكانت تلك المجالس العلمية مفتوحة أمام الجنسين ذكوراً وإناثاً وكان للنساء مشاركة في المجالس العلمية إلى جانب الرجال وليس هذا فحسب بل أن المرأة كثيراً ما تشارك بآرائها وأفكارها.

وكانت بعض المجالس العلمية تعقد من أجل المناظرات والمحاورات العلمية والكلامية خاصة.

وقد برزت الحلقات والمجالس العلمية في المنطقة ، وأثَّرت بشكل كبير في الحياة الفكرية ، وتنوعت، واختلفت المناطق التي تعقد فيها تلك الحلقات والمجالس ، فتارة تكون في المساجد والمدارس وتارة أخري تعقد في منازل العلماء والمشايخ وحتى في الساحات العامة والغابات وكان يقصدها كل من يرغب فيها دون قيد [78] ، ولحاجة الناس إلى هذه المجالس العلمية ولدروس الوعظ والإرشاد فيها ، كانوا ينقلون إليها المشايخ الكبار محمولين ، ولا تزال إلى اليوم أخبارهم تتناقلها ألسنة العامة عن أولئك المشايخ الذين ينقلون من مسجد إلى مسجد آخر وإن كانوا لا يعرفون الشيخ ولا العهد الذي عاش فيه [79].

وإن بعض الحلقات العلمية يتجول بها شيوخها بصحبة طلابهم في مختلف مدن وقرى جبل نفوسة بالإضافة إلى المجالس العلمية [80].

الخلاصة :

تلك هي صورة عن المؤسسات العلمية ودورها في طرابلس الغرب في القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، تناولت نشر العلم والثقافة خلال

العهد الحفصي متمثلة في الرُّبط التي ظلت لا تختلف في مفهومها كمؤسسات تعليمية في بلاد المغرب وإفريقية وطرابلس الغرب عن المساجد والمدارس بالإضافة إلى كونها جبهة بحرية على طول السواحل من سبتة إلى الإسكندرية ، وقد كان رجال الرُّبط العلماء لا يألون جهداً في تشجيع الناس على العلم كباراً وصغاراً في زمن الموحدين،ولذلك أصبحت الرُّبط في جميع بلاد المغرب وإفريقية تشع بنور العلم والإيمان ، ورجال العلم الذين قدموا العلم لقاصديهم وشجعوهم كباراً وصغاراً مما عمل على نشر العلم في طرابلس الغرب أثناء العهد الحفصي في القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، الذي كان وارثاً للموحدين في بلاد المغرب وإفريقية .

أما الزوايا التي انتشرت بانتشار الرُّبط ، والتي أتاحت لطلاب العلم التفرغ للدراسة لعدم انشغالهم بأمور الحياة الضرورية ، لقيام الزاوية بها نيابة عنهم ، فتفرغوا لتعليم القرآن الكريم وعلومه واتباع الطرق الصوفية المختلقة ، والعاملة على نشر التعليم الديني (التعليم الطرقي) ، وكانت كثيرة ومنتشرة في طرابلس الغرب وأولاها أمراء بني حفص عنايتهم أيضاً ، واعتبرت من المؤسسات العلمية والثقافية بطرابلس الغرب وضواحيها ، ومقر لإقامة الغرباء ، وإيواء الفقراء ، وتعليمهم من خلال ريع ما يتبرع به الناس من أموال لصالح الزوايا للاستمرار في نشر رسالتها العلمية والاجتماعية .

أما المدارس فكانت منتشرة في طرابلس الغرب بعد انتشارها في المشرق ، ولقد كان لها دورها الكبير والمميز للنهوض بالثقافة والعلم وخدمة الدولة نفسها ؛ ولذلك أولاها أمراء وأميرات الحفصيين ورجال الصلاح عناية فائقة وزودوها بأقسام داخلية كثيرة للبنيين والبنات ، فقامت بمهمتها أحسن قيام، مما صبغ التعليم فيها بصبغة أكاديمية اختلفت عما كانت عليه من قبل .

أما المكتبة فقد انتشرت في بلاد المغرب عامة وإفريقية على وجه الخصوص ، وازدادت زخماً في العهد الحفصي، وذلك بانتشار المكتبات في طرابلس الغرب بالمساجد والرُّبط والزوايا والمدارس ، وقصور الأمراء الحفصيين ، وكانت المكتبة تضم مخطوطات قيمة وخاصة في المدن الكبرى ، وكان لها دورٌ كبيرٌ في المساهمة في نشر الثقافة العربية الإسلامية والمساعدة على نشر العلم بين أفراد المجتمع بالإضافة إلى أنها ساهمت في المحافظة على تراث الثقافة العربية الإسلامية وانتشاره .

أما منازل العلماء فقد اتخذها المسلمون قبل انتشار المساجد للتعليم اقتداء بالرسول محمد ـ ﷺ ـ ، لذلك نجد بعض علماء إفريقية قد فتحوا منازلهم أثناء العهد الحفصي وقبله للتعليم والمناظرة وطرح الأسئلة العلمية ، حتى عرفت بالتدريس وطلب العلم فوفد إليها الناس من كل حدب وصوب والدليل ما ذكره لنا ابن رُشيد السبتي الذي قام برحلته سنة(685 هـ / 1286م)، والتقى خلالها بالعديد من العلماء ، ومن بينهم ابن زيتون في تونس الذي كان يعلم في سقيفة منزله بعد إغلاق الباب الذي بينه وبين المنزل ، وبذلك تكون قد ساهمت منازل العلماء بإفريقية أثناء العهد الحفصي في نشر التعليم والثقافة والعلوم السائدة في ذلك الوقت بالمجتمع الإسلامي عموماً والمغاربي بصورة خاصة.

أما المجالس العلمية ، فكانت لا تقل أهمية عن وسائط التعليم والثقافة الأخرى لمن لا تسمح لهم ظروفهم وإمكانياتهم للسفر للمراكز الثقافية لفتحها أمام الجنسين ذكوراً وإناثاً .

وهكذا كانتالرُّبط والزوايا والمدارس والمكتبات ومنازل العلماء والمجالس العلمية في طرابلس الغرب منارة للعلم وقبلة للعلماء طيلة العهد الحفصي في القرن السابع والثامن

الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، فازدهرت العلوم وتخرج عدد غير قليل من العلماء في طرابلس الغرب كان لهم دور علمي في إثراء الثقافة والحياة العلمية وأثر كبير في التواصل العلمي والثقافي بين طرابلس الغرب المعقل الشرقي للدولة الحفصية وتونس قاعدة الحكم الحفصي.

الهوامش:

(1) ابن منظور : لسان العرب ، م2، ص 1108. الزاوي ، مختار القاموس ، ص 236 .

(2) الإدريسي : نزهة المشتاق في إختراق الأفاق ، جـ1 ، ص 64-65. التليسي ، بشير : الإتجهات الثقافية في بلاد المغرب خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، جـ 2، ص 391 .

(3) مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأنصار ، ص 120. التليسي ، بشير : مرجع سابق ،
جـ 2، ص 392

(4) كحالة ، عمر رضا : دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية (الملاحة – الفتوة – الفروسية –
التربية والتعليم – التجارة – البريد – المواصلات البحرية والنهرية) ، ص77 .

(5) الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 64-65. التليسي ، بشير : مرجع سابق ، جـ 2، ص 392 -393 . شعيرة ، محمد الهادي: الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية ، ليبيا في التاريخ ، ص 236 -238 -239 – 240 .

(6) شعيرة ، محمد الهادي : مرجع سابق ، ص242-243 .

(7) البكري : كتاب المسالك والممالك ، جـ 2 ، ص 653 .

(8) الحوات ، علي : نشأت وتطور التعليم العالي في الجماهيرية ، ص 302 .

(9) الأسمر ، عبدالسلام بن عثمان بن عزالدين بن عبدالوهاب بن عبدالسلام الفيتوري الطرابلسي :
الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من مزارات ، ص22-116 .

(10) الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص67. التليسي ، بشير : مرجع سابق ، جـ 2 ، 395 .

(11) الإدريسي: مصدر سابق، جـ1، ص97. التليسي، بشير: مرجع سابق، جـ 2، ص395-396.

(12) ابن ناجي والدباغ: معلم الإيمان في معرفة أهل القيروان، جـ2، ص 255 . التليسي، بشير:
مرجع سابق ، جـ 2 ، ص 397 .

(13) شعيرة ، محمد عبد الهادي : مرجع سابق ، ص 240 .

(14) البكري / المسالك والممالك ، جـ2، ص 642. التليسي ، بشير : مرجع سابق ، جـ 2،
ص 398 . القابسي ،نجاح : المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي ، ص 15 .

(15) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 75. التليسي ، بشير : مرجع سابق ، جـ 2، ص 399 .

(16) ابن حوقل : مصدر سابق ، ص75. التليسي ، بشير : مرجع سابق ، جـ 2 ، ص 399 .

(17) المالكي ، أبو بكر عبد الله : كتاب رياض النفوس ، جـ2، ص126 القابسي ، نجاح : لمحات
حول الحياة الثقافية في طرابلس الغرب، ص 212. التليسي، بشير: مرجع سابق، جـ 2، ص 400.
(18)القابسي ، نجاح: المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي ، ص 16 -17 .
(19) ابن أبي الضياف، أحمد: أتحاف أهل الزمان بأجبار ملوك تونس وعهد الأمان، جـ 1،
ص 231 .
(20) الزاوي : مختار القاموس ، ص 238 .
(21)القابسي ، نجاح : المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي ، ص 17-18 .
(22) العربي ، مصطفى الصادق : مجلة تراث الشعب ، ص42 .
(23) كحالة ، عمر رضا : مرجع سابق ، ص80 .
(24) المرجع نفسه ، ص 19 .
(25) التجاني : الرحلة ، ص 212- 214. القابسي ، نجاح : المعاهد والمؤسسات التعليمية في
المغرب العربي ، ص 19 .
(26) التجاني ، مصدر سابق ، ص 212. الأنصاري ، أحمد النائب : نفحات النسرين والريحان
فيمن كان بطرابلس الغرب من الأعيان ، ص 197 .
(27) التجاني: مصدر سابق، ص 212-213. الأنصاري: نفحات النسرين والريحان فيمن كان
بطرابلس الغرب من الأعيان، ص 195- 196). الزاوي: معجم البلدان الليبية، ص 156 – 157 – 158).
(28) التجاني : مصدر سابق ، ص 213 .
(29)التجاني : مصدر سابق ، ص 213 . القابسي ، نجاح : المعاهد والمؤسسات التعليمية في
المغرب العربي ، ص 19.
(30) التجاني : مصدر سابق ، ص 214 . الأنصاري : نفحات النسرين والريحان فيمن كان
بطرابلس الغرب من الأعيان ، ص 196.
(31) الأزهري : كناش مخطوط ، ص 16. الهرامة ، عبد الحميد: الحياة العلمية بالجبل الغربي في
النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ص (107-108) . الزاوي :
معجم البلدان الليبية ، ص 160-161.
رحومه ، علي محمد : زاوية أبي ماضي ، ص 123- 124-125.
(32) الهرامة ، عبد الحميد عبد الله : مرجع سابق ، ص 108 .
(33) المرجع نفسه ، ص 108 -109. .
(34) الشيباني ، عمر محمد التومي : تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا ، ص 194- 202.

(35) ابن منظور: مصدر سابق ،مج2 ،ص 968 . مصطفى ، إبراهيم وآخرون : المعجم الوسيط
،جـ 1 ، ص279.
(36) مصطفى ، إبراهيم وآخرون : مرجع سابق ، جـ 1 ، ص279 .
(37)المعموري ، الطاهر : جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي ، ص 79 .
(38)القابسي ، نجاح : المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي ، ص 20 .
(39)التوزري ، إبراهيم العبيدي : تاريخ التربية بتونس ، جـ 1 ، ص 97.
(40)القابسي ، نجاح : المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي ، ص 20 .
(41)المعموري ، الطاهر : مرجع سابق ، ص 80 .
(42) التجاني : مصدر سابق ، ص 251-252 .
(43) المصدر نفسه، ص 252. القابسي، نجاح: المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي،
ص 22 .
(44)العبدري : الرحلة ، ص 77 .
(45) يا حّبذا نسمة هبَّتْ لِنَاشِقِها غبّ الكرى سَحَرا من روضة الحَبقِ
حُسنها عندما هبّت وقد نعشت بيلّة من نداها روح منتشقِ
قرنفل الهند قد وافى التجار بــه محافظين على نشر لــه عبقِ
فعندما فضّه الداويُّ ذكّــرني بطيبــه طيب قرَّ لي أنـقِ
بتونس أنسّ الرحمن ساحــتها وسُقيت أبدا بالعارضِ الغـدقِ
ولا أموت إلى أن التقـي حمـراً للحسن مطلعـه مـن ذلك الأُفقِ
التجاني : مصدر سابق ، ص 252 . المصراتي ، علي مصطفى : أعلام منَ طرابلس الغرب ،
ص 78 . الزاوي : معجم البلدان ، ص 304 .
(46) التجاني : مصدر سابق ، ص 252-253 .
(47) القلصادي ، أبو الحسن علي الأندلسي : رحلة القلصادي ، ص124. حامد ، سعيد علي:
مدارس مدينة طرابلس الغرب منذ الفتح العربي حتي سنة 1911م، ص 53.
(48)معمر ، علي يحي ، الأباضية في موكب التاريخ ، ق 2 ، ص 57. البرغوثي : تاريخ ليبيا
الإسلامي ، ص 491.
(49) الشماخي: السير ، جـ2 ، ص 198. الدالي ، الهادي المبروك : مملكة مالي الإسلامية ،ص 164 . عمر ، أحمد مختار : النشاط الثقافي في ليبيا ، ص 116 .
(50) الدالي، الهادي المبروك: مرجع سابق، ص 165. عمر، أحمد مختار: مرجع سابق، ص 116.
(51) البغطوري، مقرين النفوسي: سيرة أهل نفوسه ، ص16-20 . الدالي ، الهادي المبروك : مرجع
سابق ، 165.
(52)عمر ، أحمد مختار : مرجع سابق ، ص 116.
(53)معمر ، علي يحيى : مرجع سابق ، ق 2 ، ص 64 .

(54)عمر ، أحمد مختار : مرجع سابق ، ص 116. الدالي ، الهادي المبروك : مرجع سابق ، 165.
(55)البغطوري: مصدر سابق، ص 86-87. معمر، علي يحيى: مرجع سابق، ق2، ص 64-65.
عمر، أحمد مختار: مرجع سابق، ص 116. الدالي، الهادي المبروك: مرجع سابق، ص 165 .
(56)يرى الباحث أن هذا الاسم ربما يكون اسم امرأة مشهورة بالجبل أو مؤسسة للمدرسة ، والاحتمال الأخير أرجح لأنَّ المدارس في أغلب الأحيان تنسب لمؤسسيها .
(57) معمر، علي يحيى: مرجع سابق، ق2، ص 58 . الدالي ، الهادي المبروك: مرجع سابق ،
ص 166 . عمر ، أحمد مختار: مرجع سابق ، ص 117 .
(58) معمر ، علي يحيى: مرجع سابق ، ق2 ، ص 58 .
(59)الشماخي : السير ، ص8-11-12. معمر ، علي يحي : مرجع سابق ، ق2، ص 85 .
(60) عمر ، أحمد مختار : مرجع سابق ، ص 117 .
(61)الشماخي : السير ، جـ 2 ، ص198 . معمر ، علي يحيى: مرجع سابق ، ق2 ، ص65 .
(62)الشماخي: كتاب الإيضاح ، ط2 ، 1390 هـ / 1970م ، جـ1 ، ص و . الدالي ، الهادي المبروك : مرجع سابق ، ص 166 .
(63)الشماخي: السير، جـ 2، ص 198. معمر، علي يحيى: مرجع سابق، ق 2، ص 115.
(64) معمر ، علي يحيى ، مرجع سابق ، ق2 ، ص103 . البوجديدي ، محمد سعيد: لمحات عن
الحياة الثقافية في الجبل ، ص 109-110.
(65)الشماخي: السير، جـ2، ص195-198. معمر، علي يحيى: مرجع سابق، ق2، ص 106.
البوجديدي ، محمد سعيد : مرجع سابق ، ص110.
(66) معمر ، علي يحيى: مرجع سابق ، ق2 ، ص 104 .
(67)الشماخي : السير ، جـ 2 ، ص 195-198 . معمر ، علي يحيى : مرجع سابق ، ق2 ،
ص 68 – 69 .
(68) معمر ، علي يحي : مرجع سابق ، ق2 ، ص 58 .
(69)الشماخي : السير ، جـ 2 ، ص 227-228 . معمر ، علي يحيى : مرجع سابق ، ق2 ،
ص 66 – 67 .
(70) زيدان ، جرجي :تاريخ التمدن الإسلامي ، جـ3 ، ص227.
التليسي ، بشير : مرجع سابق ، جـ 2 ، ص 386 -387 – 388 .
(71)العبدري : مصدر سابق ، ص 65 . السراج ، الوزير : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ،
مج 1 ، ص 247 – 248 .
(72) التجاني : مصدر سابق ، ص 213 .

(73) الدالي، الهادي المبروك: مرجع سابق، ص 167. عمر، أحمد مختار: مرجع سابق، ص 111.
البوجديدي ، محمد سعيد: مرجع سابق، ص .114
(74)الشماخي : السير ، جـ 2 ، ص 193. البوجديدي ، محمد سعيد: مرجع سابق، ص 114.
(75) ابن عذاري، البيان: جـ1، ص 162. التليسي، بشير: مرجع سابق، جـ 2، ص 400 -401.
(76) نجاح القابسي : المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي ، ص 25-26 .
(77)المعموري ، الطاهر : مرجع سابق ، ص 8 .
(78)البغطوري: مصدر سابق، ص 84.كوردي، محمود حسين: الحياة العلمية في جبل نفوسة،
ص107-108.
(79) البغطوري : مصدر سابق ، ص 108-109.معمر ، علي يحي: مرجع سابق، ق2، ص78.
(80)البغطوري : مصدر سابق ، ص 10-17. كوردي ، محمود حسين: مرجع سابق ، ص70.

المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات :

1 –الأزهري : كناش الأزهري ، مخطوط ، مكتبة حسن عبد الله عمر البوسيفي.
2 - البغطوري، مقرين بن محمد: القرن السادس الهجري، كتاب سيرة أهل نفوسة،1. 922 ن 434،
مخطوط، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

ثانياً : المصادر العربية :

1- الإدريسي:(ت564هـ) نزهةالمشتاق في اختراق الآفاق، جـ 1 .
To pdf : www.al- mostafa.com
2- الأسمر، عبدالسلام بن عثمان: الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من مزارات، مكتبة النجاح، طرابلس، 1814م.
3- الأنصاري، أحمد النائب: (ت 1335 هـ) - نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس
الغرب من الأعيان ، تحقيق وتقديم ، على مصطفى المصراتي ، منشورات المكتب التجاري ،
بيروت ، 1963م.
4- البكري ، أبو عُبيد الله : (ت 487 هـ) كتاب المسالك والممالك ، حققه وقدم له وفهرسه :
أدريان فان ليوفن وأندري فيري ، بيت الحكمة قرطاج ، الدار العربية للكتاب ، 1992م ، جـ2.

5- التجاني، أبو محمد عبدالله محمد بن أحمد: (ت 717هـ) رحلة التجاني، الفرجاني للنشر

والتوزيع، طرابلس الغرب، (د ت).
6- ابن حوقل ، أبو القاسم : (ت 358 هـ) كتاب صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ،
بيروت ، لبنان ، 1992م .
7- ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني: (ت1092ه)، المؤنس في
أخبار إفريقيَّة وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، المكتبة العتيقة 61 نهج جامع الزيتونة، تونس،
ط3، 1387ه.
8- الزركشي، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي: (ت894ه) تاريخ الدولتين الموحديةوالحفصيَّة،
تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، 61 نهج جامع الزيتونة تونس، ط2، 1966م.
9- السراج،محمد بن محمد الأندلسيّ الوزير: (ت1149ه) الحلل السندسية في الأخبار التونسية،
تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1985م، مج1.
10- الشماخي ، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد : (ت 928 هـ) كتاب السير ، تحقيق: أحمد
بن سعيد السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 1412هـ/1993م جـ2.
11- ابن الشماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد: (ت 894 هـ)الأدلة البينة النورانية في مفاخر
الدولة الحفصيَّة، تحقيق وتقديم الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربيّة للكتاب، 1984م.
12- ابن أبي الضياف، أحمد: (ت1291ه) إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان،
تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر
والتوزيع، الجزائر، النشرة الثانية، 1396ه/1976م، جـ1.
13- العبدري أبو عبدالله محمد بن محمد : (ت 700ه/1300م) رحلة العبدري ، حققه وقدم له :
محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 1968م .
14- ابن عذاري، المراكشي:(كان حياً سنة 712ه)البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،
تحقيق ومراجعةج.س كولان، وإليفيبروفنسال،دار الثقافة، بيروت– لبنان،ط2، 1400ه/1989م، جـ1.
15- القلصادي ، أبو الحسن علي : (ت 891هـ) رحلة القلصادي دراسة وتحقيق : محمد أبو
الأجفان ، الجامعة التونسية ، الشركة التونسية للتوزيع (د ت) .
16- ابن القنفذ، أبو العباس أحمد بن الحسن بن علي بن الخطيب: (ت810ه) الفارسية في مبادئ

الدولة الحفصيَّة، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر،
تونس، 1968م.
17- مؤلف ، مجهول: (ت القرن السادس الهجري)، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق
سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، بغداد، 1980م.
18- ابن ناجي والدباغ (ت605هـ ، والدباغ696هـ) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق
وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة تونس، مكتبة الخانجي بمصر، (د ت)، جـ3.

ثالثاً – القواميس والمعاجم وكتب الحديث :
1- الزاوي، الطاهر أحمد: مختار القاموس، مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير، الدار العربيّة للكتاب، الجماهيرية، 1980م -1981م.
- معجم البلدان الليبية ، مكتبة النور ، طرابلس الغرب ليبيا 1388هـ / 1968م .
2- المالكي:(ت474 هـ)كتاب رياض النفوسي،تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1951، جـ1.
3- مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، مجمع اللغة العربية ، (د ت)، جـ3 .
4- ابن منظور: (ت 711هـ) لسان العرب المحيط ، أعاد بناه على الحرف الأول من الكلمة ، يوسف خياط، قدم له العلامة الشيخ عبدالله العلايلي ، دار الجيل ، بيروت، دار لسان العرب ، بيروت ، 1408هـ 1988م مج 4 .
رابعاً – المراجع العربية :
1- البرغوثي، عبد اللطيف محمود: تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى العهد العثماني، دار صادر بيروت، 1972م.
2- التليّسي، بشير رمضان: الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب خلال (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) ، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الشركة المغربية للطباعة والنشر، الرباط، 1998م، جـ 2.
3- التوزري ، إبراهيم العبيدي : تاريخ التربية بتونس ، الشركة التونسية للتوزيع ،(د ت) ، جـ1.
4- الدالي ، الهادي المبروك : مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13- 15 ، صفحات من تاريخ العلاقات العربية الإفريقية ، تقديم : محمد رزوق ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، (د ت).
5- رحومة ، علي محمد : زاوية أبي ماضي الأزهر الصغير بجبل ككلة من حيز طرابلس الغربالغرب دراسة تاريخية تحليلية ، دار الفسيفساء للطباعة والنشر والتوزيع ليبيا - طرابلس الغرب ط1 - 2012 م ، ق1.
6- زيدان ، جرجي : تاريخ التمدن الإسلامي ، دار الهلال ، القاهرة ، 1936م ، جـ3.
7- الشيباني ، عمر محمد التومي : تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا ، إدارة المطبوعات والنشر ،جامعة الفاتح ، ط 1 ، 2001م .

8- عبد الوهاب ، حسن حسني : ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية ، مكتبة المنار، تونس ط1، ق1 ،1981م .
9- عمر ، أحمد مختار : النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العهد التركي، كلية التربية ، الجامعة الليبية ، 1391هـ / 1971م .
10-كحالة ، عمر رضا : دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية الملاحة – الفتوى – الفروسية – التربية والتعليم – التجارة – البريد – المواصلات البحرية والنهرية ، المطبعة التعاونية ، دمشق – سوريا ، 1973م .
11-كوردي ، محمود حسين : الحياة العلمية في جبل نفوسه ، وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي من القرن (2–8هـ/ 8 – 14م) دار الكتب الوطنية ، بنغازي – ليبيا ط 1 ، 2008م.
12-المصراتي ، على مصطفى : أعلام من طرابلس الغرب ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام مصراتة،الجماهيرية، ط 4 ، 1395هـ / 1986م .
13-معمر ، علي يحي ، الأباظية في موكب التاريخ ، الحلقة الثانية ، الأباظية في ليبيا ، مكتبة وهبة ، شارع الجمهورية ، 1384هـ / 1964م ق2 .
14-المعموري ، الطاهر : جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي ، الدار العربية للكتاب ، 1980م.

خامساً المراجع المعربة :
1-برنشفيكروبار، Brunschvig , Robert: تاريخ إفريقيَّة في العهد الحفصيّ من القرن 13-15م، نقله إلى العربيّة : حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1988م، جـ2.

سادساً – الدوريات :
1- البوجديدي ، محمد سعيد : لمحات عن الحياة الثقافية في الجبل ، مجلة البحوث التاريخية ، مركز جهاد
الليبيين للدراسات التاريخية ، السنة العشرون ، العدد الثاني ، يوليو 1998م .
2- الحوات، علي: نشأة وتطور التعليم العالي في الجماهيرية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، عدد 8،
طرابلس ، 1991م .
3- شعيره ، محمد الهادي : الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية ، ليبيا في التاريخ ، الجامعة الليبية ، كلية
الآداب ، المؤتمر التاريخي ، 16 – 23 مارس 1968م .
4- العربي ، مصطفى الصادق : عندما كانت الزوايا مؤسسات علمية ، مجلة تراث الشعب ، السنة
السادسة ، العدد 17-18 ، 1985م .
5- القابسي ،نجاح :لمحات حول الحياة الثقافية في طرابلس الغرب في العهد الوسيط الإسلامي ، مجلة
البحوث التاريخية ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، السنة الثانية ، العدد الثاني ، يوليو 1980م .

- المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي، مجلة كلية التربية، العدد الرابع عشر، 1980 – 1981م .
6- الهرامة ، عبد الحميد عبد الله : الحياة العلمية بالجبل الغربي في النصف الأخير من القرن التاسع عشر
وأوائل القرن العشرين ، محلة البحوث التاريخية ، منشورات جامعة الفاتح ، مركز دراسة جهاد الليبيين
ضد الغزو الإيطالي ، السنة السادسة ، العدد الأول ، يناير ، 1984م .

مكانة المرأة الطرابلسية في المجتمع الروماني خلال القرن الأول الميلادي

✍.د.نرجس محمد سويسي

كلية الآداب ـ غريان .

ملخص البحث:

على مر العصور و باختلاف الحضارات كان وضع المرأة يختلف من مجتمع لآخر ، بحكم الظروف و البيئة المحيطة بها ، و في الحضارة الرومانية تمتعت المرأة بمكانة اجتماعية يمكن القول بأنها محترمة و رفيعة ، و لقد عززت النظم القانونية الرومانية هذه

المكانة ، حيث حفظت لها العديد من الحقوق بحكم القانون و من جانب آخر ألزمتها بالعديد من الواجبات التي ينبغي أن تنجزها للحفاظ على هذه المكانة ، و المميز في الأمر أن المرأة حافظت على هذه المكانة حتى عندما انتقلت إلى مناطق النفوذ التي أصبحت تابعة للإمبراطورية الرومانية عقب فترة التوسعات التي قامت بها ، و من بين المجتمعات التي شهدت حضوراً مميزاً للمرأة الرومانية المجتمع الطرابلسي ، حيث شكلت هذه الأخيرة نواة الأسرة الرومانية فيه ، حيث حافظت على مكانتها كزوجة بحكم الحقوق و الواجبات التي يفرضها عقد الزواج ، و ظلت مخلصة و وفية لزوجها و هو ما أثبتته النقوش المكرسة من العديد من الأزواج بهذا الخصوص ، كما كانت الأم الحنونة العطوفة المربية للأطفال على قواعد التربية السلمية و الصحيحة ، كما كانت المرأة القوية ذات الثراء و السلطة صاحبة الضياع و الممتلكات التي لطالما ساعدت زوجها و أبنائها من أجل العيش في حياة كريمة ، لا بل و تعدى الأمر حتى إلى منح هبات و عطايا لأبناء شعبها في عديد المناسبات و المحافل المختلفة ، ناهيك عن النشاطات المتمثلة في المساهمات في إنشاء و تطوير بعض المؤسسات داخل المجتمع ، مما يوحي برقيها الحضاري و زخمها الثقافي الذي جعل منها شعلة إيجابية تثبت أصالة حضارتها و مقدرتها على مجابهة كل الظروف مما جعل منها سيدة في المجتمع و لها دورها الإيجابي في شتى النواحي و المجالات .

Abstract

Throughout the ages and different civilizations, the status of women varied from society to society, due to the circumstances and the surrounding environment. In Roman civilization, in particular, women enjoyed a social status that can be said to be respectable and high, and the Roman legal systems have strengthened this status, where they have preserved women many rights by law, on the other hand, these laws obliged women to many duties that should be fulfilled to maintain this status, and what is distinguished in this matter is that, women have maintained this status, even when they moved to the regions of power that became subordinate to the Roman Empire after its period of expansion, and among the societies that witnessed the distinctive presence of Romanian women, Tripoli society, where the latter, formed the nucleus of the Roman family, where she maintained her position as a wife by the rights and duties imposed by the marriage contract, as she remained faithful to her husband, which is proved by the inscriptions which were made by many husbands, as well as, she was the loving mother who is breeding children on the rules of good education, and she was the strong woman with wealth and power and property, that has always helped her husband and children to live a decent life, and even went beyond giving gifts and gifts to her people in many different occasions and forums, not to mention the activities of

contributions to the establishment and development of some institutions within society, which prove her cultural superiority and cultural momentum that made her a positive personality, which confirm the originality of its civilization and its ability to face all circumstances, that made her a positive factor in various areas and fields .

مقدمة:

في الحضارة الرومانية بشكل عام تمتعت المرأة بمكانة خاصة ، حيث شكلت أهمية بالغة في تكوين النسيج الاجتماعي المكون للمجتمع الروماني الذي اعتمد على الأسرة كنواة أساسية لتركيبة مجتمعية سليمة ، و لقد اعتمد تكوين الأسرة على الرجل و المرأة إلا أن الأخيرة كانت تشكل العمود الفقري فيها ؛ كونها تتولى العديد من المهام و الصفات التي تعتمد عليها طبيعة الحياة الأسرية كزوجة و أم و مربية و سيدة المنزل ، و بحكم الظروف التي عاشتها الامبراطورية الرومانية و توسع نفوذها خارج حدود جزيرة الإيطالية ومن بينها منطقة المغرب القديم بشكل عام و إقليم طرابلس(Tripolitania) بشكل خاص ، انتقلت العديد من العناصر الرومانية كأفراد و أسر لهذه المناطق و كانت المرأة من بين هذه العناصر الوافدة ، و في ظل المعطيات الجديدة و الظروف المستحدثة يمكن طرح عدد من الأسئلة التي من بينها : هل حافظت المرأة على المكانة الاجتماعية نفسها التي كانت تتميز بها في روما ؟ هل استمرت في أداء مهامها بذات النهج الذي اعتادت عليه آنفاً ؟ هل كان لها اسهامات على الصعيد المجتمعي؟ و فيما يلي سنحاول الإجابة على هذه التساؤلات في ظل المعطيات التي تقدمها النقوش و المصادر الكلاسيكية .

لمحة تاريخية عن دخول العنصر الروماني إلى إقليم طرابلس .

بعد هزيمة قرطاجة(Karthago) عام 146ق.م أمام روما في الحرب البونية الثالث [1]

، أتيحت الفرصة للرومان للمجيء إلى قرطاجة و مناطق النفوذ التابعة لها بما فيها إقليم طرابلس ؛ و ذلك من أجل الاستثمار في هذه المنطقة التي تميزت بالرخاء الاقتصادي و النشاط التجاري [2] ، و يمكن أن نعتبر البداية الفعلية لدخول العناصر الرومانية و استقرارها في إقليم طرابلس منذ أن امتد النفوذ الروماني على المملكة النوميدية بوفاة ماسينسا (Massinissa) عام 148ق.م و تدخل سكيبيو (Scipio) في تقسيم مملكته بين أبنائه طبقاً لوصية ماسينيسا ، حيث أن مدن إقليم طرابلس كانت تابعة للمملكة النوميدية ، مما شجع العناصر الرومانية من الأثرياء و التجار و أرباب السفن و الصناع أصحاب الحرف و السماسرة على المجيء إلى المنطقة [3] ، فمنذ القرن الثاني قبل الميلاد بدأ الاستقرار لتلك العناصر الرومانية في إقليم طرابلس عندما استقر التجار منهم نتيجة لازدهار النشاط التجاري بين مدن الإقليم و إيطاليا ([4]) ، حيث تشير نقوش الإقليم إلى وجود عائلات رومانية بدأت تستقر في مدنه خلال القرن الثاني ق.م كان من بينها عائلة هيرينيوس(Herennius) [5] ، و عائلة فولفي لبكي (Fulvii Lepcitani) [6] و عائلة بيربيرنا لبيكيتانوس (Perperna Lepcitanus)[7] التي استقرت في مدينة لبدة(Lepcis Magna) ،وعائلة ستاتينيوس كابيلا (Statilius Capella)عائلة

فلافيوس ليبير اليس(Flavius Liberalis) في مدينة صبراتة (Sabratha) [8]، وعائلة هيرينوس روفينيوس (Herennius Rofenius) في مدينة أويا(Oea) [9] .

و بالإضافة إلى العناصر السالفة الذكر شكلت الفرقة الأوغسطية الثالثة (Legio III Augusta) مصدراً من مصادر التواجد الروماني في المنطقة ، حيث تكونت هذه الفرقة من العناصر الرومانية العسكرية التي كانت مرسلة من قبل في أفريقيا من أجل حماية الحدود و التصدي للعناصر المناوئة للوجود الروماني من العناصر الليبية المحلية [10]، و لقد ظل العنصر الروماني الجديد متمسكاً بثقافته و تقاليده الرومانية ، حيث ظلوا يتحدثون اللغة اللاتينية انطلاقاً من رغبتهم في صبغ المنطقة بالروح و الثقافة الرومانية ، كما عملوا على نشر ثقافتهم بإقامة مستوطنات للجنود و حواضر ذات طابع روماني أصيل [11].

دور المرأة في الأسرة الرومانية .

تميزت الأســـــــــــــــــرة الرومانية في إقليم طرابلس بأنها العنصر الأكثر ثقافة بين السكان ، فقد كانت محط اعجاب و تقدير من مختلف الشرائح السكانية ، و لقد ارتبط نظام الأسر الرومانية في اقليم طرابلس بالنظم و القوانين المعمول بها في روما [12] ، حيث كان قوامها الأب الذي يعد حجر الزاوية في الأسرة و رئيسها ، و له مطلق السيادة على كل أعضائها الآخرين ، فكانت سلطة الرجل تعرف بمانوس (Manus) أي سلطة وضع اليد بحق الزواج على الزوجـــــة ، و بحق الأبوة على الأبناء ، و حق امتلاك العبيد لكونه السيد و المالك لهم ، و كان هذا العرف داخل الأسر الرومانية بمثابة القانون الداخلي الواجب نفاذه على الجميع احتراماً للتقاليد الاجتماعية [13] ، و لقد تكونت الأسرة الرومانية في مدن الاقليم الطرابلسي من الأب و الأم و الأبناء و كانت الأسر النبيلة تضم العبيد و أسرهم أيضاً [14] ، و في بعض الأحيان كانت تتبع بعض الأسر الفقيرة الأسر النبيلة بصفة تابعين أو ندماء [15].

المبحث الأول : المرأة الأم .

كانت المرأة الرومانية القاطنة في منطقة المغرب القديم بشكل عام تحب إنجاب الأطفال حتى و إن أثر ذلك على صحتها و جمالها [16]، و إن لم ترد نقيشة تؤكد ذلك في الأوساط الطرابلسية ، إلا أن ثمت إشارات لبعض النسوة في المجتمع المغاربي القديم أنجبن العديد من الأطفال مثل السيدة المدعوة روبريا فيستا(Rubria Festa) من قرطاج ماتت و عمرها 36عاماً ، و هي تضع مولودها الخامس ، وكانت ترضع رضيعها حتى يبلغ السنتين ، و امرأة أخرى تدعى سولبيكيا فكتوريا (Sulpicia Victoria) توفت و عمرها 37 عاماً تاركة وراءها سبعة أولاد و بنت [17] ، و بما أن المنطقة برمتها كانت تعيش ذات الظروف ، فإنه من المؤكد أن المرأة الرومانية في المجتمع الطرابلسي كانت تحرص على إنجاب الأطفال و إن لم نعثر على ما يؤكد ذلك. كما حرصت المرأة الرمانية على تربية و تعليم أطفالها ، حتى في الأوساط الأرستقراطية ، وحاولت تولي هذه المهمة بذاتها بالإضافة إلى المساعدة كان يقدمها المربون في هذا الصدد ، لأن الأمومة كانت من المهام المقدسة بالنسبة للمرأة الرومانية التي لا تستحقها إلا النساء الحرائر ، لدى نجد بعض النقوش تطلق عليها ماترونا(Matrona) بمعنى أم العائلة .

المبحث الثاني : المرأة الزوجة .

ظلت الأسر الرومانية في إقليم طرابلس محافظة على قوانينها و عاداتها و تقاليدها ، و من هذا المنطلق كان الزواج هو المخول قانوناً لتكوين الأسر الرومانية بالمنطقة [18] ، و ذلك من خلال عقد قانوني يعقد بشهادة و حضور عشرة شهود على الأقل ، و أحد كبار الكهنة لمباركته من خلال قراءة بعض العبارات المقدسة ، كما يشترط في العقد ألا يقل سن الزوج عن الرابعة عشر و الزوجة عن الثانية عشر ، و على إثره تكون العصمة في يد الـــــــــــــــــزوج و يصبح هو صاحب السلطة على زوجته [19] ، و في سياق الحديث عن عمر الزواج تشير نقيشة عثر عليها في ضواحي مدينة أويا لزوجة تدعى أنيا فركتوزا (Ennia Fructuosa) التي تزوجت من أيليوس بروكولينوس (Aelius Proculinus) الذي كان يشغل رتبة عسكرية ضمن الفرقة الأوغسطية الثالثة و كان عمرها عند الزواج أربعة عشر عاماً [20] .

يصور لنا أبوليوس (Apulius) كيفية زواجه بالسيدة أميليا بودنتيلا (Aemilia Pudentilla) و هي إحدى السيدات الرومانيات المقيمات في مدينة أويا ، التي دخل بها في بيتها الريفي بين أحضان الطبيعة ، لأن قانون الزواج لم يكن يمنع ذلك ، و لكن يبدو أن عقود الزواج كانت تتم عادة في المدينة ، حيث اتهمه خصومه بأن عقد زواجه على عروسه بودنتيلا باطلاً ؛ لأنه وقعَ في الريف و لم يقع في مدينة أويا [21] ، و في هذا الصدد يبرر أبوليوس السبب الذي جعله يقيم عقد قرانه في الريف بدلاً من مدينة أويا ؛ و ذلك بسبب التكاليف الباهظة لحفلات الزواج المقامة في المدينة ، حيث يقول : " إن السبب في عقد قراني ببودنتيلا في ضيعة بالضاحية بدلا من المدينة كيلا نبذر 50 ألف آس في الأكل ، و قانون يزليوس عن ترتيبات الزواج لا يحظر ذلك بهذا النحو : لا تتزوج في ضيعة ، بـــــــــل إن شئت الحق فالزواج أكثر يُمناً في الضيعة منه في المدينة، على أرض معطاء منه على أرض عقيم " [22].

و كان من شروط عقد الزواج المهر الذي كان يقدمه الرجل لزوجته إما معجلاً أو مؤجلاً ، و يشير بعضهم أن قيمة المهر عند الأرستقراطية يقدر بحوالي 300 ألف آس [*] [23]، و في هذا الصدد يقول أبوليوس : " استبعد غرمائي جمال زوجتي و سنها و نسبوا إليَّ خِسَّة طلبها زوجةً بدافع الطمع في مالها ، و للرَّدِ على هذه المزاعم ، ففي قسيمة الزواج كل ما نص عليه العقد من الوقائع الحاضرة و الشروط المستقبلية ، فالمال المتواضع الذي مَهَرتُ به هذه المُيَّسرة لم يقدم نقداً بل احتسب ديناً فقط ، و تم الزواج على أساس هذا الشرط : إن تتوفى دون أن تخلف عقِباً من صُلبي يبقى المهر كاملاً عند ابنيها بيدونس (Pudens) و بونتيانوس (Pontianus) ، لكن إن أتاها الأجل و قد خلفت ابناً أو بنتاً من صُلبي ، فعند ذلك يؤول قسم من المهر إلى الولد المتأخر و الباقي إلى السابقين " [24].

و في إطار الحديث عن طبيعة العلاقة بين الزوجة و زوجها وردت ضمن سجلات النقوش اللاتينية الخاصة ببلاد المغرب بشكل عام مجموعة من النصوص تشير لشهادات واضحة و مميزة عن إخلاص و وفاء زوجاتهن ، و تفانيهن في خدمة الأسرة بالرغم من صغر سنهن و حداثة تجربتهن الزوجية ، إذ احتوت بعض النقوش على عبارات صريحة و واضحة لصفات الوفاء و الإخلاص التي نعتت بها المرأة ، كان من بينها ما ورد في نقيشة في مدينة صبراتة التي تضمن محتواها وصفاً لشهادة زوج امرأة تدعى كايلستينا (Caelistina) التي كانت تقيم في ذات المدينة بقوله : " إخلاصك العفيف الذي جعل من

قلبك وفياً لزوجك سمعتك و فضائلك أبكت العائلة لفرقاك ، و كل اللواتي كن معجبات بك " ، كما عثر على نقيشة أخرى في المدينة على شاهد قبر امرأة تدعى أوزيبيا (Eusebia) ينعيها زوجها المدعو سكسوس (Successus) يصفها بالطاهرة (Castitas) و المؤمنة (Fides) و الخجولة (Pudor) و غير المزعجة (Lnnocuitas) و بأنها زوجة مثالية و يطلب من كل من عرفها بأن يتذكرها و يدعو لها أثناء الصلاة [25] .

ظلت ظاهرة النقوش التشريفية للمرأة أكثر انتشاراً في الفترة ما بين القرنين الأول و الثالث الميلادي ، حيث تصور لنا مكانتها الاجتماعية في الأسرة ، حيث كانت تشرف على البيت كزوجة و أم العائلة (Mater Familias) ، و هي المهمة المقدسة للمرأة آنذاك ، فماترونا (Matrona) في اللغة اللاتينية تعني أم العائلة و سيدة المجتمع و السيدة المحترمة ، و هي مشتقة من ماتريس (Matris) و ماترابوس (Matrabus) بمعنى إلهة المكان المكلفة بحمايته ، كما تصفها بأنها سيدة البيت (Domina) ، و حارسة الأسرة (Custos) [26] ، و تؤكد على ذلك بعض الإشارات في المصادر الكلاسيكية حيث يشير ترتوليانوس(Tertullianus) إلى أهمية المرأة في الأسرة بقوله : " لا توجد بيوتاً أكثر تنظيماً و إدارة من بيوت الرجال المتزوجين ، في حين كل شيء سيئ لدى العزاب منهم " [27] .

أما عن الطلاق فلم ترد إشارات نقشية بخصوصه ، إلا أن جزيل يشير بأنه كان موجوداً ، و أن من حق الزوجين فسخ عقد الزواج لأنه حق يكفله القانون ، و يشترط فيه أن يقوم الزوج بتطليق زوجته باعتباره صاحب العصمة ، و كان على الأب أن يرد المال الذي أخذه مهراً عند زواج ابنته ، أو يرده زوجها الجديد [28] . و تشير المصادر الكلاسيكية أن ظاهرة الطلاق أصبحت أكثر شيوعاً مع نهاية القرن الثاني و بداية القرن الثالث الميلادي حيث يشير تريتليانوس إلى ذلك بقوله : " صار الطلاق شائعاً كما لو كان ثمرة الزواج المرجوة " [29] ، و يشير أبوليوس إلى بعض أسباب الطلاق التي من بينها عدم قدرة المرأة على إنجاب الأطفال ،و الخيانة الزوجية ، مشاكسة الزوجة و ضيق صدرها ، و ألا تقوى على احتمال زوجـــــها و القيام بمهامها الزوجية ، أو أن تكون فضة المعاملة ، أو أن يصدر منها سلوك مشين كالسرقة [30]مما يعني أنه على المرأة أن تراعي قواعد الأخلاق الحميدة و تلتزم بها حتى تحافظ على زواجها .

المبحث الثالث : المرأة وقانون الإرث .

على خلاف ما كان معهوداً في العصر الجمهوري من حرمان للمرأة من الميراث تطورت النظم القانونية الرومانية خلال العهد الإمبراطوري الأول ، و نصت القوانين التي تسمح للمرأة بأن ترث من والدها مثلما يرث إخوانها من الذكور [31]، بل و كان لها الحرية في أن تمنح أو تمنع أبنائها من إرثها ، حيث يشترط القانون أن تحرر وصية بذلك ، تماماً كما فعلته بودنتيلا زوجة أبوليوس مع ابنيها حين أعطتهما ما يمكنهما من العيش ، لا سيما و أنها كانت تعد من أثرياء مدينة أويا ، حيث يشير أبوليوس بأنها كانت تنوي حرمان ابنها المدعو بودنس من أن يرثها بعد وفاتها لولا تدخله و استجابتها لرجائه بعدم حرمانه من الإرث ، كما أنها لم تترك له ـــــ أي زوجها أبوليوس ـــــــ إلا إرثاً بسيطاً على سبيل التحية وفق قوله ، كما كان يحق لها أن ترث كل شيء عن زوجها إن لم يكن له أولاد و إن كان له فتتقاسم إرث زوجها معهم [32] .

المبحث الرابع : المرأة والملكية الخاصة .

تعرف الملكية الخاصة في القانون الروماني بأنها حقٌ على شيء يخول صاحبه سلطةٌ كاملةٌ على هذا الشيء ، فله أن يستعمله و أن يستغله و أن يتصرف فيه في الحدود التي يقررها القانون [33]، و يتبين من خلال هذا التعريف مظهرين للملكية ، الأول : هو أنها تخول صاحبها مجموعة من المزايا التي يمكن الحصول عليها من الشيء ، والثاني : هو خضوعها لسلسلة من القيود التي يراعى فيها مصلحة أشخاص آخرين غير المالك ، بقصد تحقيق الصالح العام [34] .

أثبتت النقوش و المصادر الكلاسيكية أن منطقة المغرب القديم بشكل عام عرفت الكثير من النساء المالكات واللواتي استطعن الحفاظ على ثرواتهن و تنميتها ، بالرغم من أن بعضهن لم تكن من ذوات الأصل الغني اللواتي ورثن الثروة و الأراضي عن آبائهن ، وإنما أحياناً كنَّ من أصلٍ متواضع بسيط [35]، وبحكم القانون أصبحت المرأة الرومانية ذات استقلالية كبيرة و حقوق مساوية لحقوق الرجل ، و من بين النسوة اللواتي يردن في هذا الصدد السيدة بودنتيلا التي يصفها زوجها بأنها كانت من أثرياء مدينة أويا(Locup Femina)[36]،كما اعتبرها من النساء الذكيات؛ لأنها استطاعت تنمية ثروتها بنفسها، بل وأيضاً تنمية إرث ولديها [37] ، و يستمر أبوليـــــــــوس في وصف ثـــــــــروات زوجتـــــه وأملاكها الخاصة قائلاً : " و هي التي كانت تنظم استثماراتها الزراعية و تربية قطعان الأغنام والأبقار وحتى الخيول ، وكانت تستخدم عبيدها كيدٍ عاملة زراعية ، لاسيما وأن لها العديد منهم ؛ لأنها عدا عن اليد العاملة التي تستخدمها في الضياع وخدمة الأراضي والمنازل الخاصة بها والمنتشرة في مناطق مختلفة بإقليم طرابلس ، فإنها تنازلت لولديها على ما يقارب 400 عبدٍ لخدمتهما "38 .

يوضح أبوليوس في ذات الصدد أن عائدات الأراضي هي الأساس في ثروة بودنتيلا التي كانت تَحسِبُ وتدقق في الحسابات مع المزارعين (Uilici) والبقارين (Upsoliones) وحتى سائس الخيل(Equisones) ، بل واتخذت لنفسها محامياً خاصاً بها يدعى كاسيوس لونغيوس (Cassius Lungius) ، وهو الذي يتولى الإشراف على شراء المزارع و مراجعة العقود الخاصة بالبيع و الشراء و كل ما يتعلق بذلك [39] .

و يذكر أبوليوس بأن بودنتيلا كانت تكرم سكان مدينة أويا من حين إلى آخر ، ففي عرس ابنها بونتيانوس أهدت سكان المدينة عطايا (Sportulae) بقيمة 50 ألف سيسترتيوس [40] ، وكذلك الأمر حين بلغ ابنها الأصغر وارتدى لباس الرجولة التوجا (Toga) [41]، و ذلك في دلالة على ترف ثروتها و كونها ذات شخصية مرموقة في المجتمع الطرابلسي بفضل ثروتها الطائلة . وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى بعض الأمثلة لنسوة ثريات من المغرب القديم ساهمن في نشاطات مجتمعية ، كانت من بينهن سيدة تدعى مرتيما (Martima) من قرطاج و التي وصفت في النقش بأنها دومينا (Domina) بمعنى السيدة أو المالكة ، و التي ساهمت بمشاركة زوجها المدعو باكيوس فيكتور (Pacius Victor) في بناء أسواق بالمدينة وفقاً لنص النقش ، و سيدة أخرى تدعى كورنيليا فالنتينا (Cornelia Valentina) من تيمقاد (Thamugadi) ، وهي زوجة بلوتيوس فوستوس (Plotius Faustus) كبير كهنة المدينة ، حيث قامت بمشاركته ببناء سوق للمدينة ، وبناء منزل خصص الطابق الأرضي منه لمجموعة من الدكاكين لتأجيرها و

الكسب منها ، و في نفس الوقت يساهمان في توفير العمل لمن هو بحاجةٍ إليه [42] . و لعل هذه النصوص تؤكد أن المرأة كانت لها ممتلكات وثروات خاصة بها مستقلة عن زوجها وعائلاتها ، وكانت تسيرها كيف تشاء وتساهم في بناء وتشييد ما تحتاج إليه مدينتها من مرافق ضرورية لتنميتها .

وفي مثال آخر عن النساء من ذوي الأملاك الخاصة تشير النقوش في مدينة قرطاج إلى السيدة كاستيليوم (Casteleum)التي كانت تتاجر في بيع الخشب، وكانت لها فرقة من عازفات الناي تؤجرها في تنشيط الحفلات التي يقيمها السادة في المدينة ، وأخرى تدعى كيليا ماكسيما (Kiliya Maximae)كانت تمتلك ضيعة في الريف [43].

ومن جانب آخر أشارت النقوش إلى بعض النسوة اللاتي ساهمن في تنمية ثروات أزواجهن، وذلك من خلال مساعدتهم و مرافقتهم في رحلاتهم التجارية ، حيث أشار نقش في قرطاج كرس من قبل رجل يدعى لوكيوس (Lucius) لزوجته أوربانيا(urbaniua) التي لطالما رافقته في رحلاته التجارية ، وأنها كانت حريصة كل الحرص على تنمية ثروته والحفاظ عليها ، وأنها ساهمت معه بما تملكه من أموال من أجل ذلك [44] .

ومن بين المصادر المادية تظهر لوحةٌ فسيفسائية عثر عليها بفيلا دار بوك عميرة بزليطن (Nivirgi) (الواقعة إلى الشرق من مدينة لبدة) إحدى السيدات ، وهي تجلس تحت إحدى الأشجار تراقب العمال وتشرف عليهم وتعطيهم الأوامر في الوقت الذي كانوا فيه يقومون بدرس إحدى المحاصيل الزراعية [45] . ومما هو ظاهر من خلال هذه الفسيفساء يمكن أن نستنتج بأن هذه المرأة كانت مالكة الأرض، وسيدة هؤلاء العبيد الذين يشتغلون في مزرعتها .

مما سبق يمكن القول بأن المرأة الرومانية في منطقة المغرب القديم بشكل عام وإقليم طرابلس بشكل خاص، كانت تتمتع باستقلالية واضحة على صعيد الذمة المالية ، حيث أثبتت النقوش والنصوص الكلاسيكية تمتعها بحرية تامة في تكوين الثروات وتنميتها ، لا بل وحتى المساهمة في تنمية بعض المرافق المجتمعية المحلية ، وكذلك المساهمة في تنمية ثروات أبنائها وزوجها وإظهار حرصها الشديد حيال هذا الأمر ، مما يعطي انطباعاً ايجابياً عن وضعها المميز داخل أسرتها بشكل خاص ومجتمعها بشكل عام .

الخاتمة

إن المتأمل فيما ورد من نصوص في النقوش و المصادر الكلاسيكية يلاحظ بأن المرأة الرمانية خلال هذه المرحلة شكلت أهمية بالغة داخل أسرتها و مجتمعها بشكل عام ، و إن كانت وافدة للمنطقة و لم تكن من سكانها الأصليين إلا أنها أثرت وجودها بثقافتها و تميزها الحضاري حيث لعبت كل الأدوار الأساسية اللازمة لتكوين الأسرة و المجتمع ، فكانت الزوجة المخلصة الوفية المحترمة ، و كانت الأم الولود العطوفة المربية المتفانية من أجل أطفالها المهتمة بإدارة و رعاية شؤون بيتها ، و كانت المرأة العاملة صاحبة الأملاك و الثروات التي أفادت بها أسرتها (زوجٌ و أبناء) و كذلك أبناء شعبها ، مما يشكل انطباع ايجابي عنها يؤكد بأنها كانت و مازالت تشكل أهمية بالغة داخل كل المجتمعات على اختلاف الحضارات و العصور .

الهوامش:

1. ـ عن سقوط قرطاج راجع ما يلي :
2. Polybius , The Histories , LCL , I :5,II:11; Gsell , S., Histoire Ancienn de l' Afrique Nord , Paris , 1920 ,III, p :323 ;
3. الطويل ، توفيق ، قصة الكفاح بين روما و قرطاجة ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط3 ، 1955م ، ص43 ؛ سعود ، محمد التازي ، الإلمام بخلاصة تاريخ أرض المغارب القديم ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، 2006م ، ص110 .
4. ([1]) – Appian,The punic Wars, LCL , 92 ; Sallust, Bellum Iugurtinum , LCL, XXI,XXV, XXVI.
5. ([1]) ـ الجراري ، محمد ، الاستيطان الروماني في ليبيا ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1984م ، ص21 .
6. غانم ـ محمد الصغير ، مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم ، دار الهدى ، الجزائر ، 2011م ، ص 138.
7. ([1]) - Reynoldes , J . M . , and Ward Perkins , Inscriptions 0f Roman Tripolitania , 1995, Number: 485 .
i. ([1]) – IRT : 320 , 328 , 596 .
8. ([1]) – IRT : 335 .
9. ([1]) – Suetonius , Vespasian ,LCL, 3 .
10. ([1]) ـ انديشة ، أحمد محمد ، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية و ظهيرها في ظل السيطرة الرومانية ، منشورات جامعة التحدي ، سرت ، 2008 م ، ص ص 78 ـ 81 .
11. ([1]) – Strabon ,Geography ,LCL , XVIII, 3,25;
12. و للمزيد حول الفرقة الأوغسطية الثالثة عناصرها و أهم مواقع استقرارها راجع : الشهيبي ، رجاء مصطفى ، عناصر ليبية بالحامية الرومانية في ليبيا ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية البنات ، 2016م ، ص ص 31 ـ 37 .
13. ([1]) - Mattingly ,D .J ., Tripolitania , London , 1995, p :160 ;
14. الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 2001 ، ص ص 362 ـ 370.
15. ([1]) ـ مسعود ، موسى معمر زايد ، حضارة الحصون في إقليم المدن الطرابلسية خلال العصر الروماني ، رسالة دكتوراه غير مشورة ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، 2014م ، ص 187 .
16. ([1]) ـ جوليان ، شارل اندريه ، تاريخ أفريقيا الشمالية تونس ، الجزائر ، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م ، ترجمة : محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، ط3 ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1951م ، ص 80 .
17. ([1]) ـ العيساوي ، مها ، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم ، (من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة منتوري ، قسنطينا ، 2009 ـ 2010 م، ص410 .
18. ([1]) – Le Gall . J ., Un critere de differenciation social (La situation de la femme) , Recherches sur les structures social dans l antiquite classique , Paris , 1970 , p p : 281 – 282 .
19. ([1]) ـ عبد المؤمن ، محمد ، المرأة في شمال أفريقيا من خلال النصوص الكلاسيكية و النقوش اللاتينية ، مجلة الحضارة الإسلامية ، العدد : 22 ، الجزائر ، 2000م ، ص 564.
20. Wilmanns .G ., Mommsen , T., Corpus Inscriptionum Latinarum , ([1])1922 , Berlin,9162.
21. ([1]) ـ ـ جوستنيان ، مدونة جوستنيان في الفقه الروماني ، ترجمة : عبد العزيز فهمي ، منشورات دار عالم الكتب ، بيروت ، 1946م، ص ص398 ـ 399 ؛ ـ الحفناوي ، عبد المجيد محمد ، تاريخ القانون (مع دراسة في نظرية الحق و القانون في القانون الروماني) ، منشورات دار المعارف ، الاسكندرية ، 1999م ، ص 186 .

22. ([1]) - السعدني ، محمود إبراهيم ، حضارة الرومان منذ نشأتها و حتى نهاية القرن الأول الميلادي ، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية ، القاهرة ، 1998م ، ص ص 187 - 188 .
23. [1]) – Le Bohec , Inscriptions Juives et Judaisantes de l'Afrique (Romaine , 1981 , p: 141.
24. ([1]) - أبوليوس ، المرافعة (دفاع صبراتة) ، ترجمة : عمار الجلاصي ، الفقرة : 88 ، منشورات تامغنست ، طرابلس ، 2001 م ، ص105 .
25. ([1]) - المصدر نفسه ، الفقرة : 88 ، ص 106 .
26. ([*]) - الآس (AES) : عملة رومانية استحدثت في حوالي عام 330ق.م عندما اتسع نطاق التجارة الرومانية و أصبحت هناك حاجة لوسيلة للتبادل التجاري خيفة الوزن سهلة النقل تفي بهذا الغرض ، و كانت عبارة عن قطع معدنية صغيرة الحجم صنعت من النحاس خشنة غير مهذبة تطبع على وجهيها غالباً صورة ثور أو شاه أو خنزير ، للمزيد حول الموضوع راجع : المهدوي ، علي مسعود ، عملات رومانية ، دار الغيث للطباعة و النشر ، تونس ، 1998م ، ص 22 .
27. ([1]) - الشنتيتي ، محمد البشير ، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني و دورها في أحداث القرن الرابع الميلادي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986م ، ص 206 .
28. ([1]) - أبوليوس ، المصدر السابق ، ص 107 - 108 .
29. ([1]) - غازي ، حليمة ، نقائش لاتينية لأفريقيا البروقنصلية ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 2011م ، ص ص 331 - 332 .
30. ([1]) - المرجع نفسه ، ص 333 .
31. ([1]) – Tertullianus , Apologeticus ,LCL , II ,12 .
32. ([1]) – Gsell, S., Op Cit , II, p : 47 .
33. ([1]) - تريتليانوس ، المنافحة (دفاع عن التوحيد) ، ت: عمار الجلاصي ، دار العلم ، طرابلس (لبنان) ، 2001 ، ص23 .
34. ([1]) - أبوليوس ،المصدر السابق ، ص109 .
35. ([1]) - الحفناوي ، عبد المجيد محمد ، تاريخ النظم الاجتماعية و القانونية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1999م ، ص 425 .
36. ([1]) أبوليوس ، المصدر السابق ، ص110 .
37. ([1]) - جوستنيان ، المصدر السابق ، ص ص 380 - 382 .
38. ([1]) - الحفناوي ، عبد المجيد محمد ، قانون الأموال في النظم الاجتماعية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1997م ، ص419 .
39. ([1]) - عبد المؤمن ، محمد ، المرجع السابق ، ص565 .
40. ([1]) - Apuleius, Apologia, LCL , XCII, 3 .
41. ([1]) - Apuleius,Apol…,LXX, 6 .

([1]) - Apuleius,Apol…, XCIII, 4 ; LVI, 5 . .a

42. ([1]) - أبوليوس ،المصدر السابق ، ص115 .
43. ([*]) - السيسترتيوس(Sestertius) : هي عملة رومانية صدرت خلال العصر الجمهوري الروماني ، صنعت من الفضة خلال العصر الجمهوري و كانت صغيرة الحجم آنذاك ، غير أنها صنعت من النحاس في العهد الامبراطوري و أصبحت أكبر حجماً ، المهدوي ، علي مسعود ، المرجع السابق ، ص40 .
44. ([**]) - التوجا : و هي الرداء الخارجي الذي ابتدعه الرومان و أخذ على أيديهم أشكالاً مختلفة ، و هي عبارة على عباءة خارجية يرتديها الرجال من ذوي الطبقة الرفيعة المنزلة كالقضاة و المحامين و المعلمين و كبار الموظفين و أصحاب الثروات الطائلة ، و لقد استخدمت التوجا كرداء للاحتفالات و المناسبات ، و لفخامتها كان من الصعب أن يرتديها الرجل بمفرده دون مساعدة زوجته أو أحد العبيد ، و لم يكن يسمح للأجانب أو العبيد بارتداء التوجا ، و المواطن

الروماني الذي يفقد حريته يفقد حقه في لبس التوجا ، و كان لبسها من ضمن الطقوس التي يؤديها الرومان عند بلوغ الذكور دلالة على دخولهم في مرحلة الرجولة و الشباب ، للمزيد حول خامات الصنع و التزيين و أنواع التوجا راجع :جرجس ، سلوى هنري ، طرز الأزياء في العصور القديمة فرعوني - يوناني - روماني - بيزنطي - قبطي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2001م ، ص ص 77 - 79 .

45. (1) -Apuleius,Apol...,LXXXVI ,10.

46. (1) - عبد المؤمن ، محمد ، المرجع السابق ، ص 565 .

47. (1) - منصوري ، خديجة ، أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال المصادر المادية ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر ، الجزائر ، العدد : 25 ، أبريل 2008 ، ص 280 - 281 .

48. (1) - الطاهر ، محمد منصور ، ملامح من الفئات الاجتماعية بأفريقية في العهد الروماني ، مجلة أفريقيا للدراسات التاريخية ، العدد: 12 ، منشورات المعهد الوطني للتراث ، تونس ، 2002م ، ص 102 .

49. (1) - انديشة ، أحمد محمد ، المرجع السابق ، ص158 .

بحوث ودراسات باللغة الإنجليزية

حـــروف الجـــــر
English and Arabic Prepositions

Mr. Mehriz El-Bahlul Bayoudh
Mr. Ibrahim Ahmed Eshtiwi
Mr. Jamal El-Bahlul Saleh

مستخلص البحث:
تشكل حروف الجر مشكلة كبيرة عند ترجمتها من اللغة الانجليزية إلى اللغة العربية أو العكس .
يجد الطلاب في بعض الأحيان صعوبة كبيرة في تحديد التوافق الدقيق بين حروف الجر الانجليزية و العربية.
أجريت هده الدراسة لتحديد الصعوبات التي يواجهها المتعلمون العرب عند ترجمة حروف الجر من اللغة العربية إلى الانجليزية أو العكس.
هده الورقة البحثية تقوم على دراسة أجريت على شكل أسئلة و نصوص يتم ترجمتها إلى اللغة الانجليزية و هده الأسئلة قد تمت الإجابة عليها من قبل عشرون طالبا ليبيا من كلية الآداب بجامعة غريان على اعتبار أن اللغة العربية هي اللغة الأم بالنسبة إليهم.
نتيجة لهدا الاختبار تم اكتشاف الأخطاء و تحليلها و دراستها و توضيح كيفية تصحيحها و التخلص منها.

Abstract.

Prepositions pose major problems when translated from English to Arabic or vice versa . students , sometimes find it difficult to determine the accurate mapping between English-Arabic and Arabic-English prepositions .

This study is designed to identify the difficulties encountered by Arab learners when translating prepositions from Arabic into English or vice-versa . This paper reports on a study undertaken the form of questions and the form of texts to be translated from Arabic to English. These questions were answered by twenty Libyan students at the University of Gharyan. These students' mother tongue is Arabic. As a result of this test , mistakes have been detected, analyzed and studied showing how these mistakes can be corrected or eradicated.

..Introduction.1

According to Celce , Murcia (1983:250) , English prepositions have always been a source of great difficulties for English as a foreign language (EFL) learner regardless of his or hermother tongue . One reason for this is because EFL learners usually try to relate the use of English prepositions to their mother tongue (MT) prepositional system. In many instances , the difference in the number of prepositions and the lack of a one to one mapping between the English and the MT prepositions is the source of the difficulty .

Zughoul ,(1973) states that problems EFL learners have with the prepositions are compounded by the fact that prepositions , in general , are highly polysemous and represent an ontological category that is highly conceptual . This means that EFL learners are often confronted with making decisions as to which prepositions to use since the conceptual mapping in the MT might be highly different . Thus, prepositions usage often stands in the way of achieving grammatical fluency and accuracy for EFL learners . Among Arab EFL learners prepositions are considered to be the most difficult because of Linguistic differences between the Arabic and English prepositional systems. The language specific differences between the Arabic and English prepositional systems include some English prepositions that are not present in the Arabic language (James,1980) . In learning these prepositions EFL learners sometimes transfer their mother tongue system with a limited number of prepositions to transfer their usage of English prepositions resulting in incorrect English prepositional usage . In addition to this , since prepositional usage in English is highly idiomatic , the nuances of idiomatic usage of English prepositions are highly challenging to EFL learners and even native speakers are sometimes unsure of the correct form (Gethin, 1983:161).

2. Comparison between English and Arabic prepositions . (fiiفي …in) , (alaعلى …on)

Although English and Arabic prepositions have some characteristics in common , they differ in both number and usage . There are only twenty Arabic prepositions

(Loushin , 1995). The most important and commonly used are six prepositions , (min ,ila , ala , ba , la , fii) , (Abbas Hasan , 1985: pp320) while in English there are one hundred and fifty prepositions (Josef Essberger , 2000).

A preposition by definition expresses a relationship between two entities : it indicates a relationship in space (between one object and another), and or a relationship in time (between events), so, the first characteristic is that neither English nor Arabic prepositions can stand by themselves : they get their meanings through their usage in contexts. The other characteristic is that the number of prepositions in English is more than in Arabic. Arabic is limited, as mentioned above ; but , at the same time, each preposition may have to serve a variety of purposes .The same preposition may express time or space and be followed by a noun , a verb , an adverb or an adjective ; also it may be used idiomatically (Pittman,1966). The main problem for learners lies firstly in the fact that not every English preposition has a definite equivalent in Arabic and vice versa , and secondly, is that not every English or Arabic preposition has a definite usage and meaning , indicating only time or space.

The most problematic of all prepositions for both space and time are fii and on". The first example the Arabic preposition "fii" is used as an equivalent instead of "in, into,at, on, during ,within, inside ,and also zero equivalent".

This particular preposition has therefore great semantic power in both standard and colloquial Arabic : it's the filter through which all these English equivalents must pass. It is used to denote time and place and occurs with many different Arabic words in abstract and metaphorical usages.

Therefore "fii' as well as other Arabic prepositions interferes the selection and usage of English prepositions as shown in the following examples

1- I slept in bed (correct response) (in)

2- Spring begins in the first of March. (on)

3- In the end of the journey we brought fruit. (at)

4- In my last holiday I did many different things. (during)

5- I went home in happily. (?) (zero equivalent)

6- The boy threw a stone in the swimming pool. (into)

The first English preposition that is likely to be produced as the equivalent of the Arabic preposition "fii" is "in" as shown in the first sentence where it is correctly used. However , it is incorrectly selected instead of " on , at , during , "?" and into"in the sentences 2,3,4,5and 6.

Another problem is that Arab learners use or omit certain English prepositions according to Arabic usage . So , by literal translation when the Arabic context requires a preposition (or requires none), learners make wrong responses accordingly as illustrated in the following examples

1 The boy enjoyed the film. The literal translation of this sentence is either the boy enjoyed with the film. Or the boy enjoyed from the film.

In Arabic it is necessary to insert a preposition to make a relationship between the enjoyment and the film , which was the cause of the enjoyment . Without such a preposition the Arabic sentence will have no sense. Therefore Arab learners are likely to insert unnecessary prepositions when they express themselves in English .

On the other hand , they may omit necessary prepositions as illustrated by the following examples :

1 When we arrived in Tripoli we bought fruit .

2 I must stay at the university for eight years .

3 I saw the dome of the rock .

These are correct responses in English .

The prepositions "in , for and of " must be inserted to form a relationship between the arriving and the place, which was arrived

at, and the stay at the university and the time to be spent there; also between the rock and the dome which is built over it. Without these prepositions the above sentences will make no sense in English . But the literal translations of these sentences do not need such prepositions because the relationship exists in Arabic without them as shown in flowchart (1).

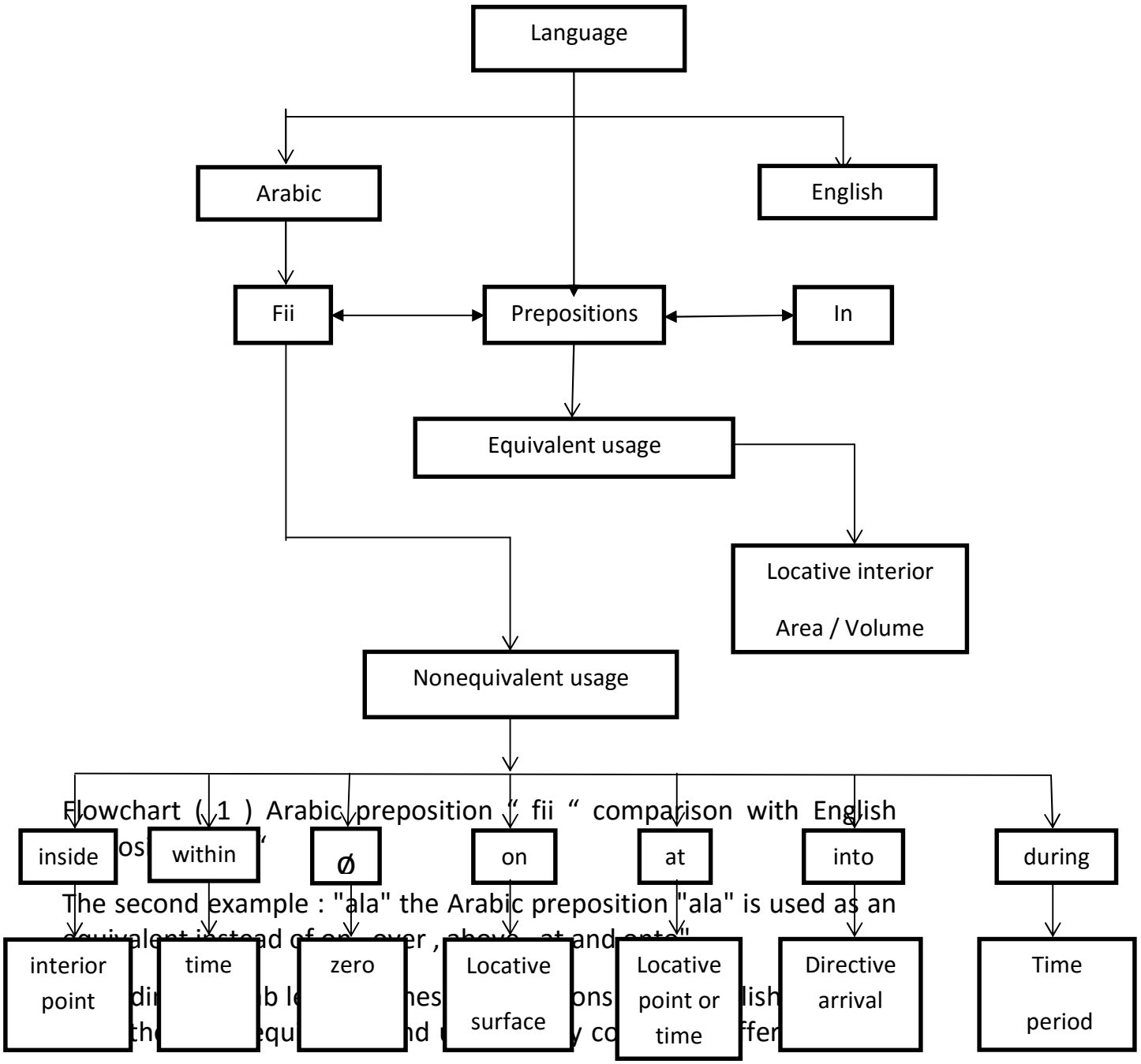

Flowchart (1) Arabic preposition " fii " comparison with English prepos

The second example : "ala" the Arabic preposition "ala" is used as an equivalent instead of on, over , above, at and onto"

dir b l nes ons lish th equ nd y co ffer

the use of these prepositions , they only use "on" , as shown in the examples below .

1 I saw a football match on TV. (on)

2 The bird is flying on my head . (above)

3 He jumped on the wall . (over)

4 We sat on the table . (at)

5 I will come on seven o'clock. (at)

6 The crab was washed up on the shore (onto)

As shown in the first sentence above , the first English preposition that is likely to be produced as the equivalent of the Arabic preposition "ala" is "on". However , it is incorrectly selected of above ,over,at and onto " in sentences 2,3,4,5 and 6 . The key to this problem is the fact that Arab learners always resort to literal translation before they form English pattern. In other words , they translate English into Arabic and then Arabic back into English , word for word. So these mistakes are due to the Arabic interference when Arab learners speak or translate into English . Also the differences between English and Arabic patterns make it difficult to choose the correct preposition , as shown in flowchart (2).

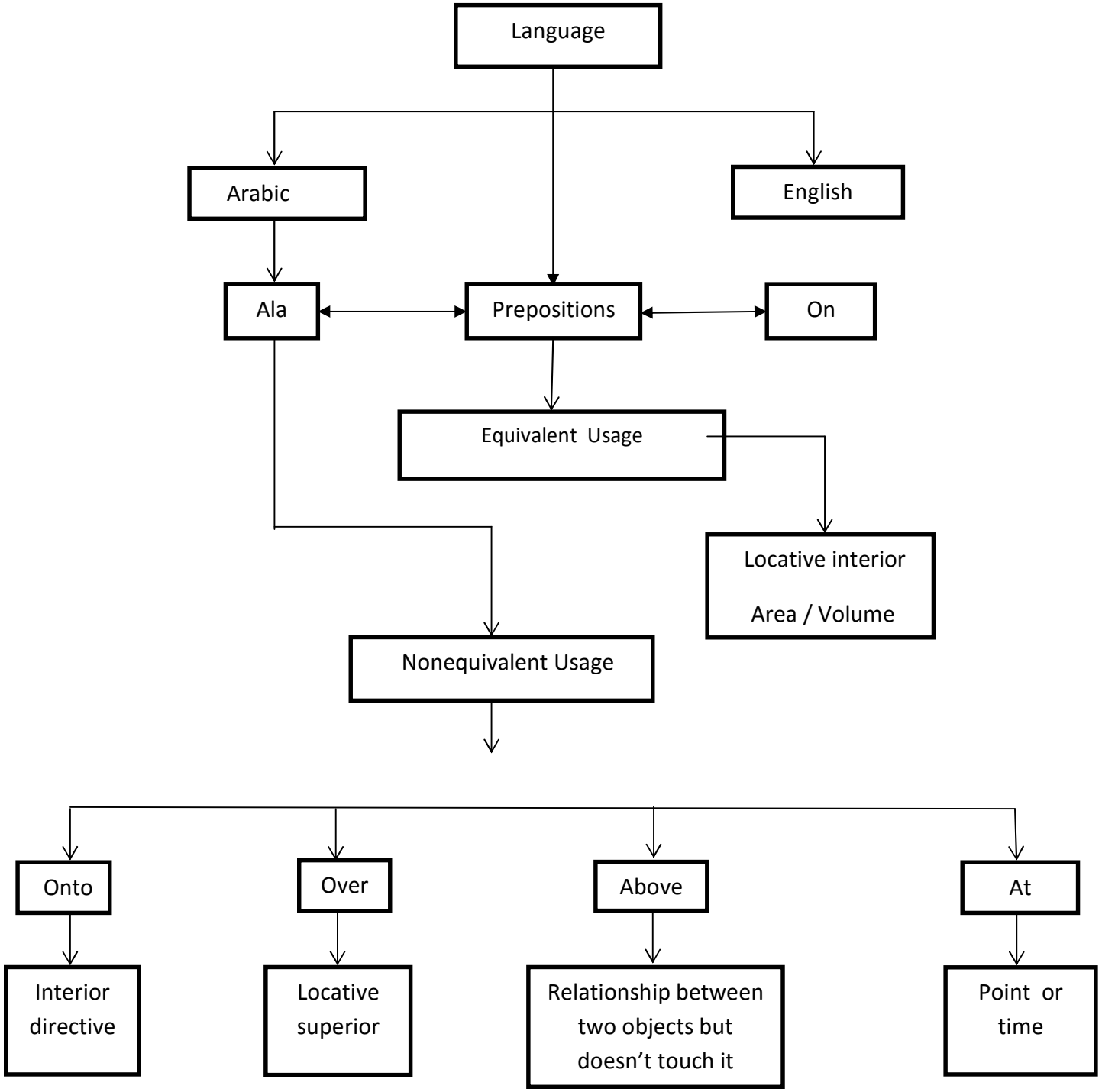

Flowchart (2) Arabic preposition " Ala " comparison with English preposition " On "

3.Comparison of English and Arabic systems.

In English there are three prepositions "on , in and at " that are used to indicate positioned point in time and one preposition "during " to indicate positioned period of time. In Arabic, however , "fii" is used to indicate the meaning and the use of all the above English prepositions. Thus it is equivalent to:

1 On : an equivalent of "fii " in Arabic language. It indicates a positioned point in time and is used with phrases that refer to days and dates since these are perceived as a "surface" or "line". For example:

I arrived on time.(An exact point in time)

I work on Sundays.

2 In : an equivalent of "fii" in the Arabic language. It indicates a positioned point in time and is used with phrases that refer to parts of days (with the exception of "at night", "at midday "…etc.), month , years etc. as these are perceived as an "area", e.g. in the morning ". It is also used to denote an unspecified point during a period of time e.g. "In the evening " = "during the evening".

3 At: indicates a positioned point in time and is used with hours, as these are perceived as a "point" e.g. "at 3 o'clock", also and exceptionally in "at night" as "night" is seemingly perceived as a point. It is an equivalent of fii in the Arabic language.

4 During: an equivalent of "fii" in the Arabic language.

It indicates the passage of a period of time e.g. "during the journey " , as the time during which the journey took place is perceived as imaginary line, similar to the journey's route. Arabic does not differentiate between all the above range of usages, because "fii" indicates both a point in time and a period of time. Unlike "fii", "ila and min" , which indicate movement toward or away from a specific point in time , indicate the same concepts as their English equivalents "to" and "from".

5. For : indicates duration of time and is also used to express movement. Its Arabic equivalent is "li", which has the same meaning and usage.

6. Into : "to" indicates movement and "in" indicates no movement in English, with "Fii" equivalent to both in Arabic.

7. Unlike "fii", "ila" indicates movement of an object toward a point. It therefore has both the meaning and the range of usage of its English equivalent "to". For example: Ali went to the seashore.

8. Like "fii", "min" has several different English equivalents . It indicates separation from a point, from an area or volume and also, from a line or surface. Thus it translates the English prepositions "from", "away from", "out of" and "off".

9. Ala : an English equivalent to "ala" is "on, over, above, and onto". "On" indicates locative surface, is usually used to express a relationship between two things but can touch it. Unlike "on", "over" and "above" are used to express a relationship between two things but does not touch it."Onto": "on" indicates locative surface and "to" indicates directive movement.

10. Bi : It is equivalent to Arabic "fii"and "in and at" in English.

11. Li : This Arabic preposition is equivalent to the English prepositions "to and "for".

4. Methodology.

The sample of this study, which consisted of twenty female students, were chosen randomly from Libyan students at the university of Gharyan. The selected members of this sample were students doing their bachelor of arts in the faculty of arts in Gharyan. Arabic is the mother tongue for all ofthem while English is used as a foreign language.A test was conducted to examine the students' abilities to distinguish between English and Arabic prepositions. The test consisted of three questions.

Q1. This question focused only on locative prepositions, in a multiple-choice format.

Q2. This question focused only on directional prepositions, in a multiple-choice format.

Q3. This question focused on both locative and directional prepositions and required the translation of short statements from Arabic into English.

5. Findings .

The researcher reveals three results as follows :

1 . Six (6) students (30 %) passed the exam, and the other fourteen (14) students

(70 %) failed the exam.

2 . Libyan students may tend unconsciously to impose their patterns and structures on English particularly when they express themselves orally or in writing. What we are concerned with here, is the influence of Arabic prepositions on English, which makes students commit these errors.

3 . The major reasons for these mistakes are problems relating to the dominance of the mother tongue, imposing Arabic syntactic structure and meaning on the English language.

In the light of the results of this study, it is noticed that these specific words in English language, which are called prepositions, cause difficulties for Libyan students.

The misunderstanding of some of these words used in the test caused Libyan students to commit errors. Libyan learners are expected to find similar difficulties in the use of English prepositions because although Arabic and English prepositions have some characteristics in common, they differ in both number and usage. The main problem for Libyan learners lies firstly in the fact that not every Arabic preposition has an exact equivalent in English and vice versa, secondly, not every English or Arabic preposition has a definite usage and meaning, indicating only time or space or following / preceding a certain word. For example, the Arabic preposition

" fii" is used as (in, into, at, on, and inside etc.). This particular preposition has therefore great semantic power in both standard and colloquial language use; it is the filter through which all these English equivalents must pass. It is used to denote time and place and occurs with many different Arabic words in abstract and metaphorical usages. Therefore "fii" as well as other Arabic prepositions, interferes in the selection and usage of English ones. Another problem in this area is caused by the English language, which in certain places allows a reasonable degree of freedom of choice with regard to certain prepositions and prepositional phrases. These choices sometimes, confuse the Libyan learner to such an extent that he or she may choose the wrong item, which would, again, negatively influence the quality of the translation. Regarding problems relating to the dominance of the mother tongue, many types of errors that students may commit in translating from their native language into the target one could be attributed to the dominance of their mother tongue, that is the traces by someone's native tongue upon the foreign language into which he or she is translating. Students tend unconsciously to impose their own patterns, semantic and syntactic or any other aspects of their language on the patterns and structures of the target language. The extent and the influence of these traces vary in their number according to the degree of closeness between the two languages and cultures involved in the process of translation as well as the degree of the learner proficiency and command of both the source and the target languages.

Conclusions

The results obtained in this study have led to the following conclusions :

1-The influence of Arabic prepositions on English makes students commit errors.

2-The dominance of the mother tongue Leads students to impose Arabic syntactic structure and meaning on English.

3-The misunderstanding of some English prepositions makes students commit errors.

4-Although Arabic and English prepositions have some characteristics in common, they differ in both number and usage.

5-The main problem for Arab learners is that not every Arabic preposition has an exact equivalent in English and vice versa.

6-English and Arabic prepositions do not always have a definite usage and meaning.

7-The reasonable degree of freedom which the English language allows in certain places, makes students sometimes, choose the wrong item and affects the quality of translation.
8-Arab learners may tend unconsciously to impose their patterns and structures on English particularly when they express themselves orally or in writing.
9-Neither English nor Arabic prepositions can stand by themselves : they get their meanings through their usage in contexts.
10-The number of prepositions in English is more than in Arabic.

References

* *Abbas, H.H. (1985). Some Remarks on the Prepositions (in),(on) and (to) In English and Arabic. Al- Mustansiriya Literary Review. 11:41.50*
* *Celce Murcia, M. and D. Larsen Freeman. (1983) The Grammar Book. Rowley MA: Newbury House.*
* *Gethin, Hugh. (1983) Grammar in Context. London : Collins ELT.*
* *James, C. (1980) Contrastive Analysis. Essex : Longman*
* *Josef, Essberger. (2000) English Prepositions List. Cambridge : CUP*
* *Loushin, Noor AL- Huda. (1995) Prepositions in Arabic : Between Idiom and Function. Benghazi : Benghazi University.*
* *Pittman, G. A. (1966) Activating the Use of Prepositions. London : Longman*
* *Zughoul, M. R. (1973). Teaching English Prepositions to Arab Students. Unpublished MA Thesis, American University of Beirut.*

مراجعة أدبيات البحث هي مرحلة أساسية لأي عمل بحثي.

Writing a Literature Review for EFL Postgraduate Students at the Libyan Academy: common pitfalls and how to avoid them

Dr. Ali Ahmed Elmojahed
The Libyan Academy
School of Languages
Department of English

مستخلص الدراسة:

مراجعة أدبيات البحث هي مرحلة أساسية لأي عمل بحثي. يجب على الباحثين القراءة عن الموضوعات التي اختاروا البحث فيها،حيث أن هذه المراجعة تقدم مسحًا حول ما تم كتابته حول نفس الموضوع من قِبل باحثين آخرين. ومع ذلك،فإنالطلاب ، كما يؤكد العديد من الباحثين الخبراء، يشعرون بالضياع عندما يتعلق الأمر بكتابة الفصل الخاص بمراجعة أدبيات البحث ،وطلاب الدراسات العليا الليبيين في أقسام اللغة الإنجليزية ليسوا استثناءً. ومن غير المرغوب أن يكتشف الممتحنون للأطروحات التي يقدمها هؤلاء الطلاب عادة العديد من الزلات عند كتابة هذا الفصل.إن الهدف من هذه الورقة البحثية هو التحقيق في هذه العثرات وتحليلها وتسليط الضوء عليها في ضوء أعراف وقواعد كتابة فصول مراجعة أدبيات البحث. وباستخدام المقابلات ، كوسيلة لجمع البيانات، تم تحصيل رؤى قيمة من محاضرين و مناقشين ومشرفين ذوي خبرة في مؤسسات التعليم العالي الليبية المتضمنة كل من الأكاديمية الليبية، وجامعة طرابلس، وجامعةالزاوية، وجامعة صبراتة، وجامعة بنغازي وجامعة غريان . وكانت البيانات التي تم جمعها متسقة مع فرضية البحث. وقد أظهرت نتائج هذه الورقة البحثية أن الطلاب لديهم بعض المشاكل في الفصل الخاص بالمراجعة الأدبية . وقد أسهم هذا البحث في تسليطا لضوء على مجالهم من مجالات كتابة الأوراق البحثية. وأشارت النتائج إلى أنهي نبغي إيلاء مزيدمن الاهتمام لكتابة هذا الجزء الهام منالأوراق البحثية.

Abstract

Reviewing the literature is an essential phase for any research work. Researchers have to read about the topics they have chosen to investigate. This review provides a survey about what has been written about the same topic by other researchers.Nevertheless, students, as many expert researchers assert, feel lost when it comes to writing a literature review and post graduate EFL Libyan students are not an exception. Undesirably, examiners of these students' dissertations usually discover many pitfalls in the Literature Review Chapter.

The aim of the current paper is to investigate, analyse and highlight these pitfalls in the light of the conventions and rules of writing literature review chapters. Using semi-structured interviews, invaluable insights have been gathered from experienced lecturers, examiners and supervisors at higher EFL Libyan institutions including the Libyan Academy, Tripoli University, Zawia University, Sabrata University, Bengahzi University and Gharyan University.The collected data was consistent with the hypothesis. The results of the present paper showed that students have some problems in writing a literature review chapter. This investigation contributed in highlighting an important area of writing research

papers. The findings indicated that more attention should be paid to writing this important part of research papers.

0. Introduction

Key terms: Literature Review – Primary sources - Secondary sources – Dissertation

While writing a dissertation students have to follow a systematic structure consisting of introduction, literature and theory, methodology (or materials and methods), results, discussion, and conclusion. Literature review chapter is usually the longest and the second chapter in this order. Its importance lies in the fact that it helps in writing all the other chapters.

The purpose of writing a literature review, as Clark(2007) asserts, is to demonstrate that the writer has insightfully and critically surveyed relevant literature on his or her topic in order to convince an intended audience that the topic is worth addressing.However, examining some literature review chapters written by EFL Libyan students, reveals that there are many drawbacks in these chapters, which weaken the whole dissertation. To confirm this attitude, other colleagues who used to supervise postgraduate students were interviewed and their responses were used as the data of this study.

0.1.The Hypothesis of the study

This research assumes that Libyan EFL postgraduate students have problems in writing an appropriate literature review chapter. Students feel lost when it comes to writing this chapter.Undesirably, examiners of these students' theses usually discover many pitfalls in the Literature Review Chapter. Therefore, it is presumed that the results of this research will provide valuable insights regarding this issue.

0.2.The aims of the study

The purpose of this research paper is to investigate the common pitfalls found in EFL Libyan post-students' writing of a literature review chapter and to point out solutions which other researchers

have found helpful and that may also work for students. The responses of the semi-structured-interviews, conducted with lecturers and examiners at some Libyan post-graduate EFL departments,are used to identify these common pitfalls.Moreover, these responses provided valuable recommendations which will help students to avoid these pitfalls. The paper also aims to provide an overview of the process of planning, undertaking and writing a systematic literature review.

0.3.The significance of the study

This research may fill a gap in the literature. It is not only of concern to students, but also of concern to readers, writers, researchers, critics and other individuals interested in this field. This research may predominantly benefit postgraduate students in EFL departments in writing an appropriate literature review chapter.

1. Study background

1.1.What is meant by "Literature Review?"

As mentioned above, chapter two of a dissertation is usually assigned to the review of related literature. The question is what is meant by Literature Review. Literature, according to Kahn,(1994, p. 335), refers "primarily to creative writing of excellent artistic quality, or at least aiming at high quality. By extension, it can refer to the written work of scholars or researchers".

Generally, literature, as Biggam(2011, p.41) indicates, "refers to written published material". Precisely, it "comes in all shapes and sizes, and is not confined to 'beautiful writing'. Books, articles, reports, official publications, conference papers, theses, newspapers, encyclopedias, all fall within the common definition of literature: they are all written, published sources." ibid p.41. Basically, a literature review, as Taylor, (2019), indicates, "is an account of what has been published on a topic by accredited scholars and researchers." Therefore, it can be concluded that literature is not limited to 'beautiful writing' as might some students' mind go to. A literature review, according to Learning Enhancement Team, at Middlesex University London,(2019, p. 4)is "an effective summary

and synthesis of selected documents on a research topic. It may also include elements of evaluation.(It is) a critical synthesis of previous research which leads logically to the research question(s) that you wish to ask/explore in your project or dissertation"

1.2. Rationale of Reviewing the Literature

It is expected that students will encounter challenges when they startwriting a dissertation, particularly in writing a literature review. As Turabian (2007 p.20)acknowledges,"we know how challenged you can feel when you start a substantial research project, whether it's a PhD dissertation, a BA or master's thesis, or just a long class paper". However, as he recommends, "you can handle any project if you break it into its parts, then work on them one step at a time."

Students, as Biggam(2011, p.13.) asserts, "sort of know that they have to complete something called a Literature Review, but they are at a loss where to start or what it ought to contain" Literature reviews, as Aveyard (2014, p.4) states, "are important because they seek to summarize the literature that is available on any one topic. Terrell, (2016) admits that learning to write a review of literature is daunting; however, he asserts that many guidelines are available.

Firstly, when reviewing the literature students should think about reading before writing. The question is whystudents shouldreview theliterature. In fact, students need to know what has been written by other researchers about the topic that they chose to write about. What is required, as Jackson, (1995, p. 317)emphasizes, "is a sense of the current state of knowledge on the topic under investigation". It is important to make a survey about the previous research work done by others and then, start from where others ended.By reviewing the literature, students can detect a 'gap' to be filled or a new area to be explored. Reviewing the literature will also help students decide which research design and methods are more appropriate for their research. According to Dunleavy, (2003, p, 15), "theses and academic research papers commonly start with some level of literature review. It is quite common for beginning students to wax lyrical in these sections about the limits or inadequacies of previous research in their field.

More importantly, students should find materials relevant to the subject being explored and determine which literature makes a significant contribution to the understanding of the topic. Furthermore, they should determine what are the key theories, concepts and ideas of the work they reviewed. As McCombes (2019) stated,a good literature review is often the foundation for a theoretical framework.Qualified researchers can use it to discuss various theories, models, and definitions of key concepts. The aim of this determination is to be able to compare theory (from their Literature Review) with practice (from their collected primary data, e.g. from interviews or questionnaires).

Although the term "review of literature" generally refers to the second chapter of a dissertation it is worth to mention that it is not the only time a researcher needs to refer to the literature. In fact, literature review will help students knowing more about how to write a good problem statement with its supporting background and significance, guiding the research method of the study, planning the data analysis and presenting the results.

1.3.What should be avoided in the literature review chapter?

While writing the literature review, students should not include everything they read into this chapter. They should not only paraphrase other researchers, but also add their own interpretations where possible.More importantly, they should, at all times, avoid plagiarizing of their sources.

Biggam, (2011, p. 256) summarizes bad practice of literature review chapter as follows:
– Ill-structured Review
– Superficial, skeletal sub-sections (lists, simple descriptions, lack of discussion)
– Concentrating almost exclusively on web sources
– Not offering, or justifying, your own views (i.e. devoid of critical evaluation)
– Lack of development of ideas
– Inconsistent referencing styles
– Plagiarizing work

– No sense of direction
– No obvious relevance to research objectives
– No evidence of need for empirical research
– Ends abruptly with no obvious link to next section (Research Methods)

1.4. Reviewing the Literature (Sources)

As mentioned earlier, when it comes to reviewing the literature students should think about reading before writing. The question is "What should students read?" In fact, there are varieties of sources available for students to read. They can check with a reference librarian for sources. They can also check the appropriate discipline's Abstracts. Abstracts, as Bell, 1999, states, "are invaluable and can save weeks of effort". Abstracts let readers decide whether the research discussed is relevant to their own interests or study. Abstracts also help readers understand the main argument quickly.

One of the most important sources is "journals". Jackson, (1995, p. 315), suggests to check "journals that are likely to publish work on the area. It is advisable to begin by checking through the most recent issues….By starting with the most recent issues (students) will identify the latest research". Other sources include books, theses, government documents, reports, official publications, conference papers, newspapers, encyclopedias and popular media. The internet is considered one of the most valuable sources of information, however, when it comes to writing research this source should be used carefully. As Biggam, (2011, p 41) warns, in the internet "there are also sources of dubious quality (blogs, e-encyclopedias, commercial sites, e-newspaper articles, etc.). If you concentrate on the latter grouping in your literature review, then your work will lack academic credibility".

1.5.Primary, secondary, and tertiary sources

As mentioned earlier, students will be expected to research their topics extensively and it is worth highlighting some of the source

materials that students may find useful. Some of these materials might be classed as primary sources, while others might be thought of as secondary sources. Readers and examiners, in particular, will expect students to use different levels of sources, called primary, secondary, and tertiary. These levels, as (Turabian , 2007, p. 44) asserts "aren't sharply defined categories, but they roughly characterize how researchers think about most sources."

According to: Yale University Library research guides (2019):

Primary sources are original materials on which other research is based.They are from the time period involved and have not been filtered throughinterpretation or evaluation.They are usually the first formal appearance of results in physical, print or electronic format. They present original thinking, report a discovery, or share new information.

Examples include:

- Literary creation: novels, short stories, poems, etc.
- Artifacts (e.g. coins, plant specimens, fossils, furniture, tools, clothing, all from the time under study);
- Audio recordings (e.g. radio programs)
- Diaries;
- Internet communications on email;
- Interviews (e.g., oral histories, telephone, e-mail);
- Journal articles published in peer-reviewed publications;
- Letters;
- Newspaper articles written at the time;
- Original Documents (i.e. birth certificate, will, marriage license, trial transcript);
- Patents;
- Photographs
- Proceedings of Meetings, conferences and symposia;
- Records of organizations, government agencies (e.g. annual report, treaty, constitution, government document);
- Speeches;
- Survey Research (e.g., market surveys, public opinion polls);
- Video recordings (e.g. television programs);

- Works of art, architecture, literature, and music (e.g., paintings, sculptures, musical scores, buildings, novels, poems).
- Web site.

Secondary sources are less easily defined than primary sources.Generally, they are accounts written after the fact with the benefit of hindsight.They are interpretations and evaluations of primary sources.Secondary sources are not evidence, but rather commentary on and discussion of evidence.However, what some define as a secondary source, others define as a tertiary source. Context is everything.

Examples include:

- Bibliographies (also considered tertiary);
- Biographical works;
- Commentaries, criticisms;
- Dictionaries, Encyclopedias (also considered tertiary);
- Histories;
- Literary criticism such as Journal articles;
- Magazine and newspaper articles;
- Monographs, other than fiction and autobiography;
- Textbooks (also considered tertiary);
- Web site (also considered primary).

Tertiary sources consist of information which is a distillation and collection of primary and secondary sources.

- Almanacs;
- Bibliographies (also considered secondary);
- Chronologies;
- Dictionaries and Encyclopedias (also considered secondary);
- Directories;
- Fact books;
- Guidebooks;
- Indexes, abstracts, bibliographies used to locate primary and secondary sources;
- Manuals;
- Textbooks (also can be secondary).

“Secondary sources are books and articles that analyze primary sources, usually written by and for other researchers. … Secondary sources also include specialized encyclopedias and dictionaries that offer essays written by scholars in a field.”(Turabian , 2007, p. 45)

Purposes of using secondary sources:

1. To Keep Up with Current Research.
2. To Find Other Points of View.
3. To Find Models for Your Own Research and Analysis.

As McMillan and Weyers, (2010), recommend, “Always try to read and cite the primary source if you can. Do not rely on a secondary source to do this for you”

1.6.The goals of a review

The following are some goals of a review presented by Jackson, (1995):

- identifying areas where there seems to be consensus among researchers;
- noting when there are inconsistencies in research findings;
- identifying variables that others have found to be relevant to the problem at hand;
- identifying areas which, if explored could lead to important new understandings of the phenomenon under examination;
- seeing how other researchers have made connections to theory; and
- seeing how other researchers have measured variables and analyzed their data.

1.7.Principles for Referencing

Chapter two of a dissertation is usually assigned to Issues and Review of Related Literature. It is usually the longest chapter of a dissertation where students have to provide definitions, theories, and a number of secondary sources written byothers; consequently,it is essential to cite these sources accurately, in text and in the list of references.

Thesis references, as it is suggested by Dunleavy, (2003, p.121), “must always be fully precise, ideally sourcing citations to particular pages, as (Foucault, 1995, pp. 56–9), or at worst indicating a specific chapter, as (Foucault, 1995, Ch. 4)”.

Before students start writing their literature review chapter, it is important to know that there are several different referencing systems, with variations within each. In fact, there are many citation/reference systems, such as, Harvard System, APA (American Psychological Association) Style, MLA (Modern Language Association) system, GB 7714, GOST - Name Sort, GOST - Title Sort, ISO 690 - First Element and Date, ISO 690 - First Numerical Reference, SIST02, and Turabian. Whichever system you choose, it is important to follow a format that is clear and consistent, i.e. do not mix the systems.

2.Data collection, presentation and analysis

Semi-structured interviewing is one of the main methods of qualitative research and personal interviews are common in academic social research. According to Bryman, (2004, p. 251) Semi-structured interviews “are conducted on the basis of a loosestructure consisting of open ended questions that define thearea to be explored, at least initially, and from which theinterviewer or interviewee may diverge in order to pursue anidea in more detail”.

The data for this research was collected by semi-structured interviews conducted with ten lecturers in postgraduate English Departments at different higher Libyan institutions including the Libyan Academy, Tripoli University, Zawia University, Sabrata University,GharyanUniversity and Bengahzi University. The semi-structured interview contained ten Likert-scale Type Questions that ask respondents to categorize a statement by indicating to what extent it occurs in examining dissertations, particularly in literature review chapters. Each statement is followed by a brief explanation which represents the qualitative dimension of the research. **See Appendix1**

The following are the responses of the participants. The first part of the data is quantitatively analysed by using percentages and the

second part is qualitative in nature so it was directly cited in a meaningful manner with small comment on each citation.

2.1. Presentation andanalysis of the collected data

Analysis of question 1

“Students include irrelevant material”

As a response to question one, which inquires to what extent students include irrelevant material in their literature review chapters, 2lecturers (20 %) went to always, whereas 5 (50%) chose sometimes, and 3 indicated rarely. This result shows that the majority of the respondents believe that students include irrelevant material in their literature review chapters.

As an explanation for their responses, one of thelecturersstated, “this happened because some students did not have solid background knowledge about the topic being investigated”. As another respondent revealed,“Most students include irrelevant material perhaps thinking it is relevant or they couldn’t find enough relevant material so they fill in the review with what’s available.” Similarly, another respondent added, “sometimes they do that just to fill space when they fail to find relevant sources”. Another lecturer, however, justified the case as, “students include irrelevant material due to their lack of understanding the purpose of the literature review”. Another comment was, “They may be get distracted due to similarities in topics. They need to be directed by the supervisor”.

Analysis of question 2

“Students do not present varieties of sources.”

As a reply to question 2, which asks whether students do not present varieties of sources, 3lecturers (30%) went to always, 5 (50%) chose sometimes, 1 (10%) went to rarely and another lecturer (10%) chose rarely. Once more, this result indicates that the majority of the respondents believe that students do not present varieties of sources in their literature review chapters.

As justification for their responses, one of the lecturers mentioned, “Nowadays, most students tend to use online resources as it seems

to be easy to get an access to. The other issue is that some of them do not know how to search for reliable resources using different searching techniques". Another lecturer added, "All students cannot possibly present a good variety of sources due to the shortage of such sources or sometimes the unavailability of sources such as specialized journals or up-to-date textbooks". Another lecturer ascribed the reason to, "their lack of access to these resources. They also lack training of how to locate the different sources". Similarly, another lecturer mentioned, "With the limited references available in Libyan libraries, students use the internet with no experience, so it is expected to have limited sources". Another lecturer also mentioned the 'unavailability' and added, "The lack of sources in libraries makes them use only a few. Sometimes, they may not have enough access to the Internet. As well as they may not know how to distinguish between the materials they have".

Analysis of question 3

"Students overuse long, direct quotation."

As a reaction to question three which asks if the students overuse long, direct quotation, 3 lectures (30%) went to always, 6 (60%) chose sometimes, and 1 (10%) went to rarely. This result indicates that most of the respondents believe that some studentsoveruse long, direct quotationin their literature review chapters.

As an explanation for their responses, about the above statement, one of the lecturers stated, "… because they think long quotations is an advantage and think the more they use long quotations the better it is for their research. Again it is a matter of lack of understanding of the purpose of the literature review". Another lecturer, however, attributed the case to the lack of reading and writing skills, "There are many students who lack the skills of summarizing and paraphrasing information or lack the skills of understanding what they read, as a result they tend to use long and direct quotations". Another lecturer mentioned a different justification, "Most students revert to this technique (overuse of DQs) as they avoid having to paraphrase quotations for fear of making mistakes". Another lecturer ascribed the case to "Less experience and knowledge of the Harvard

system, for example, and less self-writing creativity make them use long citation". Another lecturer ascribed the case to, "… because they think that they can quote as much as possible. This is because of not enough awareness of the basics of research methodology".

Analysis of question 4

"Students start writing their dissertation before reviewing the literature"

As a reply to question 4 which asks to what extent the students start writing their dissertation before reviewing the literature, 1 lecturer (10%) went to always, 8 (80%) chose sometimes and another lecturer (10%) went to rarely. This result also indicates that most of the respondents believe that some students start writing their dissertation before reviewing the literature.

As a justification for their responses, one of the lecturers stated, "… because they do not understand that the literature review purpose is to inform their students and give them the directions of how to start their dissertation". Another lecturer believed that it is the responsibility of the supervisor, and mentioned "This is a common problem among postgraduate students; a part of it is attributed to the lack of good supervision. A good supervisor should ask his/her student to read in the selected topic to the point that the supervisor is convinced that his student is well aware of the topic he or she will write about and whether he or she has enough references to cover all the parts of the work or not". Another lecturer added, "In fact, this usually happens due to one main reason, i.e. the students are not well-trained to write a research paper properly".Another lecturer ascribed the case to: "Some students rush to finish their work as quickly as possible and rely on their limited background knowledge about the topic which is insufficient". Another lecturer, however, differed, "Most students do that anyway; having specified a particular research focus they write a research statement and questions before they turn to the introduction. After that they start searching for LR sources".

Analysis of question 5

"Students provide only a list describing one piece of literature after another."

As a response to question 5 which asks whether students provide only a list describing one piece of literature after another, 3 lecturers (30 %) chose always, whereas 4 (40%) went to sometimes and 3 lecturers (30 %) chose rarely. This result reveals that the majority of the respondents believe that some students, when writing their literature review chapter, provide only a list of studies describing one piece of literature after another.

As a justification for their responses, about this statement, one of the lecturers asserted, “they list the sources without connecting them because they lack the techniques of academic writing”. Another lecturer added, “I think such students either have not received enough training on how to write literature or did not work hard to find out how literature should be written”. Another lecturer attributed the case to: “Some students do that because they lack the skill of writing coherently and they do not bother to re-read critically what they write before submission”. As another lecturer added, “Literature review section or chapter should be written in a critical way with certain coherence that the reader understands the sequence of the events and the opinion of the writer”. Another lecturer ascribed the case to: “This is because things are not clear. They feel satisfied with only listing the materials they read for literature review. Critical thinking of what they read is absent. This means that they add no value to their work. They have to discuss and know how to relate what they quote”.

Analysis of question 6

“Students do not organize the literature review into sections that present themes or identify trends,including relevant theory.”

As a reaction to question 6 which asks whether students do not organize the literature review into sections that present themes or identify trends, including relevant theory, 3 lecturers (30%) went to always, 5 lecturers (50%) chose sometimes, and 2 (20%) went to rarely. The responses to this question varied from always to sometimes to rarely, yet most of the responses indicated that students’ literature review chapters lack this organization.

As an explanation of their responses to this statement, one of the lecturers ascribed the case to:“the lack of understating on how to write a literature review”.Anotherlecturer added, “because of the

lack of writing skills, students tend to use cut and paste strategy".However, asanotherlecturer asserted, "Most do this. This is considered an advanced skill that even experienced writers fail to perfect".Anotherlecturer added, "This is important with deductive research because it is important that the researcher has a theoretical background which he will base his study on. Supervisor's assistance is vital here".

Analysis of question 7

"The literature review chapter is devoid of critical evaluation."

As a response to question 7 which asks whether the literature review chapters, written by students, lack critical evaluation, 6 lecturers (60%) went to always, whereas 4lecturers (40%) chosesometimes. The result of this question reveals clearly that the majority of the respondents believe that the literature review chapters, written by students are devoid of critical evaluation.

As an explanation of their responses to this statement, one of the lecturers asserted, "because students are not used to writing critically when they were undergraduate students". Another lecturer added, "Most students depend on surface reading rather than critical reading, because they do not have the skills of reflection and reading critically. Others believe that literature review is just taking quotations from different resources and put them one after another". As another lecturer mentioned, "I think all students fail to provide a critical appraisal of theoretical concepts or theories; they simply have not been trained to think and write critically in their undergraduate or graduate programs". As another lecturer cited,"Yes, just narrative work is not enough. What has been written about the student's topic should be dealt with in a critical way. This technique needs experience which comes with more practices".

Analysis of question 8

"Students have problems in writing the theoretical part."

As a response to question 8 which asks whether the students have problems in writing the theoretical part, 6 lecturers (60%) went to

always, whereas 4 lecturers (40%) chose sometimes. The result of this question also reveals evidently that the majority of the respondents believe that students have problems in writing the theoretical part of the literature review chapters.

As a justification for their responses, about this statement, one of the lecturers ascribed the case to, “the reason could be due to the fact they did not do enough reading about the topic”. Another lecturer attributed the case to,“because they have not identified the concepts that are relevant to their study”. As another lecturer added, “The theoretical part of any study is vital. Any work without theoretical background is baseless”. Another lecturer recommended students to: “read more and more about the topic they are going to discuss”.

Analysis of question 9

“Students have problems in arranging the previous studies chronologically.”

Concerning question 9 which asks whether students have problems in arranging the previous studies chronologically, 2 lecturers (20%) went to always, 4 (40%) chose sometimes, and 2 (20%) went to rarely, and another 2 lecturers (20%) chose rarely. The responses to this question varied from always to sometimes to rarely, and never. Yet,the majority of the responses indicate that students have problems in arranging the previous studies chronologically.

As an explanation of their responses to this statement, one of the lecturers attributed the case to, “because they are not used to academic writing”. Similarly, another lecturer asserted, “because they did not receive sufficient training and are not aware of the principles of writing academic paper”. Another lecturer, however, argued, “I don’t see that as a problem for students. Dates of references are clearly visible and students can easily arrange previous studies in chronological order”. Anotherlecturer added, “Following the events according to their date of issue is not a big deal; however, linking the events in logical order and presenting it in a critical manner is the problem”.

Analysis of question 10

“Students use slang expressions, colloquialisms, idioms or contractions”

Regarding question 10 which asks whether students use slang expressions, colloquialisms, idioms or contractions when writing literature reviews, 6 lectures (60%) went to sometimes, 3 (30%) chose rarely, and 1 (10%) went to never. The responses to this question varied from sometimes to rarely, and never. However, the majority of the responses indicated that some students use slang expressions, colloquialisms, idioms or contractions when writing literature reviews.

As an explanation for their responses, about the above statement, one of the lecturers stated, “They think such language or idioms will be easily understood by the reader, because they usually target the local audience and rarely think globally”.Another lecturer detailed, “I say that colloquial expressions are few; idioms are few; and contractions are mostly used”.As another lecturer justified, “because they cannot distinguish between academic writing and other types of writings”. Another lecturer asserted the case and recommended. “Yes, many students need to attendan academic writing course given by qualified tutor to be able to avoid these pitfalls”.

3. Discussion

According to the literature it is expected that postgraduate students will encounter challenges when they start writing a dissertation, particularly in writing a literature review. Many researchers as Turabian (2007), Biggam, (2011), Aveyard, (2014), and Terrell, (2016) referred to these challenges. Rationally, the collected data, in the present research, was consistent with the hypothesis that Libyan EFL postgraduate students have problems in writing an appropriate literature review chapter. The results of the present paper confirmed this hypothesis. The findings indicated that more attention should be paid to writing this important part of research papers. The responses of the semi-structured-interviews, conducted with lecturers and examiners at some Libyan post-graduate EFL departments, were used to identify these common pitfalls. These responses provided valuable recommendations which will help students to avoid these pitfalls when writing the literature review chapter.

4. Conclusion and recommendations

Writing a literature review chapter is demanding, therefore, students usually encounter some difficulties in providing an appropriate, free of pitfalls one. This paper investigated, analyzed and highlighted these pitfalls in the light of the conventions and rules of writing a literature review chapter. Invaluable insights have been gathered from experienced lecturers, examiners and supervisors at higher EFL Libyan institutions using semi-structured interviews.

The pitfallsare represented in the following instances:1) Some students include irrelevant material in their literature review chapters. 2) Most students do not present varieties of sources in their literature review chapters. 3)Most students overuse long, direct quotation in their literature review chapters. 4)Most students start writing their dissertation before reviewing the literature. 5)Most students provide only a list of studies describing one piece of literature after another. 6)Most students fail to organize the literature review into sections that present themes or identify trends, including relevant theory. 7) Some of the literature review chapters, written by students are devoid of critical evaluation. 8)Most students have problems in writing the theoretical part of literature review chapters. 9) Some students have problems in arranging the previous studies chronologically. 10)Some students use slang expressions, colloquialisms, idioms and particularly contractions when writing literature reviews.

For a better improvement in writing a literature review chapter, it is **recommended** that students review the literature before undertaking their own to reduce the risk of repeating prior research efforts or choosing incorrect research methods, supervisor's assistance is vital here. Supervisees usually need to be directed by the supervisors. Supervisors should recommend their supervisees to read extensively in the selected topic before writing the literature review chapter. Moreover, supervisors should provide their supervisees with constructive feedback and follow up to keep them on the right track. Furthermore, for more effective practice, in research methodology, courses, students can be given poor and good literature review chapters to be evaluated and discussed in

groups. If these recommendations have been taken into account, students surely will provide appropriate literature review chapters.

REFERENCES

Aveyard, H,. (2014). Doing a Literature Review in Health and Social Care- A practical guide. 3rd ed. Open University Press.

Bell, J. (1999) Doing your research project 3rd ed. Buckingham: Open University Press

Biggam, J. (2011). Succeeding with your Master's Dissertation. 2nd. Ed. A step-by-step handbook. Open University Press.

Bryman, A. (2004) Social Research Methods. Oxford University press.

Clark, I. L. (2007). Writing the Successful Thesis and Dissertation: Entering the Conversation. Upper Saddle River: Prentice Hall.

Dunleavy, P. (2003). Authoring a PhD How to plan, draft, write and finish a doctoral thesis or dissertation. Palgrave Macmillan.

Fit, M, R. H, (2011). An Investigation of the Doctoral Dissertation Literature Review: From the Materials We Use to Prepare Students, to the Materials That Students Prepare. PhDDissertation. Utah State University.

Jackson, W.,(19950. Methods: Doing Social Research. Prentice-Hall Canada Inc., Scarborough, Ontario.

Kahn, J, E, K. ed., (1994). How to Write and Speak Better. The Reader's Digest Association Limited, London.

Learning Enhancement Team, 2019. How to write a literature Review. Middlesex University London. Available at: file:///C:/Users/userr/Downloads/How-To-Write-A-Literature-Review-New-Format.pdf. Accessed on 18/November 2019.

McCombes, S., 2019. How to write a literature review. Available at: https://www.scribbr.com/author/shona/ Accessed on 18/ November 2019.

McMillan, K., andWeyers., J., (2010). How to Write Dissertations and Project Reports. Pearson Education Limited - Edinburgh Gate.

Terrell, S., R., (2016). Writing a Proposal for Your Dissertation - Guidelines and Examples. The Guilford Press. New York.

Turabian , K, L., (2007). A Manual for Writers of Research Papers, Theses, and Dissertations. 7th ed. The University of Chicago Press.

Yale University Library research guides. Accessed on Nov. 12, 2019. Available at:https://guides.library.yale.edu/complit

Appendix 1 **Structured Interview questions**

Dear colleague:

You are kindly requested to participate in this Structured Interview. The interviewresponseswill be a part of data collection for a research paper investigating postgraduate students' common pitfalls which appear in the Literature Review Chapter. Your participation in this study is voluntary and anonymous. Your contribution is highly appreciated.

Please, indicate which of the following common pitfalls appear in the students' Literature Review Chapter: (please provide a brief explanation for your choice in the space provided)

When writing Literature Review:

1. Students include irrelevant material. **Always - Sometimes - Rarely - Never**

……

Studentsdo not present varieties of sources. **Always - Sometimes - Rarely - Never**

……

Students overuse long, direct quotations **Always - Sometimes - Rarely - Never**

……

Studentsstart writing their dissertation before reviewing the literature **Always - Sometimes - Rarely - Never**

……

2. Students provide only a list describing one piece of literature after another.

Always - Sometimes - Rarely - Never

……

3. Students do not organize the literature review into sections that present themes or identify trends,

including relevant theory.**Always - Sometimes - Rarely - Never**

……

The literature review chapter is devoid of critical evaluation.**Always - Sometimes - Rarely - Never**

……

Students have problems in writing the theoretical part.**Always - Sometimes - Rarely - Never**

……

4. Students have problems in arranging the previous studies chronologically.

Always - Sometimes - Rarely - Never

……

5. Students use slang expressions, colloquialisms, idioms or contractions

Always - Sometimes - Rarely - Never

……

تطبيق طريقة التحكم التنبؤي المعمم للتحكم في مستوى السوائل لنظام خزانين مقترنين

Application of Generalized Predictive Control toa

Coupled-Tank Liquid Level System

Mustafa M. Omar Basheer

مستخلص:

هذا البحث يمثل دراسة تفصيلية للتحكم التنبؤي (Dynamic Predictive Control), وقد تم تطبيق هذه الطريقة على نظام تحكم مستوى السائل في خزانين مقترنين(Coupled-Tank Liquid Level System) واختصارا (CTL), ولتصميم متحكم خطي متين لهذا النظام استخدمنا نوعين مختلفين من الحاكمات فكانت الطريقة الأولى المستخدمة هي التحكم التنبؤي(Generalized Predictive Control) (واختصارا (GPC)، وهي من طرق التحكم المثالي التي تتضمن خطوات تحسين التحكم بواسطة النموذج الرياضي للنظام المراد التحكم فيه ودالة تحسين الآداء (Optimization Function). أما الجزء الثاني من هذه الدراسة يتضمن تطبيق المتحكم التقليدي (المتحكم التناسبي التكاملي التفاضلي PID) للتحكم في نفس النظامباستخدام طريقتين تقليديتين؛وأخيرا تمت دراسة استجابة النظام مع وجود المتحكم الأول و الثاني ثم الثالث بدون أي تأثيرات خارجية عليه, و مع إدخال بعض التشويش على خرج النظام أيضا تمت

مقارنة كيفية معالجة الطريقتين لهذا التشويش مع مناقشة جميع النتائج بشكل علمي وصولا إلى استنتاجات قيمة تمثل الأهداف المرجوة من هذا البحث.

Abstruct

This paper describes a dynamic predictive control technique applied to the Coupled-Tank Liquid Level System (CTL). The underlying robust linear controller design of CTL level control was done with two different approaches. A first attempt was based on a Generalized Predictive Control method (GPC); it includes an optimization tool that consists of a simulation model and an optimization function. A second attempt was made using two conventional PID controllers.

Finally the response of the CTL system with GPC controller and conventional PID controllers is compared under the nominal case and the effect of the uncertainty such as disturbance and white-noise are considered.

1- Introduction

Model Based Predictive Control (MBPC), or Model Predictive Control (MPC) refers to a class of control algorithms that compute a manipulated variables profile by utilizing a linear process model, and using this model to calculate that sequence of future control signals or manipulated variables in such a way that it minimize a multistage cost function (objective function) defined over a prediction horizon. This procedure is repeated at each control interval or sampling time with the process measurements used to update the optimization problem [8], [7], [1], [9].

This class of control algorithms, which is also referred to as Receding Horizon Control (RHC), or Moving Horizon Control (MHC), has achieved a significant level of success in industrial applications during the last twenty years. Recently, it has been applied in other sector of process industry. In addition to the industrially developed controllers, there have also been several implementations of linear MPC presented by academic researchers. Most of these implementations were developed for adaptive and optimal control [7], [6], [8], [9].

The MPC controller uses a linear transfer function, state-space, or conventional input-output model to represent the processes.

These models can be obtained from process tests using time series analysis techniques that do not require a significant fundamental modeling effort.

Multivariable processes can easily be handled by superposition of these linear models. Optimization of open loop performance objective is performed by either linear or quadratic programming algorithms. These algorithms are efficient and robust, which is essential for on-line applications [7], [9].

A verity of MPC controllers have been proposed like GPC, DPC, LPR, and DMC. In this paper we will study GPC technique and apply it to a system that is widely used in industrial systems, which is known as a Coupled-Tank Liquid levelsystem.

Liquid level control is always in great demand in thechemical industry, petrochemical refining, water treatment, power generation and construction material production. In these technological processes, the fluid is pumped, stored in a tank, and then pumped to another tank. Over the liquid is processed by chemical reaction and/or agitation in the tank, where the liquid level in the tank is controlled. The coupled tank systems are commonly used in industries and the master of controlling the level of liquid in the tank, the flow control between the tanks is an important of all technological process control systems [12].

2- Coupled-Tank Liquid Level System Model

According to figure (1), the CTL system used in this paper was studied in a previous research published in 2017 [12], so we will not detail how to derive the mathematical model of this system, and we satisfied the transfer function that was extracted in that study, which wasas follows:

$$G(s) = \frac{\Delta L_2}{\Delta u} = \frac{0.1074}{s^2+0.362s+0.007} \quad (1)$$

where,

L_2isthe real physical level in the second tank[cm].

u is the manipulating voltage applied to electric valve [v].

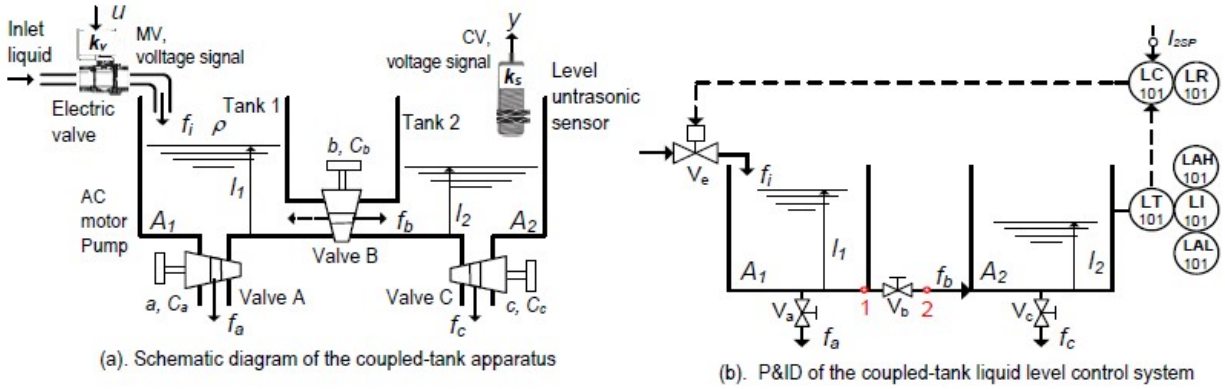

Figure (1): Coupled-Tank Liquid Level System (CTL).

3- Principle of Generalized Predictive Control (GPC)

The GPC method was proposed by Clarke *et al*, and has become one of the most popular MPC methods both in industry and academia. It has been successfully implemented in many industrial applications, showing good performance and a certain degree of robustness. GPC is widely used in the control community because it is able to control non-minimum phase plants, unstable open loop plants, and plants with variable or unknown dead time. The GPC algorithm is the successor of a generalized minimum variance controller; a minimum variance controller design minimizes the variance of the sensor output that is to be controlled [9].

The basic idea of GPC is to calculate a sequence of future control signals in such a way that it minimizes a multistage cost function defined over a prediction horizon. The GPC design algorithm estimates the future outputs and designs a controller to make the predicted output be as close as possible to the desired future output [5].

The future behavior of the system output is predicted based on a system model and available past data. The future control signal is then calculated to minimize the cost function, which enables the predicted output be as close as possible to the desired future output. The first two steps, shown in figure (2), are performed open loop to minimize the error, $e(t)$, between the projected output and the reference input (set point). The loop is then closed by applying the calculated control signal to the system [11].

The GPC scheme can be seen in Figure (3).

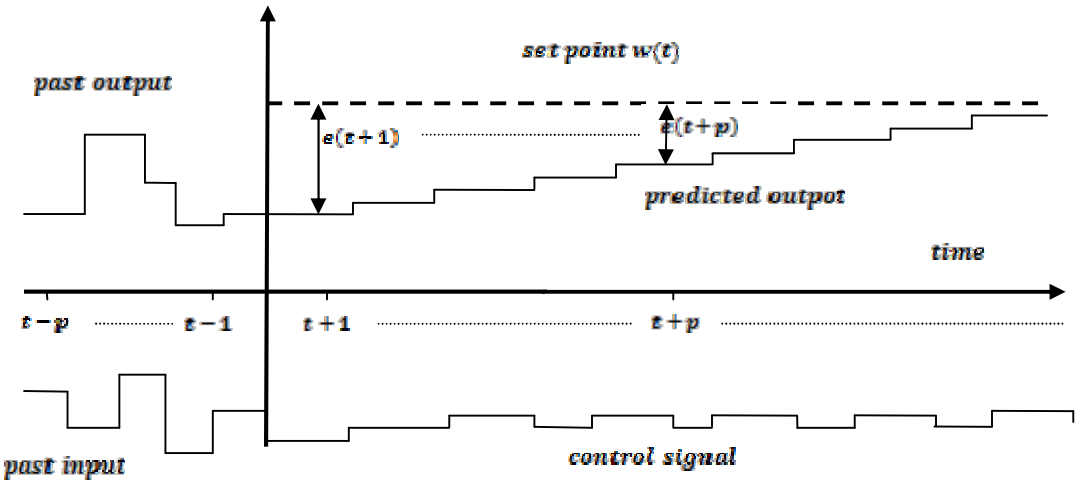

Figure (2): Basic GPC steps.

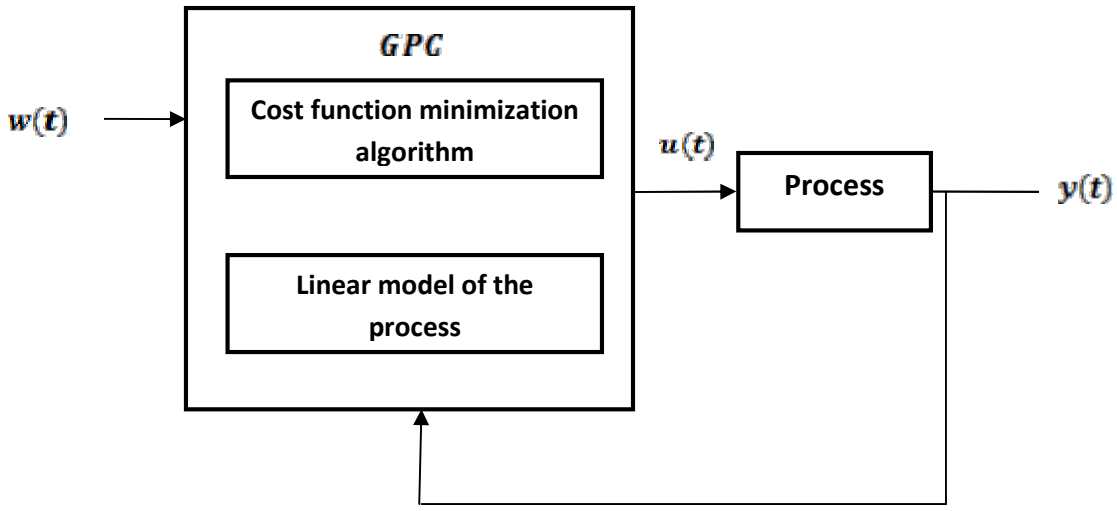

Figure (3): Basic structure of GPC.

4- Formulation of Generalized Predictive Control

The methodology of GPC is illustrated by using the process model as shown in figure (2), this model called CARIMA(controlled auto-regressive integrating moving-average) model.

$$A(z^{-1})y(t) = B(z^{-1})u(t-1) + C(z^{-1})\frac{e(t)}{\Delta} \quad (2)$$

with, $\Delta = 1 - z^{-1}$

Where,$u(t)$ and $y(t)$ are the control and output sequence of the plant and $e(t)$ is a zero mean white noise. For simplicity, in the following the C polynomial is chosen to be 1. Notice that if $C(z^{-1})$ can be truncated it can be absorbed into A and$B$ [2], [5].

The GPC algorithm consists of applying a control sequence that minimizes a multistage cost function of the form:

$$J(N_1, N_2, N_u) = E\{\sum_{j=N_1}^{N_2}[\hat{y}(t+j/t) - w(t+j)]^2 + \sum_{j=1}^{N_u}\lambda(j)[\Delta u(t+j-1)]^2 \quad (3)$$

Where E{•}represents the mathematical expectation,$\hat{y}(t+j/t)$ is an optimum *j*-step ahead prediction of the system output on data up to time t, N_1 and N_2 are minimum and maximum costing horizon, N_u is the control horizon, $\lambda(j)$ are weighting sequence, and $w(t+j)$ is the future reference trajectory, which can be considered to be constant.

The objective of GPC is to compute the future control sequence $u(t)$, $u(t+1)\cdots$in such a way that the future plant output $y(t+j)$is driven close to$w(t+j)$,this is accomplished by minimizing $J(N_1, N_2, N_u)$ [2], [4], [5].

In order to deduce the prediction $\hat{y}(t+j/t)$ via (3), let us first introduce the Diophantine equation [4], [5], [9].

$$1 = E_j(z^{-1})\tilde{A}(z^{-1}) + z^{-j}F_j(z^{-1}) \quad (4)$$

with,

$$\check{A}(z^{-1}) = \Delta A(z^{-1})$$

The polynomials E_j and F_j are uniquely defined with degree $j-1$ and n_a respectively. They can be obtained dividing one by $\check{A}(z^{-1})$ until the remainder can be factorized as $z^{-j}F_j(z^{-1})$. The quotient of division is the polynomial $E_j(z^{-1})$.

If equation (2) is multiplied by $\Delta E_j(z^{-1})z^{-j}$ we get,

$$\check{A}(z^{-1})E_j(z^{-1})y(t+j) = E_j(z^{-1})B(z^{-1})\Delta u(t+j-1) + E_j(z^{-1})e(t+j) \quad (5)$$

Substitute equation (4) into equation (5) give,

$$(1-z^{-j}F_j(z^{-1}))y(t+j) = E_j(z^{-1})B(z^{-1})\Delta u(t+j-1) + E_j(z^{-1})e(t+j)$$

It could be rewritten as:

$$y(t+j) = F_j(z^{-1})y(t) + E_j(z^{-1})B(z^{-1})\Delta u(t+j-1) + E_j(z^{-1})e(t+j) \quad (6)$$

As the degree of polynomial $E_j(z^{-1}) = j-1$ the noise terms in equation (6) are all in the future [5]. The best prediction of $y(t+j)$ is therefore,

$$\hat{y}(t+j/t) = G_j(z^{-1})\Delta u(t+j-1) + F_j(z^{-1})y(t) \quad (7)$$

where,

$$G_j(z^{-1}) = E_j(z^{-1})B(z^{-1})$$

Since $G_j(z^{-1})$ is the convolution of $E_j(z^{-1})$ and $B(z^{-1})$, it is easy to calculate $G_j(z^{-1})$ and, hence, the coefficients of $E_j(z^{-1})$ and $F_j(z^{-1})$ can be easily obtained [3], [5].

The polynomials $E_j(z^{-1})$ and $F_j(z^{-1})$ can be expressed as:

$$F_j(z^{-1}) = f_{j,0} + f_{j,1}z^{-1} + \cdots + f_{j,na}z^{-na}$$

$$E_j(z^{-1}) = e_{j,0} + e_{j,1}z^{-1} + \cdots + e_{j,j-1}z^{-(j-1)}$$

Suppose that the same procedure is used to obtain $E_{j+1}(z^{-1})$ and$F_{j+1}(z^{-1})$, that is, dividing 1 by $\tilde{A}(z^{-1})$ until the remainder of the division can be factorized as $z^{-(j+1)}F_{j+1}(z^{-1})$ with,

$$F_{j+1}(z^{-1}) = f_{j+1,0} + f_{j+1,1}z^{-1} + \cdots + f_{j+1,na}z^{-na}$$

It's clear that only another step of the division performed to obtain the polynomials $E_j(z^{-1})$ and $F_j(z^{-1})$ has to be taken in order to obtain the polynomials $E_{j+1}(z^{-1})$ and $F_{j+1}(z^{-1})$. The polynomial $E_{j+1}(z^{-1})$ will be given by:

$$E_{j+1}(z^{-1}) = E_j(z^{-1}) + e_{j+1,j}z^{-j}$$

With, $e_{j+1,j} = f_{j,0}$

The coefficients of polynomial $F_{j+1}(z^{-1})$ can then be expressed as:

$$f_{j+1,i} = f_{j,i+1} - f_{j,0}\hat{a}_{i+1} \quad i = 0 \cdots na - 1$$

The polynomial $G_{j+1}(z^{-1})$ can be obtained recursively as follows:

$$G_{j+1}(z^{-1}) = E_{j+1}(z^{-1})B(z^{-1})$$

$$= (E_j(z^{-1}) + f_{j,0}z^{-j})B(z^{-1})$$

$$= G_j(z^{-1}) + f_{j,0}z^{-j}B(z^{-1})$$

This is, the first *j* coefficient of $G_{j+1}(z^{-1})$ will be identical to those of $G_j(z^{-1})$ and the remaining coefficients will be given by:

$$g_{j+1,j+i} = g_{j,j+i} - f_{j,0}\ b_i \quad i = 0 \cdots nb$$

To solve the GPC problem the set of control signals $u(t),\ u(t+1) \cdots, u(t+N)$ has to be obtained in order to optimize

cost function. With unknown time delay,N_1 can often be taken as 1 because the GPC quite insensitive to variations in the time delay [5], [9], N_2should be as large when the plant dynamics is sufficiently represented (i.e., as large when the effect of the current control increment isincluded). Since the multi-step prediction and optimization is adopted, even when the delay is not estimated correctly or the delay is changed, one can still achieve reasonable control from the overall optimization. This is the important reason why GPC has robustness with respect to the modeling inaccuracy [3], [4], [5], [9].

Applying the prediction model (7) yields,

$$\hat{y}(t+1/t) = G_1(z^{-1})\Delta u(t) + F_1(z^{-1})y(t)$$

$$\hat{y}(t+2/t) = G_2(z^{-1})\Delta u(t+1) + F_2(z^{-1})y(t)$$

$$\vdots$$

$$\hat{y}(t+N/t) = G_N(z^{-1})\Delta u(t+N-1) + F_N(z^{-1})y(t)$$

which, can be written as:

$$\mathbf{Y} = \mathbf{GU} + \mathbf{F}(z^{-1})y(t) + \dot{\mathbf{G}}(z^{-1})\Delta u(t-1) \tag{8}$$

where

$$\mathbf{Y} = \begin{bmatrix} \hat{y}(t+1/t) \\ \hat{y}(t+2/t) \\ \vdots \\ \hat{y}(t+N/t) \end{bmatrix} \mathbf{U} = \begin{bmatrix} \Delta u(t) \\ \Delta u(t+1) \\ \vdots \\ \Delta u(t+N-1) \end{bmatrix}$$

$$\mathbf{G} = \begin{bmatrix} g_0 & 0 & \cdots & 0 \\ g_1 & g_0 & \cdots & 0 \\ \vdots & \vdots & \vdots & \vdots \\ g_{N-1} & g_{N-2} & \cdots & g_0 \end{bmatrix} (N \times N_u) matrix.$$

$$\dot{\mathbf{G}}(z^{-1}) = \begin{bmatrix} (G_1(z^{-1}) - g_0)z \\ (G_2(z^{-1}) - g_0 - g_1 z^{-1})z^2 \\ \vdots \\ \left(G_N(z^{-1}) - g_0 - g_1 z^{-1} - \cdots - g_{N-1} z^{-(N-1)}\right)z^N \end{bmatrix}$$

$$\mathbf{F}(z^{-1}) = \begin{bmatrix} F_1(z^{-1}) \\ F_2(z^{-1}) \\ \vdots \\ F_N(z^{-1}) \end{bmatrix}$$

Notice that the last two terms in equation (8) only depend on the past and can be grouped into $\boldsymbol{f}$ leading to:

$$\mathbf{Y} = \mathbf{GU} + \boldsymbol{f} \tag{9}$$

If a unit step is applied to the input at time t; that is

$\Delta u(t) = 1, \Delta u(t+1) = 0, \cdots, \Delta u(t+N-1) = 0$

The expected output sequence $[\hat{y}(t+1), \hat{y}(t+1), \cdots, \hat{y}(t+1)]^{\mathrm{T}}$ is equal to the first column of matrix **G**. That is, the first column of matrix **G** can be calculated as the step response of the plant when a unit step is applied to the manipulated variable [5], [9].

The free response term can be calculated recursively by:

$f_{j+1} = z\left(1 - \check{\mathrm{A}}(z^{-1})\right) f_j + B(z^{-1})\Delta u(t+j)$

with $f_0 = y(t)$ and $\Delta u(t+j) = 0$ for $j \geq 0$.

By substitute equation (9) into (3), the cost function can be written in the vector form,

$$\boldsymbol{J} = (\mathbf{GU} + \boldsymbol{f} - \mathbf{W})^{\mathrm{T}}(\mathbf{GU} + \boldsymbol{f} - \mathbf{W}) + \lambda \mathbf{U}^{\mathrm{T}}\mathbf{U} \tag{10}$$

where,

$\mathbf{W} = [w(t+1)w(t+2) \cdots w(t+N)]^{\mathrm{T}}$

Equation (10) can be written as:

$$\boldsymbol{J} = 0.5\, \mathbf{U}^{\mathrm{T}}\mathbf{HU} + \mathbf{b}^{\mathrm{T}}\mathbf{U} + \boldsymbol{f_0} \tag{11}$$

where,

$$\mathbf{H} = 2\,(\mathbf{G}^{\mathrm{T}}\mathbf{G} + \lambda \mathbf{I})$$
$$\mathbf{b}^{\mathrm{T}} = 2\,(\boldsymbol{f} - \mathbf{W})^{\mathrm{T}}\mathbf{G}$$
$$\boldsymbol{f_0} = (\boldsymbol{f} - \mathbf{W})^{\mathrm{T}}(\boldsymbol{f} - \mathbf{W})$$

The minimum of J, assuming there are no constraints on the control signals, can be found by making the gradient of J equal to zero, which leads to the corresponding control law as below:

$$\mathbf{U} = -\mathbf{H}^{-1}\mathbf{b} = (\mathbf{G}^{\mathrm{T}}\mathbf{G} + \lambda\mathbf{I})^{-1}\mathbf{G}^{\mathrm{T}}(\mathbf{W} - \boldsymbol{f}) \tag{12}$$

Notice that the control signal that is actually sent to the process is the first element of vector $\mathbf{U}$, which is given by:

$$\Delta u(t) = \mathbf{K}(\mathbf{W} - \boldsymbol{f}) \tag{13}$$

where $\mathbf{K}$ is the first row of the matrix $(\mathbf{G}^{\mathrm{T}}\mathbf{G} + \lambda\mathbf{I})^{-1}\mathbf{G}^{\mathrm{T}}$.

So, According to the previous discussions the GPC control law could be illustrated as following in Figure (4) [5].

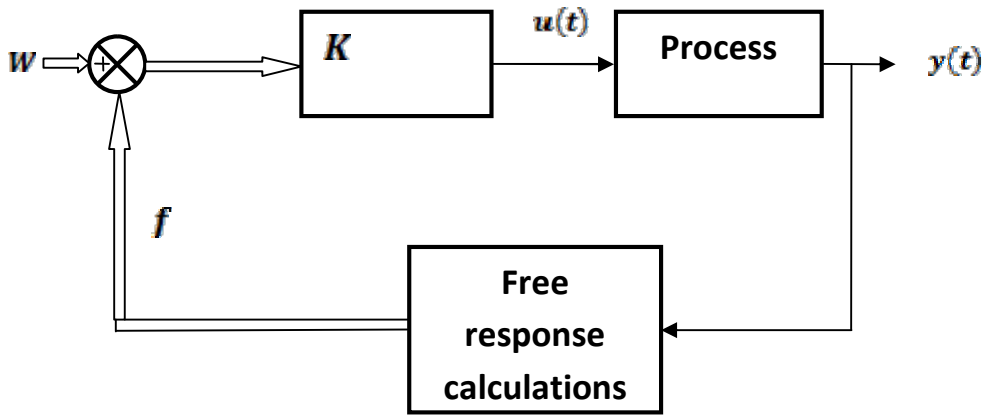

Figure (4): GPC control law.

5- The GPC Controller Design of CTL System

To design the GPC controller for the CTL system described in [12], we first obtain the mathematical form of the system in the discrete input/output CARIMA form. This discrete equivalence can be easily obtained by discretizingthe continuous time transfer function of the CTL system.This can be produced as follows:

$$y(t) = 1.996\,y(t-1) - 0.9964\,y(t-2) + 0.04774\,u(t-1) + 0.04232\,u(t-2) + \frac{e(t)}{\Delta}$$

where,

$$A(z^{-1}) = 1 - 1.996\,z^{-1} + 0.0.9964\,z^{-2}, \quad na = 2$$

$$B(z^{-1}) = 0.04774 + 0.04232\,z^{-1}, \quad nb = 1$$

$$C(z^{-1}) = 1$$

and*e(t)* is zero mean white noise.

and,

$$\check{A}(z^{-1}) = \Delta A(z^{-1}) = 1 - 2.996\,z^{-1} + 2.9924\,z^{-2} - 0.9964\,z^{-3}$$

Depending on the GPC algorithm and the CTL mathematical model which developed and discussed in [12], the incremental program was built to calculate the desired control signal.This incremental program was designed and implemented in MATLABenvironment.The system Diophantine equation was solved based on the polynomials $A$and B. Where horizons are $N_1 = 1$and $N_u = N_2 = 10$. Theincremental program results polynomials E and F as below:

$$E_1 = 1$$

$$E_2 = 1 + 2.996z^{-1}$$

$$E_3 = 1 + 2.996z^{-1} + 5.9836z^{-2}$$

$$E_4 = 1 + 2.016z^{-1} + 5.9836z^{-2} + 9.9581z^{-3}$$

$$E_5 = 1 + 2.996z^{-1} + 5.9836z^{-2} + 9.9581z^{-3} + 14.9143z^{-4}$$

$$E_6 = 1 + 2.996z^{-1} + 5.9836z^{-2} + 9.9581z^{-3} + 14.9143z^{-4} + 20.8466z^{-5}$$

$$E_7 = 1 + 2.996z^{-1} + 5.9836z^{-2} + 9.9581z^{-3} + 14.9143z^{-4} + 20.8466z^{-5} + 27.7493z^{-6}$$

$$E_8 = 1 + 2.996z^{-1} + 5.9836z^{-2} + 9.9581z^{-3} + 14.9143z^{-4} + 20.8466z^{-5} + 27.7493z^{-6} + 35.616z^{-7}$$

$$E_9 = 1 + 2.996z^{-1} + 5.9836z^{-2} + 9.9581z^{-3} + 14.9143z^{-4} + 20.8466z^{-5} + 27.7493z^{-6} + 35.616z^{-7} + 44.4402z^{-8}$$

$$E_{10} = 1 + 2.996z^{-1} + 5.9836z^{-2} + 9.9581z^{-3} + 14.9143z^{-4} + 20.8466z^{-5} + 27.7493z^{-6} + 35.616z^{-7} + 44.4402z^{-8} + 542148z^{-9}$$

and,

$$F_1 = 2.996 - 2.9924z^{-1} + 0.9964z^{-2}$$

$$F_2 = 5.9836 - 7.9688z^{-1} + 2.9852z^{-2}$$

$$F_3 = 9.9581 - 14.9202z^{-1} + 5.9621z^{-2}$$

$$F_4 = 14.9143 - 23.8365z^{-1} + 9.9222z^{-2}$$

$$F_5 = 20.8466 - 34.7072z^{-1} + 14.8606z^{-2}$$

$$F_6 = 27.7493 - 47.5209z^{-1} + 20.7716z^{-2}$$

$$F_7 = 35.6160 - 62.2654z^{-1} + 27.6494z^{-2}$$

$$F_8 = 44.4402 - 78.9280z^{-1} + 35.4878z^{-2}$$

$$F_9 = 54.2148 - 97.4950z^{-1} + 44.2802z^{-2}$$

$$F_{10} = 64.9325 - 117.9522z^{-1} + 54.0196z^{-2}$$

Based on the resulted polynomials $\boldsymbol{E}$ and $\boldsymbol{F}$, the incremental program calculatethe step response coefficients (the elements of matrix **G**) as below:

G =

0.0477	0	0	0	0	0	0	00	0
0.1853	0.0477	0	0	0	0	0	00	0

0.4124	0.1853	0.0477	0	0	0	0	00	0
0.7286	0.4124	0.1853	0.0477	0	0	0	00	0
1.1334	0.7286	0.4124	0.1853	0.0477	0	0	00	0
1.6264	1.1334	0.7286	0.4124	0.1853	0.0477	0	00	0
2.2070	1.6264	1.1334	0.7286	0.4124	0.1853	0.0477	00	0
2.8747	2.2070	1.6264	1.1334	0.7286	0.4124	0.1853	0.04770	0
3.6288	2.8747	2.2070	1.6264	1.1334	0.7286	0.4124	0.1853	0.0477 0
4.4689	3.6288	2.8747	2.2070	1.6264	1.1334	0.7286	0.4124	0.1853 0.0477

Because only $\Delta u(t)$ is needed for the calculations, only the first row of the matrix $[(\mathbf{G}^{\mathbf{T}}\mathbf{G}+\lambda\mathbf{I})^{-1}\mathbf{G}^{\mathbf{T}}]$ (or gain vector $\boldsymbol{K}$) is used to calculate the control signal, and if the weighting factor λ is equal to zero, then

$$\mathbf{K} = [20.9468 \quad 0 \quad 0 \quad 0 \quad 0 \quad 0 \quad 0 \quad 0 \quad 0 \quad 0].$$

Using the gain vector K, set point and the free response polynomials the incremental program generates the following expression for the control signal:

$$u(t) = 314.202 - 62.7566\, y(t) + 62.8612\, y(t-1) - 20.8713\, y(t-2)\,.$$

Figure (5) shows the response of the CTL system with GPC controller.

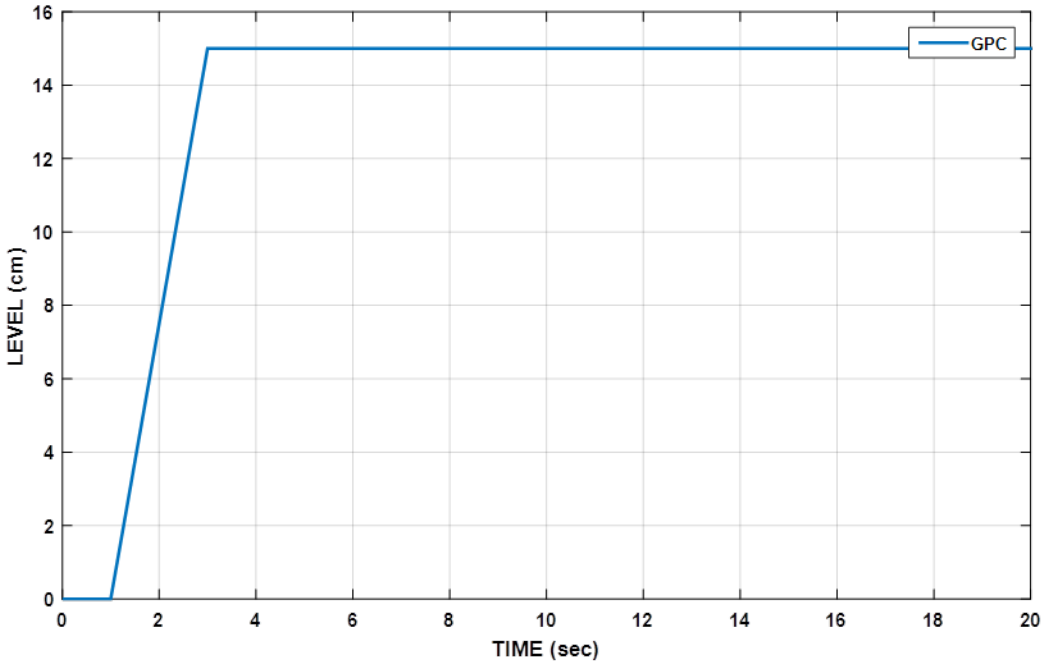

Figure (5): The response of the CTL system with GPC controller

6- The selection of the Weighting Factor λ

Theoretically the control weighting factor λ is set to zero. In order to determine the effect of the change in the value of λ on the GPC controller as well as the response of CTL system, we change its values to get the best response of the system. It can be seen from figure (6)that the optimal response of the system is at λ equals zero.

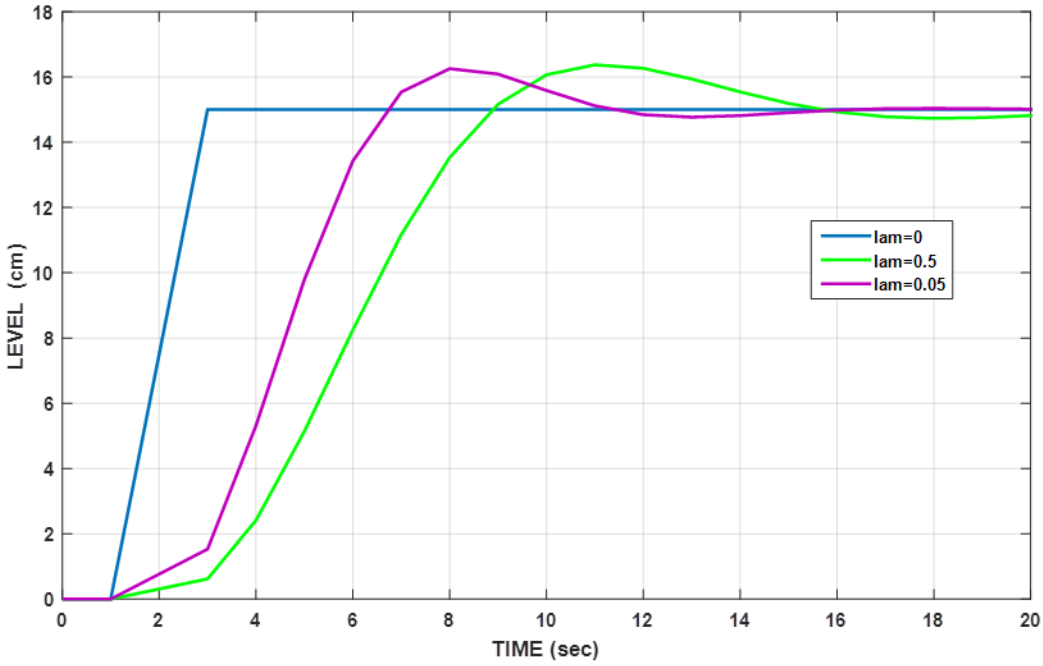

Figure (6): The response of the CTL system with GPC controller and different values of λ.

7- The PID Controller Design

The Proportional-Integral-Derivative (PID) controller is the most popular and commercially controller used in the process industry. The integral controller increases the system type, which reduces steady state error. The derivative controller increases the damping and, hence, the stability of the system. Most of the industrial systems still use a PID controller to control of systems operation [10], [9].

In the study we mentioned earlier [12], the researcher designed a traditional PID controller using two methods: theZiegler Nichols (PID-ZN) method, and the Chien-Hrones- Reswick (PID-CHR) method, and we adopted his design in our study, in order to avoid the excessive and undesirable lengthening in such researches.
The following table shows the PID parameters for poth designs:

Table (1): Ziegler-Nichole &Chien-Hrones- Reswicktuning parameters.

	k_p	T_i	T_d
PID-ZN	1.31	0.22	1.92
PID-CHR	15	0.3	11

For further illustration, it is necessary to compare the CTL system responses with both controllers on the same figure to clarify which controller can drive the system to follow the desired response with minimum errors. Figures (7), (8) show the comparison between the response of CTL system with GPC as well as PID controllers without and with disturbance effect on the output respectively. On the other hand figure (9) shows the effect of the white noise on the response of the CTL system with PID controllers in comparison with GPC controller.

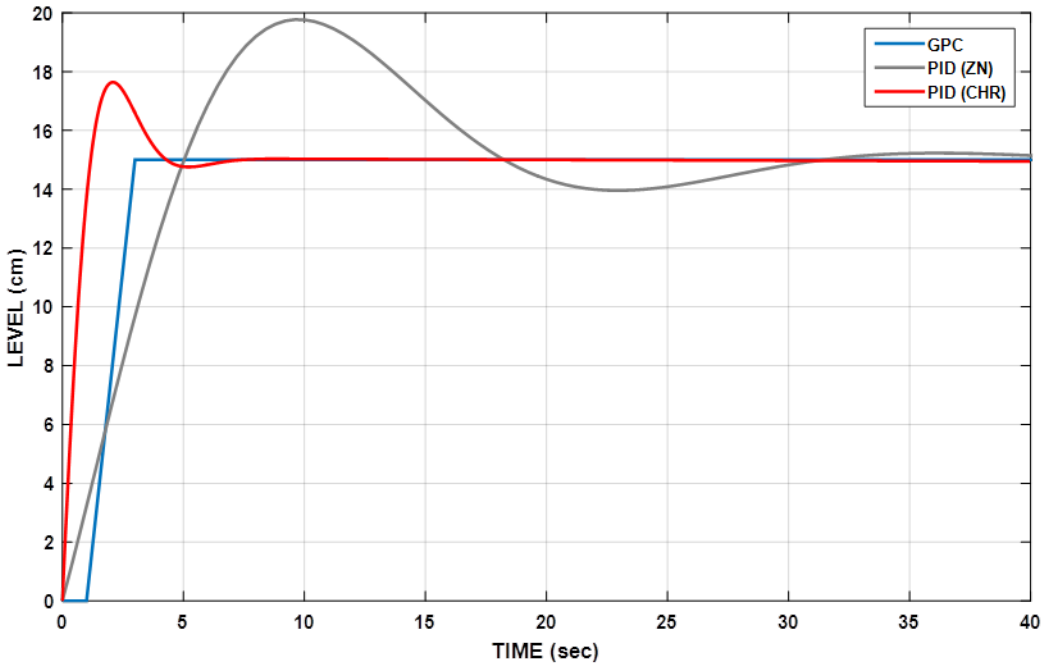

Figure (7): Response of CTL system with GPC and PID controllers.

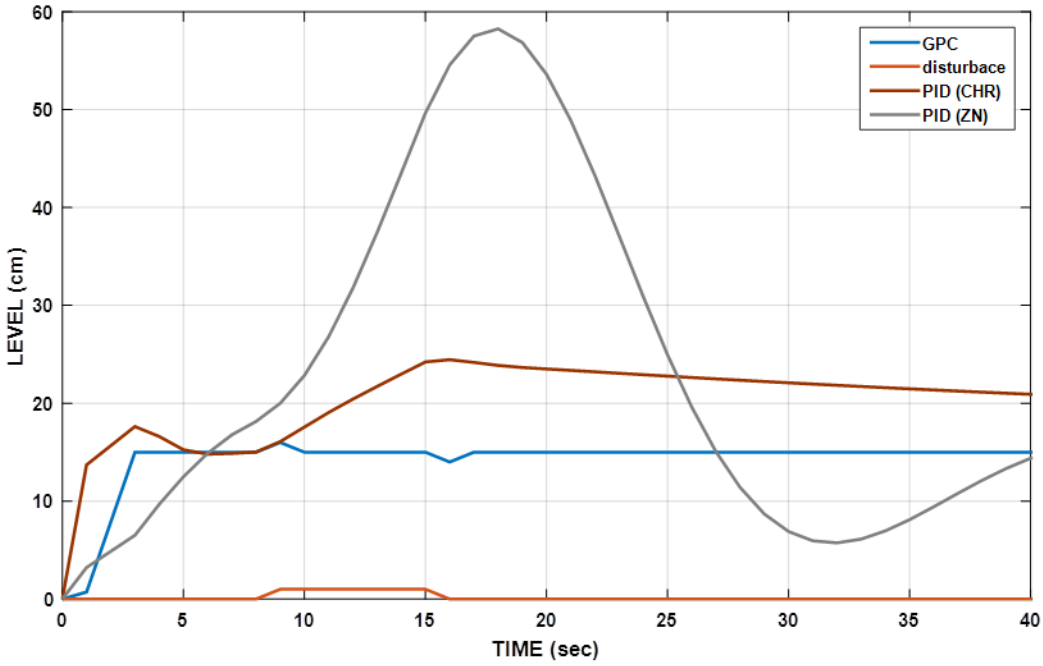

Figure (8): Disturbance effect of CTL system with GPC and PID controllers.

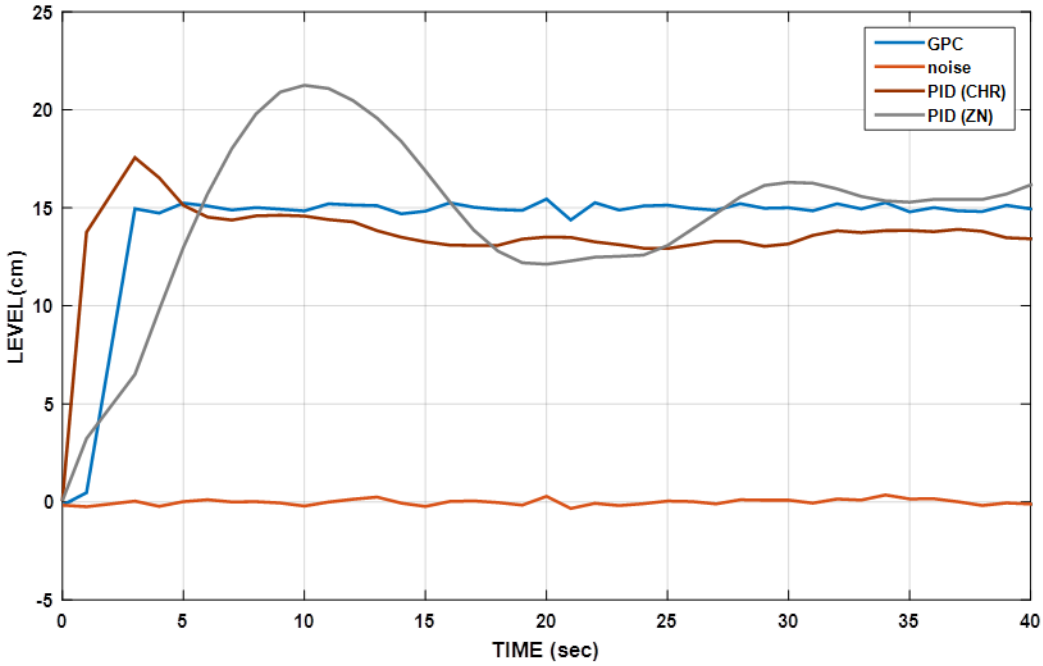

Figure (9): The effect of white noise on the CTL system with GPC and PID controllers.

8- Discussions of the Results

The last sections of this paper show the simulation results of GPC and PID controllers to control the CTL system. In the normal case, we noticed that the response time of the CTL system with all the controllers was close to the design requirements, despite the PID-CHR are fastest than ather controllers, but PID-ZN was slower at stability, while GPC did not have any overshoots or fluctuations unlike the PID controllers.

The steady state errors without introducing any disturbances are (0 cm) with GPC, (0.2 cm) with PID-ZN and (0.35 cm) with PID-CHR. From these results we note that the steady state error with GPC doesn't exceed (0.1%). In fact the system response had an overshoot on the response with pothPID controller equal to (29.1%) with PID-ZN, (3.93%) with PID-CHR and no overshoot with GPC controller while it should be zero% in the requirements.

If we introduce disturbance on the output of CTL model, the system responses is both stable, however; GPC is more robust for disturbance rejection and less effective for both disturbance and white noise, than PID controller. That is well observed from the results showed in the last section, where the system with PID controllers is slow rejection of disturbance compared with GPC. Moreover the steady state error is increased when introducing the white noise on the output of the system with all controllers of about (0.15-0.25cm) with GPC, (0.8-1.5cm) with PID-ZN and (1.5-2cm) with PID-CHR. Indeed the GPC controller was less affected for all of the disturbances.

For further illustration, the table (2) shows a comparison between a design requirements as well as simulation values obtained for the CTL system with both controllers. Through these results clearly indicate that the system with GPC controller is faster response and more efficient for load changes rejection.

Table (2): Summary of results using of the linear GPC/PID controllers.

	GPC	PID-ZN	PID-CHR	Design requirements
Time rise (sec)	2.8	3.91	0.891	3
Settling time (sec)	3	29.1	3.93	4
Settling time with disturbance (sec)	3	50	72	4
Over shoot (%)	0%	31.8%	17.6%	0%
Over shoot with disturbance (%)	0.65%	286%	105%	2-5%
Steady state error (cm)	0	0.2	0.35	0.1%
Steady state error with introduce white noise(cm)	0.15-0.25	0.8-1.5	1.5-2	0.1-0.3

9- Conclusion

This research presents a successful application of the generalized model predictive controller which controls the liquid level of the linear coupled-tank model. This controller provides optimal primary voltages necessary for tracking a certain reference liquid level trajectory within permissible value. The GPC method is mainly based on the mathematical model of the system order to predict its future output. This is used to minimize the system error so that the desired control signal is achieved. In addition, the GPC algorithm is implemented and applied to the plant. The presented GPC controller has many advantages; such as fast response, robustness against load changes and accurate tracking of a desired trajectory (set point). Based on this study it's concluded that, the GPC controller offers a better response than the classical PID control design.

References

1. Abdulkarim M. Alotaiwi (2003). Generalized Predictive Control of Ship Coupling Motions using Active Flume Tanks, PhD thesis, Old Dominion University, USA.
2. Åström,K.J.,andB.Wittenmark(1995).AdaptiveControl,2ndedition.EnglewoodCliffs,Prentice-Hall,NewYork.
3. Bao-Cang Ding (2010). Modern Predictive Control, Taylor and Francis Group, LLC.
4. D.W. Clarke, C. Mohtadi, and P.S. Tuffs (1987). Generalized Predictive Control,Part I: Basic algorithm and Part II: Extensions and interpretations.Automatica, 23:137–160.
5. Eduardo F. Camacho and C. Bordons (1998). Model Predictive Control, Springer-Verlag Berlin Heidelberg, New York.
6. Guaqiang Lu (1996). Sampled-Data Generalized Predictive Control, PhD thesis, Britsh Columbia University, Canada.
7. Kenneth R. Muske (1995). Linear Model Predictive Control of Chemical Processes, PhD thesis, University of Texas at Austin, USA.
8. Maciejowski, J. M. (2001). Predictive Control with constraints,prentice hall, NewYork.
9. Mustafa M. Omar (2012), Generalized Predictive Control Technique of an Electronic Throttle Valve Model ,Master thesis, Libyan Academy, Libya.

10. SinchaiChinvorarat (1999). Set point Tracking Predictive Control in Chemical Processes based on System Identification, PhD thesis, Old Dominion University, USA.
11. Su K-Min Moon (2003). On-Line Generalized Predictive Control with Recursive Least Squares System Identification, PhD thesis, Duke University.
12. Trinh Luong Mien (2017), Liquid Level Control of Coupled-Tank System Using Fuzzy-Pid Controller, International Journal of Engineering Research & Technology (IJERT), ISSN: 2278-0181, Vol. 6 Issue 11.

المضـــادات الحيـــويـــة

The most common antibiotics prescribed by dentists for dental infections in Gharyan city and neighbour regions

Asma Ashor Alajeli[1*], Abdullah Ashor Alajeli[2], Hend I. Almabrok[3], Hosam Elegaili Elarabi[4]

1Department of Medical Sciences, Faculty of Dentistry, University of Gharyan, Libya
2Department of oral pathology, Faculty of Dentistry, University of Gharyan, Libya
3 Department of Pharmacology, Faculty of Medical Technology, University of Misurata, Libya
4Department of Endodontic and fixed prostodontic, Faculty of Dentistry, University of Gharyan, Libya

مستخلص البحث:
مقدمة: تعد المضادات الحيوية من أكثر الأدوية التي يصفها أطباء الأسنان. وهي تستخدم للعلاج والوقاية من عدوى الأسنان. ويستند وصف هذه الأدوية من قبل ممارسي طب الأسنان على العوامل السريرية والميكروبية. لذلك ، عادة ما تتضمن الوصفات استخدام المضادات الحيوية واسعة الطيف للدورة القصيرة من العلاج.

Abstract

Introduction: Antibiotics are one of the most frequent drugs prescribed by doctors of dentistry. They are used for treatment and prevention of dental infection. Prescription of these medications by dental practitioners is based on clinical and microbial epidemiological factors. Therefore, the empirical prescriptions usually involve the use of broad spectrum antibiotics for short course of therapy.

Methodology: this study involves a short questionnaire for dentists to list the most common three antibiotics prescribed for patients in their clinical practices. The aim of study was to identify the common trends of prescribing antibiotics between dental practitioners. Fifty dentists with different back ground and experience from Gharyan city and

neighbour area were participated in this work. The questionnaire was conducted over a period of last two weeks of August 2019.

Result: 60% of dentists in this study prefer to prescribe amoxicillin, amoxicillin with clavunic acid and Metronidazole for their patients. On other hand, 30% of dentists also like to prescribe amoxicillin, amoxicillin with clavunic acid but not Metronidazole. Instead of Metronidazole they use Tetracycline or Erythromycin. Moreover, only 10% of dentists prescribe Penicillin V in addition to amoxicillin and Metronidazole for their patients. All dentists in this study use amoxicillin as first line antibiotic.

Introduction

Dentists routinely prescribed Antibiotics for their patients for either prophylactic or therapeutic use. Prophylactic antibiotics are used for patients at risk of infection or compromised people to prevent diseases which may occur due to the introduction of members of the oral flora to local sites or to a distant site in a host at risk (Dajani AS 1997). The best example for prescribing prophylactic antibiotics is to prevent endocarditis in patients with damaged heart valve. In contrast, therapeutic antibiotics are used to treat infections in the hard and the soft tissues in the mouth cavity (Fine DH 1998).

Dentist's prescription of antibiotics is recognised by a number of characteristics. In practice, empirical prescription of antibiotic is usually used by dentists; as they do not routinely request culture and sensitivity test to identify the microorganisms and choose the best antibiotic to treat the infection. The decision on which antibiotic is selected to treat the patient is usually made on clinical and bacterial

background data to identify the most likely microorganisms which cause infection. Therefore, the antibiotics prescription by dentists is based on presumptive basis and fundamental on probabilistic reasoning (Vallano A 2006).

Antibiotics can be divided into the following main classes according to the mechanism of action: cell wall synthesis inhibitors such as Penicillin group of antibiotic (Amoxicillin and Amoxicillin with clavunic acid...etc), DNA synthesis inhibitors like Metronidazole, RNA synthesis inhibitors e.g Rifampin, mycolic acid synthesis inhibitors e.g. Trimethoprim, and protein synthesis inhibitors such as Tetracycline and Erythromycin.

Many antibiotic prescribing trends are popular among dentists (LJ. 1993; Salako NO 2004; Dar-Odeh, Abu-Hammad et al. 2010). Penicillin's group of antibiotics were the most common prescribed antibiotics in dental practices by dentists, (Al-Mubarak S 2004; Ogunbodede, Fatusi et al. 2005; Al-Haroni M 2006), the first one being amoxicillin, (Palmer, Martin et al. 2000; Palmer, Martin et al. 2001; Sarkar, Das et al. 2004; Al-Haroni M 2006; Murti and Morse 2007; Dar-Odeh, Abu-Hammad et al. 2008) second is penicillin V,(Yingling NM 2002; Demirbas F 2006; Al-Haroni and Skaug 2007) third is metronidazole (Palmer, Martin et al. 2000; Palmer, Martin et al. 2001) and finally amoxicillin and clavulanate (Poveda Roda R 2007). Therefore, the gold standard in treating dental infections is Penicillin. Most dental infections still respond well to penicillin group of antibiotics (Dar-Odeh, Abu-Hammad et al. 2008).

Method and material

This research use a short questionnaire for dentists to list the most common three antibiotics prescribed for patients in their clinical practice. The questionnaire was distributed to target dentists by direct face to face meeting (20 dentists) and by contacting other group of clinician on social media (30 dentists). 50 dentists with different back ground and experience from Gharyan city and neighbour area were participated in this work. The questionnaire was conducted over a period of last two weeks of August 2019. The aim of this research was to establish the first line antibiotic used routinely by dentists in their clinical practice.

Results

In general, the result showed that the dentists in this study usually use penicillin group of antibiotics as the first line treatment for prevention and control of infection. All prescribed antibiotics in this study were broad-spectrum antibiotics. Surprisingly, no one of the participants mention about the alternative antibiotics in case if the patient has penicillin hypersensitivity.

In this work we found that the majority of dentists 60% (30/50) prefer to prescribe Amoxicillin (Amoxil), Amoxicillin with clavunic acid (Augmentin) and Metronidazole (Flagyl) for their patients. Whereas, 30% (15/50) of dentists also like to prescribe amoxicillin, amoxicillin with clavunic acid but not Metronidazole. Instead of Metronidazole

they use Tetracycline or Erythromycin. On other hand, only 10% (5/50) of dentists prescribe Penicillin V in addition to amoxicillin and Metronidazole for their patients.

As far as Metronidazole prescription is concerned, the obtained data revealed that it is usually prescribed in combination with amoxicillin or amoxicillin with clavunic acid 58% (29/50). In other words, Metronidazole used in combination to amoxicillin or amoxicillin with clavunic acid in 83% (29/35) of their users. Regarding prescription of single antibiotics only 42% (21/50) prescribe one antibiotic for their patients.

Discussion

Most patients with oral diseases will be presented to their dentist with inflammation and pain. Therefore, antibiotics and analgesics drugs are frequently prescribed by dentists. In this study, we focused on common antibiotics prescribed by dentists in Western mountain region of Libya. The result revealed that the Penicillin group of antibiotics is the first choice of the dentists. This result agreed with the common trends of antibiotic prescriptions by dentists in other countries. Penicillin remains the gold standard treatment of dental infections (Swift and Gulden 2002).

Many studies conclude that the penicillin's in general were the most commonly used antibiotics by dentists, (Al-Mubarak S 2004; Ogunbodede, Fatusi et al. 2005; Al-Haroni M 2006). Among Penicillin family of antibiotics, Amoxicillin is number one antibiotic

prescribed by dental practitioners, (Palmer, Martin et al. 2000; Palmer, Martin et al. 2001; Al-Mubarak S 2004; Sarkar, Das et al. 2004; Murti and Morse 2007; Dar-Odeh, Abu-Hammad et al. 2008) followed by penicillin V, (Yingling NM 2002; Demirbas F 2006; Al-Haroni and Skaug 2007) and amoxicillin and clavunic acid (Poveda Roda R 2007). interestingly, Kuriyama and colleagues showed that there is no difference in clinical outcome between amoxicillin, or amoxicillin combined with clavulanate and penicillin V (Kuriyama, Absi et al. 2005). Some researchers consider the amoxicillin to be the first choice antibiotics (Ogunbodede, Fatusi et al. 2005), others authors choose the combination of amoxicillin and clavulanic acid as first choice due to the increase in resistance to the amoxicillin and low level of bacterial resistance to amoxicillin combined with clavulanate (Sarkar, Das et al. 2004).

The majority of doctors in this study usually prescribe metronidazole in combination with other antibiotics such as amoxicillin or amoxicillin with clavunic acid to cover the anaerobic bacteria. This combination of metronidazole with other antibiotics has a synergistic effect (Bratton, Jackson et al. 2002)

All antibiotics mentioned by dentists participated in this study were selected on empirical basis. No one talk about culture and sensitivity test to choose the best antibiotics to treat the infection. This is may be because culture and sensitivity test is not routinely used by dentists as its not cost effective (Sarkar, Das et al. 2004). Insufficient knowledge of antibiotics prescriptions is another possible cause. The culture and

sensitivity test is highly recommended in patients with severe infections or infections showing rapid spread. The strategy of treatment in these patients is to start empiric antibiotic therapy and later changed, if necessary, based on culture and sensitivity reports (Ramasamy 2014).

In conclusion, the common antibiotics prescribed by dentists in western mountain region of Libya follow the common trends of antibiotics prescription used in dentistry.

References

Al-Haroni, M. and N. Skaug (2007). "Incidence of antibiotic prescribing in dental practice in Norway and its contribution to national consumption." J Antimicrob Chemother **59**(6): 1161-6.

- Al-Haroni M, S. N. (2006). " Knowledge of prescribing antimicrobials among Yemeni general dentists." Acta Odontol Scand **64**(5): 274-280.

- Al-Mubarak S, A.-N. A., Rass MA, et al (2004). " Antibiotic prescription and dental practice within Saudi Arabia; the need to reinforce guidelines and implement specialty needs." J Int Acad Periodontol **6**(2): 47-55.

- Bratton, T. A., D. C. Jackson, et al. (2002). "Management of complex multi-space odontogenic infections." J Tenn Dent Assoc **82**(3): 39-47.

- Dajani AS, T. K., Wilson W et al (1997). " Prevention of bacterial endocarditis: recommendations of American heart association." J Am Dent Assoc **277**: 1794–1801.

- Dar-Odeh, N. S., O. A. Abu-Hammad, et al. (2010). "Antibiotic prescribing practices by dentists: a review." Ther Clin Risk Manag **6**: 301-6.

- Dar-Odeh, N. S., O. A. Abu-Hammad, et al. (2008). "An analysis of therapeutic, adult antibiotic prescriptions issued by dental practitioners in Jordan." Chemotherapy **54**(1): 17-22.

- Demirbas F, G. P., and Preus HR (2006). "Antibiotic prescribing practices among Norwegian dentists. ." Demirbas F, Gjermo PE, and Preus HR. Antibiotic prescribing practices among Norwegian dentists. **64**(6): :355–359.

- Fine DH, H. B., Loesche WJ (1998). " Clinical use of antibiotics in dental practice." Fine DH, Hammond BF, Loesche WJ **9**: 235-238.

- Kuriyama, T., E. G. Absi, et al. (2005). "An outcome audit of the treatment of acute dentoalveolar infection: impact of penicillin resistance." Br Dent J **198**(12): 759-63; discussion 754; quiz 778.

- LJ., P. (1993). "Contemporary management of deep infections of the neck." J Oral Maxillofac Surg (51): 226-31.

- Murti, A. and Z. Morse (2007). "Dental antibiotic prescription in Fijian adults." Int Dent J **57**(2): 65-70.

- Ogunbodede, E. O., O. A. Fatusi, et al. (2005). "Retrospective survey of antibiotic prescriptions in dentistry." J Contemp Dent Pract **6**(2): 64-71.

- Palmer, N. O., M. V. Martin, et al. (2000). "An analysis of antibiotic prescriptions from general dental practitioners in England." J Antimicrob Chemother **46**(6): 1033-5.

- Palmer, N. O., M. V. Martin, et al. (2001). "Paediatric antibiotic prescribing by general dental practitioners in England." Int J Paediatr Dent **11**(4): 242-8.

- Poveda Roda R, B. J., Sanchis Bielsa JM, Carbonell Pastor E. (2007). "Antibiotic use in dental practice: A review." (12): 186-92.

- Ramasamy, A. (2014). "A review of use of antibiotics in dentistry and recommendations for rational antibiotic usage by dentists." THE INTERNATIONAL ARABIC JOURNAL OF ANTIMICROBIAL AGENTS **4**(2:1).

- Salako NO, R. V., Adib SM, Al-Mutawa S (2004). "Pattern of antibiotic prescription in the management of oral diseases among dentists in Kuwait." J Dent(32): 503–9.

- Sarkar, C., B. Das, et al. (2004). "An audit of drug prescribing practices of dentists." Indian J Dent Res **15**(2): 58-61.

- Swift, J. Q. and W. S. Gulden (2002). "Antibiotic therapy--managing odontogenic infections." Dent Clin North Am **46**(4): 623-33, vii.

- Vallano A, I. A. (2006). " Principios de terapeutica antimicrobiana." medicine **9**: 3196–3203.

- Yingling NM, B. B., Hartwell GR (2002). " Antibiotic use by members of the American Association of Endodontists in the year 2000: report of a national survey." J Endod. **28** (5): 396–404.

-